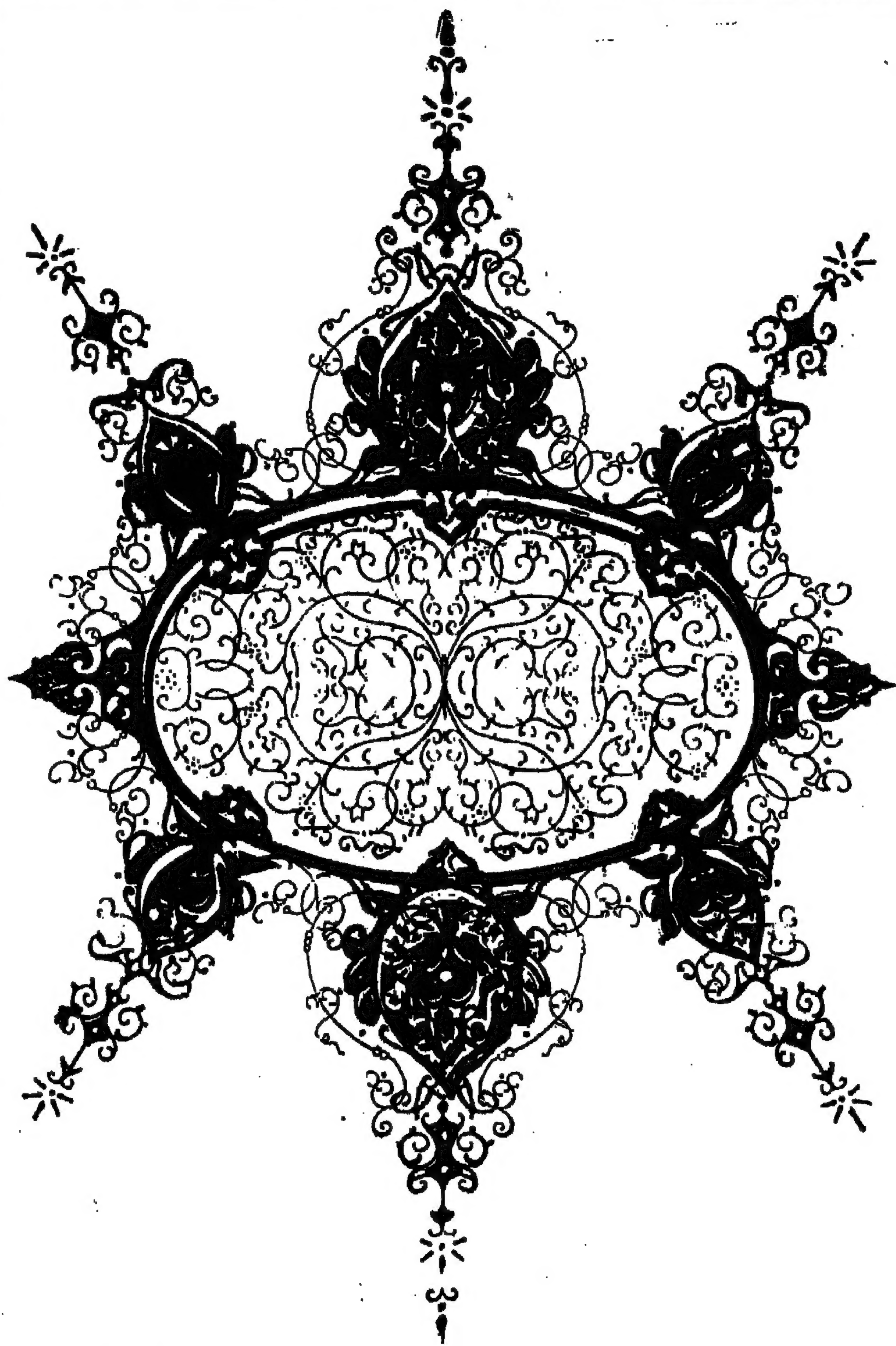


مجلة مجمع اللغة العربية



الجزء الرابع والثلاثون

شوال ١٣٩٤ هـ

نوفمبر ١٩٧٤ م



مجمع اللغة العربية بالقاهرة
٢٦ شارع مراد بالجيزة

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

الجزء الرابع والثلاثون
شوال ١٣٩٤هـ - نوفمبر ١٩٧٤م

المشرف على المجلة:

د. إبراهيم أنيس

رئيس التحرير:

إبراهيم التري

الفهرس

تصديير :

- ما هو السر في هذه الجموع
للدكتور ابراهيم انيس

ص ٧

● اللغة العربية :

- مكانتها القومية والعالمية في
القديم والحديث
للأستاذ محمد شوقي أمين

ص ٥١

بحوث ومقالات :

- المعجمات العربية المتخصصة
للدكتور ابراهيم مذكور

ص ١٦

- الاحتجاج للقراءات
للأستاذ سعيد الأفغاني

ص ٦٥

- الآيات التسع البينات
للدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج

ص ٢٢

- الحصول اللفظي لطفل المدرسة
الابتدائية
للدكتور فؤاد البهي السيد

ص ٧٩

- حماس وحماسة
للدكتور ناصر الدين الأسد

ص ٣٦

- الصغاني
للدكتور حسين علي محفوظ

ص ٨٨

- دراسات قرآنية :
حذف المقابل لما بعد «لا» النافية
للمساواة
للدكتور أحمد الحوفي

ص ٤٥

- سيبويه أمام النحو وأدبه
للأستاذ علي أصغر حكمت

ص ٩٥



شخصيات مجعية :

أعضاء جدد :

استقبال أربعة أعضاء جدد وهم:

● الأستاذ على النجدي ناصف

● الأستاذ محمد شوقي أمين

● الدكتور أحمد عز الدين عبد الله

● الدكتور عثمان أمين

كلمة الأستاذ زكي المهندس في

استقبال الأعضاء الأربعة الجدد

ص ١٥٨

كلمة الأستاذ عبد الحميد حسن التي

ألقاها

الدكتور محمد مهدي علام

في استقبالهم

ص ١٥٩

كلمة الأستاذ على النجدي ناصف

ص ١٧٠

كلمة الأستاذ محمد شوقي أمين

ص ١٧٣

● سيبويه في الميزان

للدكتور أحمد مكي الانصاري

ص ١٠٣

● الصراع بين القراء والنحاة

للدكتور أحمد علم الدين الجندى

ص ١١٣

تعريف ونقد :

● « نحو القرآن »

للدكتور أحمد عبد الستار

الجواري

تعريف ونقد

للاستاذ على النجدي ناصف

ص ١٢٨

● « مطلع الفوائد ومجمع الفرائد »

لجمال الدين بن نباتة المصري

تحقيق الدكتور عمر موسى باشا

تعريف ونقد :

للاستاذ محمد عبد الفتى حسن

● كلمة الدكتور أحمد عز الدين عبد الله

ص ١٨١

● كلمة الدكتور أحمد عز الدين
عبد الله في تأييده

ص ٢٠٠

● كلمة الأسرة

للدكتور محمد عبد الحكيم
الرفاعي

ص ٢٠٧

● كلمة الأستاذ علي النجدي ناصف

في تأييد المرحوم

الأستاذ عطية الصوالحي

ص ٢٠٨

● كلمة الأسرة

للدكتور محمد عطية الصوالحي

ص ٢١٤

● كلمة وفاء :

للمستشرق المجري الدكتور

عبد الكريم جرمانوس في ذكرى

فقيدي المجمع :

الدكتور طه حسين والأساتذة

محمود تيمور

ص ٢١٥

من أنباء المجمع :

ص ٢١٩

● كلمة الدكتور عثمان أمين

ص ١٨٥

أعضاء راحلون :

● كلمة الأستاذ زكي المهندس

في تأييد المرحوم

الأستاذ علي السبأني

ص ١٨٩

● كلمة الأستاذ عباس حسن في

تأييده

ص ١٩١

● كلمة الأسرة

لواء الصاوي عيسى

ص ١٩٧

● كلمة الأستاذ زكي المهندس في

تأييد المرحوم

الدكتور عبد الحكيم الرفاعي

ص ١٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

أهـ السرّ في هذه الجموع ؟

للكبير إبراهيم انيس

لنا المعاجم العربية تجموعاً عجيبة للمفردات : رأس ، رُثم ، بئر ،
رأى ، مؤق ، يسود ، هي على الترتيب : آراس ، آرام ، آبار ،

تروى

آراء ، آماق ، آسار .

وقد كنا ندهش لهذه الجموع التي قيل لنا إن ظاهرة القلب المكاني قد لحقتها، وإنما في
الأصل : آراس ، آرام ، آبار ، آراء ، آماق ، آسار ؟ ثم تقنع كتب الصرف بذلك ،
ولا تكاد تفسر لنا لماذا وقع القلب في هذه الأمثلة بالذات ، ولم يقع في جمع « ظيثر » بمعنى
المرضع ، « دآث » بمعنى الدنس ، « ليثم » بمعنى الند والظير ، « رثد » بمعنى الترب المماثل
في السن ، « رآد ، رؤد » بمعنى أصل الأضراس في اللحي ؟ ؟ إذ لم يرد في جمع هذه
الكلمات إلا : أظآر ، أداث ، آآم ، أرآد ، أى على الأصل فقط ! !

وقد تبين لنا في هذه الدراسة أن السرّ في وقوع القلب المكاني في تلك الأمثلة الستة
هو اختلاف نسبة الشيوخ بين السلاسل الصوتية التي تتألف منها تلك الجموع ، فحين

كانت نسبة شيوع الحرفين المتواليين في الصورة الأصلية قليلة، ولكنها في الصورة الفرعية كثيرة، على حسب ما جاء في إحصاءات جذور اللغة العربية - لوحظ أن القلب المكاني قد يحدث . ففي جمع مثل « آراء » نجد في إحصاءات الجذور الثلاثية أن الثنائي المؤلف من الراء وبعدها الهمزة نسبة شيوعه سبع مرات فقط ، في حين أن الهمزة وبعدها الراء ١٦ مرة !! لذلك نتصور أن الثنائي « أر » يخطر في الذاكرة أسرع مما يخطر الثنائي « رأ » ، ويترتب على ذلك أن الثنائي « أر » يسبق إلى اللسان ويحل محل الثنائي الآخر « رأ » ، وهذا هو القلب المكاني :

ونجد النسبة الآتية الذكر في ثلاثة من الأمثلة الستة هي : آراس ، آرام ، آراء .

وأما الشأن مع الأمثلة الثلاثة الأخرى فنجد أن النسبة مع « آبار » هي : « ب أ » ٤مرات ، « أ ب » ١٥ مرة ، ومع آماق » هي : « م أ » ٧ مرات ، « أم » ١١ مرة . ومع « آسار » هي « س أ » ٨ مرات ، « أس » ١١ مرة^(١) .

في حين أنه إذا نظرنا إلى مثل من تلك التي لم يقع في جمعها القلب المكاني ، مثل كلمة « ظئر » نجد أن نسبة شيوع « ظ أ » ٣ مرات ، ولكن « أ ظ » صفر ، أي أن الذاكرة تصرّ على الثنائي الأصلي « ظ أ » ، ولا يكاد يخطر فيها الثنائي « أ ظ » الذي لا وجود له في أول الجذر الثلاثي . ولذلك تبقى الصورة الأصلية دون قاب .

وكل ذلك إذا لم يلتبس الجمع في حالة القلب المكاني بجمع كلمة أخرى أشهر وأعرف ، فحينئذ نلاحظ أن خوف اللبس يمنع وقوع القلب .

وفي ضوء ما تقدم رأينا أن نستعرض هنا الأمثلة التي عثرنا عليها في المعاجم القديمة مثلاً مثلاً؛ لنرى ما روى عنها في تلك المعاجم ، ولنتبين السر فيما أصاب بعضها من قلب مكاني ، والسر في عدم وقوع القلب في البعض الآخر .

(١) راجع إحصاءات الحاسب الإلكتروني لجذور اللغة العربية - نشر جامعة الكويت .

أولا :

الأمثلة التي روى القلب المكاني في جمعها على وزن أفعال :

١ - (رأس) : جاء في اللسان : « رأس كل شيء أعلاه ، والجمع في القاة أروُس ، آراس على القلب ، ورعوس في الكثير ، ولم يقلبوا هذه » : فلم يشر صاحب اللسان إلى الصورة الأصلية في أفعال ، أي آراس ، مكتفيا برواية المقلوب . وكما أشرنا آنفا نلاحظ أن نسبة شيوع الثنائي « رأ » في إحصاءات الجذور الثلاثية قليلة ؛ هي سبع مرات فقط ، في حين أن الثنائي « أر » ١٦ مرة ، ولذلك وقع القلب المكاني .

فإذا خيف اللبس لم يقع القلب ، ولذلك وجدنا أن كلمة « لثم » بمعنى الند والنظ لا تجمعها المعاجم مع القلب برغم أن نسبة الشيوع هي : « ل أ » ٢ مرتان فقط ، « أ ل » ١١ مرة . وكنا نتوقع أن يحدث هنا القلب ، ولكن المروى هو « ألآم » فقط في ذلك الشاهد الشعري :

أنقعد العام لا نجنى على أحدٍ مجندين وهذا الناس ألآمُ

ومن المؤكد أن السرّ في عدم وقوع القلب المكاني في جمع « لِثْم » برغم تحقق الشرط في نسبة الشيوع ، هو خوف اللبس مع جمع كلمة أخرى مشهورة جدا هي « آلاء » جمع « ألم » بمعنى وجع :

٢ - رثم ، والمشهور في جمعها هو « آرام » ، فالنسبة هنا محققة وتسوغ القلب المكاني وإن جاء في المعاجم أيضا « آرام » على الأصل : جاء في اللسان : « الرثم الخالص من الظباء ، وقيل هو ولد الظبي والجمع « آرام » ، وقلبوا فقالوا آرام » .

ونسبة الشيوع هنا هي : « رأ » ٧ مرات ، ولكن « أر » ١٦ مرة !!

ولكن يبدو أن خوف اللبس هنا مع كلمة غير مشهورة أو قليلة الاستعمال لا يبعد لبسا حقيقيا يوقع في البلبلة والحيرة ، ولذلك لم يمنع من وقوع القلب المكاني في جمع « رثم » على آرام وهو الجمع الأشهر ، برغم أن المعاجم تروى هذا الجمع نفسه لكلمة أخرى غير مشهورة هي « إرّم » ؛ فنرى في اللسان ما نصه : « والإرّم حجارة تنصب علما في المفازة ،

والجمع آرام ، أروم ، مثل ضلع وأضلاع وضلوع : وفي الحديث : ما يوجد في آرام الجاهلية وخير بها فيه الخمس ، والأرآم الأعلام وهي حجارة تجمع وتنصب في المفازة يهتدى بها واحداها إرآم كعنب .

فيبدو أن قلة شهرة آرام بمعنى الأعلام لم تمنع من وقوع القلب الذي في آرام بمعنى الأطباء ، وذلك لضعف احتمال اللبس بين الجمعين : ومع هذا فقد أنقت المعاجم على الصورة الأصلية أرام أيضا بمعنى الأطباء .

ولذلك ندهش جدا حين نرى رواية في اللسان تجمع كلمة « ثأر » على آثار ، أى مع القلب المكاني !! فيقول صاحب اللسان : « ابن سيده : الثأر الطلب بالدم ، وقيل : الدم نفسه ، والجمع آثار ، وآثار على القلب ، حكاه يعقوب » .

فاللبس هنا مؤكد مع جمع كلمة أخرى مشهورة جدا وكثيرة الاستعمال هي « أثر » التي جمعها المشهور آثار !! لذلك نتشكك في حكاية يعقوب لجمع « ثأر » على آثار ، أى مع القلب . وكأن ابن سيده في قوله : « حكاه يعقوب » يريد أن يحمل يعقوب وحده وزر هذه الرواية !!

ونحن على كل حال لا نعرف شاهدا من كلام العرب ورد فيه الجمع « آثار » أو « آثار » لكلمة ثأر ، وإنما المشهور المروى في النصوص هو جمعها جمعا صحيحا مؤنثا ومع تخفيف الهمزة ، أى ثارات !! جاء في اللسان :

« ونقول يا ثارات فلان ، أى يا قتلة فلان ، وفي الحديث : يا ثارات عثمان ، أى يا أهل ثاراته ، ويأبى المطالبون بدمه ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . وقال حسان بن ثابت .

لتسمعن وشيكاً في ديارهم ... الله أكبر يا ثارات عثمان ————— »

وهنا نرى أن الجوهري إزاء هذا النص يحاول نجاحا ومع قدر من التعسف أن يفسر « يا ثارات عثمان » على أنه إما نداء لطالبي الثأر ، أو نداء للقتلة ؟

والحقيقة أنه لا يعدو أن يكون من أساليب الندبة ، وأن الجمع «ثارات» لتضخيم شأن «الثار» وبيان خطورته ، ولا سيما مع خليفة المسلمين عثمان !

ويزيد من شكنا في حكاية يعقوب أن الإحصاءات [تريثا أن «ثأ» ٧ مرات ، ولكن «أث» ٦ مرات ، فلا مسوغ للقلب مطلقاً ، بل إن جميع الظروف اللغوية في الكلمة تأتي الرواية التي انفرد بها يعقوب :

٣ - «بئر» ، والمشهور في جمعها هو «آبار» : ونسبة الشيوع هنا محققة ومسوغة للقلب إذ هي : ب أ ٤ مرات فقط ، ولكن «أ ب» ١٥ مرة . ويساعد على ذلك أن المعاجم لا تذكر اسماً ثلاثياً من مادة (أبر) يتطلب جمعاً على وزن أفعال ، فلا خوف من اللبس في حالة القلب المكاني : جاء في اللسان ما نصه :

«البئر القليب أنثى والجمع أبار بهمزة بعد الباء ، ومقلوب عن يعقوب ، ومن العرب من يقلب الهمزة فيقول : (آبار) ، فإذا كثرت فيه البئر ، وهي في القلة ، أبور ، وفي حديث عائشة : اغتسلي من ثلاثة أبور يمد بعضها بعضها » :

وفي رأيي أن لا مسوغ لرواية الجمع «أبار» إلا أن يكون ذلك مجرد الإشارة إلى أنه الأصل ، ثم اندثر من الاستعمال :

٤ - «رأى» والمشهور في جمعها هو «آراء» ونسبة الشيوع هنا محققة ومسوغة للقلب المكاني ؛ إذ هي : «رأ» ٧ مرات ، ولكن «أر» ١٦ مرة . ولا احتمال للبس مع كلمة «أرى» التي لم ترو لها المعاجم جمعاً .

جاء في اللسان : «والرأى معروف وجمعه آراء ، آراء أيضاً مقلوب» ولكن يذكر صاحب اللسان أيضاً ما نصه :

«والرأى الاعتقاد اسم لا مصدر ، والجمع آراء ، قال سيبويه : لم يكسر على غير ذلك ، وحكى اللحياني في جمعه أراء » .

لا مبرر كذلك لرواية الجمع (أراء) إلا على أنه الأصل وقد اندثر من الاستعمال ولا سيما حين نذكر قول سيبويه إن (رأى) لم يكسر على غير آراء !!

هـ - ماق العين ، موقها بمعنى حرف العين الذي يلي الأنف : والمشهور في الجمع هو «أماق» : ونسبة الشيوخ محققة ومسوغة للقلب المكاني ، وإن لم يكن الفرق في النسبة كبيراً كما في الأمثلة السابقة ؛ فنسبة الشيوخ هنا هي «أم» ٧ مرات ، ولكن «أم» ١١ مرة . وكما جاء في اللسان لم يذكر اللحياني في جمع هذه الكلمة إلا الجمع المشهور ، أي «أماق» ، وهو الذي ورد في شعر الخنساء . وأما قول أبي الهيثم إن الجمع قد يكون أيضاً «أماق» وروايته في ذلك شعراً مجهولاً صاحبه ، فلا حجة له بهذا الشاهد وحده ؛ إذا ربما كانت الرواية الصحيحة في هذا الشاهد هي «أماق» ولا يخل الوزن بذلك .

وليس يسوغ في رأي رواية الجمع «أماق» بمعنى الألفاظ إلا أن نفترض أنه الأصل وقد اندثر من الاستعمال : وما يزيد هذا الفرض قوة أن المعاجم العربية القديمة قد روت الجمع «أماق» وحده بمعنى آخر هو النواحي الغامضة من أطراف الأرض ، فقد جاء في اللسان ما نصه :

« الليث : المؤق من الأرض والجمع أماق النواحي الغامضة من أطرافها » .

ويقضى ذلك بتخصيص الجمع «أماق» للألفاظ ، والجمع «أماق» للنواحي الغامضة من أطراف الأرض ، منعا للبس بين الداليتين :

٦ - سؤر ، تلك هي الكلمة التي روى يعقوب وحده جمعاً لها على «آسار» أي مع القلب المكاني . فإذا رجعنا إلى اللسان وجدنا ما نصه :

السؤر بقية الشيء وجمعه أسار ، وسؤر الفأرة وغيرها ، وقوله : أنشده يعقوب في المقلوب :

إنا لنضرب جعفرًا بسيفنا - ضرب الغريبة تركب الأسار

أراد «الأسار» فقلب ، ونظيره الآبار والآرام في جمع بئر ورثم :

وبرغم أن الفرق في النسبة هنا غير كبير إذ هو : «سأ» ٨ مرات ولكن «أس» ١١ مرة
نشعر مع ذلك أن القلب في «آسار» إن صححت الرواية إنما أمكن وقوعه بسبب أن المادة
(أسر) لا تتضمن اسما ثلاثيا يتطلب جمعا على وزن أفعال ، وعليه فلا خوف من
اللبس مطلقا :

على أنه من ناحية أخرى يمكن أن يقال : إن صغر الفرق في نسبة الشيوخ جعل الجمع
«آسار» أقل شهرة في الاستعمال اللغوي ، ولذلك انفرد يعقوب ، بروايته ، برغم أن الوزن
في شاهده يصح أيضا مع الجمع الآخر «أسار» فلا حجة له بهذا الشاهد وحده :

ثانيا :

الأمثلة التي لم يرو القلب المكاني في جمعها على وزن أفعال :

(١) إما لأن النسبة الإحصائية المؤهلة للقلب غير محققة .

(ب) أو لأن خوف اللبس مع كلمة أخرى يمنع من وقوع القلب :

١ - «ظئر» بمعنى المرضع جمعت على «أظار» فقط ؛ لأن نسبة الشيوخ هي : «ظأ» ٣
مرات ، ولكن «أظ» صفر :

٢ - «الدأث» بمعنى الدنس ، جمعت على «أدأث» فقط ؛ لأن النسبة هي «دأ» ٦
مرات ، ولكن «أد» ٦ مرات أيضا :

٣ - «ليثم» بمعنى الند والنظير ، وبرغم تحقق النسبة المطلوبة ؛ إذ هي «لأ» ٢ مرتين فقط
ولكن «أل» ١١ مرة ، ومع ذلك نرى أن خوف اللبس مع «آلام» بمعنى أوجاع منع من
وقوع القلب المكاني مع معنى الند والنظير ، ولذلك جمعت على «الآم» فقط :

أما بعد :

فلم يشذ عن القاعدة التي اهتمينا إليها هنا سوى جذر واحد ثلاثي يتمثل في هذه الكلمات :

١ - رثيد بمعنى الترب المائل في السن :

٢ - رؤد ، رؤؤد ، بمعنى أصل الأضراس في اللحى :

فقد روى الجمع في هذه الكلمات على صورة واحدة هي «أرآد» فقط، برغم أن النسبة الإحصائية محققة ومسوغة للقلب وهي :

«رأ» ٧ مرات، ولكن «أر» ١٦ مرة . بل إن ما يزيد الأمر هنا غرابة أن المادة اللغوية (أرد) لا وجود لها في المعاجم ، فلا احتمال لأى لبس ، أى أن جميع الشروط المطلوب توافرها لحدوث القلب محققة ، ومع ذلك جاء الجمع على الأصل وحده ودون قلب ، أى «أرآد» فقط !!

ولا غرابة أن نجد في المعاجم هذا الحذر الشاذ ، فالشدوذ يؤكد القاعدة :

وبالله التوفيق

المشرف على المجلة
ابراهيم انيس

نوفمبر ١٩٧٤



بحوث ومقالات

المعجمات العربية المتخصصة

للدكتور إبراهيم مكي

قد

يظن أن المعجمات

المتخصصة من صنع
التاريخ الحديث والمعاصر

، ولكنها عرفت منذ زمن طويل . لها أصول
في التاريخ القديم والمتوسط ، ووصل إلينا منها
قدر لا بأس به . ودون أن نعرض لها في
اللاتينية أو اليونانية ، نود أن نقف قليلا
عندها في العربية فنشير إلى نشأتها ونموها ،
وننوه ببعض نماذج منها . ولا شك في
أن هذه المعجمات ثمرة من ثمار النهضة
العلمية والثقافية ، لا تظهر لأول وهلة ،
ولأنها وليدة جمع وتحصيل لجهود سابقة
واستخلاص من مكاسب وثروات محققة ،
وتتويج لحركات فكرية متلاحقة .

وقد بدأت الحركة الفكرية في الإسلام
منذ الدعوة المحمدية ، وأخذت تتغذى
بقول النبي وفعله ، وقام على أمرها من بعده
الصحابية والتابعون ، وتعهدوا شيوخ المسلمين
وأئمتهم . ولم يترددوا في أن يستعينوا في
ميدان الدرس والبحث بمن انضم إليهم من
مفكرين كتابيين وغير كتابيين ، والحكمة
ضالة المؤمن يلتقطها أنى وجدها . وبلغت
هذه الحركة أوجها في القرن الرابع الهجري ،

أو العاشر الميلادي ، ونشأت عنها علوم
مختلفة ، بين دينية ولغوية ، طبيعية ورياضية
منطقية وفلسفية . وأصبحت دائرة المعارف
الإسلامية من أوسع دوائر معارف الفكر
البشرى ، ربطت التاريخ القديم بالمتوسط ،
وامتدت إلى التاريخ الحديث ، وغذته بغذاء
له شأنه . أخذت وأعطت ، تأثرت وأثرت .

ولكل علم لغته ومصطلحاته ، يضعها
أهله ، ويذيعها الدرس والتأليف . تبدأ
قلقة محدودة ، وتخضع لسنة النشوء والارتقاء
فيحذف منها ما يحذف ، ويعدل ما يعدل
ثم لا تلبث أن تنمو بنمو العلم نفسه ، وأن
تنتشر بانتشاره ، وأن تستقر باستقرار
العرف والاستعمال . وهنا يعنى الباحثون
بجمعها وشرحها في معجمات خاصة لأنها
مفاتيح العلم وأدوات التعلم . ويتفنون في
وضع هذه المعاجم ، فيقصرونها على علم
بعينه ، أو يستوعبون فيها طائفة من العلوم .
يرتبونها ترتيبا موضوعيا ، أو يسلكون
فيها مسلك الترتيب الهجائي على غرار
المعجمات اللغوية . وتتفاوت شروحهم
للمصطلحات ، فتجىء تارة مختصرة مركزة ،

تكتفى بذكر الدلالة اللغوية للفظ ، وتضيف إليها دلالاته الاصطلاحية في دقة واختصار - وتنحو تارة أخرى منحى البسط والتفصيل ، فتبين آراء العلماء والباحثين ، وتشير إلى اختلاف المذاهب والمدارس :

ولا تقف المعجمات المتخصصة عند المصطلحات العلمية ، بل تعالج أيضا العلماء أنفسهم. فتحاول حصرهم والتعريف بهم ، وتسجل بذلك تاريخ العلم ، وتعين على فهم قضاياها ، وتمكن من الحكم على رجاله :

* * *

والعربية غنية غناء ملحوظا بمعجماتها المتخصصة ، فكثرت فيها منذ عهد مبكر ، وبُدئ بها في العلوم الدينية واللغوية ، ثم طبقت فكرتها على العلوم الأخرى من إنسانية وطبيعية ورياضية ، وكتب التفسير في أساسها تعد ضربا من هذه المعجمات ، وكتب الحديث من صحيح ومسنند وشرح لها لا تخرج عن هذا كثيرا . وفي وسع العربية أن تباهى بما وفر لها من معجمات الإعلام ، فلديها منها ثروة لا تكاد نجد لها نظيرا في اللغات الأخرى . وكثيرا ما سميت كتب الطبقات أو التراجم ، واكل قرقة ولكل مدرسة ولكل علم طبقاته ، مثل طبقات المعتزلة ، وطبقات الشافعية ، وطبقات النحاة وطبقات الأطباء : ولا شك في أن علوم الحديث في عنايتها بتاريخ الرجال والكشف عن مدى نزاهتهم وصدقهم في روايتهم هي التي وجهت نحو هذا اللون من التأليف :

ولم يقف أمر هذه المعجمات عند الأشخاص بل امتد إلى البلدان والأماكن : وهناك باحثون أولعوا بذلك ولوعا كبيرا ، وعلى رأسهم ياقوت الحموي (٥٦٢٤ = ١٢٢٨ م) صاحب « معجم الأدباء » ، و« معجم البلدان » وهو دون نزاع حجة في هذا الباب ، ومرجع هام يعول عليه : ويعد من أعلام أصحاب الموسوعات والمعاجم في التاريخ القديم والحديث .

وندع جانبا معجمات الأشخاص والأماكن وما أجدرها ببحث خاص : ونقصر حديثنا على معجمات المصطلحات ، والحديث فيها يطول ، وليس في وسعنا أن نستوعبها هنا جميعها ، فهي متعددة ومتنوعة بتنوع العلوم والفنون ، ونكتفى بذكر ثلاثة منها تشير إلى التطور التاريخي في وضع المعجمات العربية المتخصصة ، وهي « مفاتيح العلوم للخوازمي » ، و « تعريفات الخرجاني » ، و « كشاف اصطلاحات العلوم والفنون للتهانوي » .

والخوازمي (٥٣٨٧ = ٩٩٧ م) شيخ من شيوخ القرن الرابع الهجري ، الذي يعد العصر الذهبي للثقافة الإسلامية ، فوقف عليها الخوارزمي في مراحل نضجها ، وألم بفروعها وأصولها ، واتسم بالطابع الموسوعي الذي كان شارة العصر وإن غلبت عليه حرفة الأدب . اتصل بالدولة الساسانية ، وهي مشهورة بخدمة العلم ورعايته ، وكتابه الذي نعرض له إنما صنف باسم واحد من وزرائها ، وكان

يجيد العربية والفارسية ، وله فيما يبدو إلمام بالسريانية واليونانية : ويظهر أن بعض فلاسفة هذا العصر وعلمائه كانوا يعنون باللغات الأجنبية ، ويحصلون منها ما يجدون السبيل إلى تحصيله . ويكفى أن نشير إلى الفارابي الفيلسوف ، وهو معاصر للخوارزمي ، وقد توسع رجال التراجم كثيرا فيما ينسبوه إليه من معرفة لغات أجنبية .

والخوارزمي رائد من زواد المعجمات العربية المتخصصة ، أدرك في وضوح الفرق بينها وبين المعجمات اللغوية . ذلك لأنها تعبر عن عرف خاص ، وتشتمل على مصطلحات ومواصفات لا يعرفها إلا أهل العلم أنفسهم . ويلاحظ بحق « أن اللغوى المبرز في الأدب إذا تأمل كتابا من الكتب التي ألفت في أبواب العلم والحكمة ، ولم يكن شدا صدرا من تلك الصناعة ، لم يفهم شيئا منه »^(١) . وهو يشير بهذا إلى ما استقر عليه رأى الفيلولوجيين المعاصرين من أن اللغة العلمية واحدة من اللغات الخاصة ولا حظ أيضا أن اللفظ الواحد قد يأخذ دلالات مختلفة باختلاف العلوم والفنون ، فالرجعة مثلا عند الفقهاء الرجوع في الطلاق ، وعند متكلمي الشيعة عودة الإمام بعد غيبته أو موته ، وعند الفلكيين سير أحد الكواكب

الجمسة المتحيرة على غير نضد البروج^(٢) : ويقع كتابه في مقالتين ، وقف أولاها على العلوم الشرعية والعربية ، ووقف الثانية على العلوم الأعجمية والدخيلة وتحت كل مقالة عدة أبواب ، وتحت كل باب عدة فصول . فقام الكتاب جميعه على تقسيم موضوعي ، وتهويب دقيق محكم : وقد أعلن المؤلف في مقدمته : أنه ، رغبة في الاختصار والوضوح ، ترك جانبا المصطلحات المشهورة والمتعارف عليها ، كما ترك المصطلحات الغريبة والغامضة التي تحتاج إلى مزيد من الشرح والتفسير ، وتحاشى التفريع المفرط وإيراد الحجج والشواهد^(٣) . وقد حقق فعلا ما قصد إليه ، وجاء كتابه مرجعا للمختصين ، وعونا لطلاب البحث والدراسة . ولذلك سماه « مفاتيح العلوم » لأنه مدخل لها ، ووسيلة للكشف عن بعض الغامض منها^(٤) . ولهذا الكتاب شأن خاص في توضيح تطور المصطلح العلمى العربى ، والإشارة إلى مصادره الأساسية من وضع أو تعريب ، ولعله من أوضح المراجع العربية . بيان الأنخذ عن اليونانية والسريانية . وقد كشف عنه حديثا المستشرق الهولندى «فان فولتن» فى أخريات القرن الماضى ، وعول عليه من بعده الباحثون والدارسون .

(١) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، القاهرة ١٣٤٢ هـ ، ص ٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤ .

(٤) المصدر السابق .

والشريف الخرجاني (٨١٦هـ = ١٤١٣م) من رجال القرن التاسع الهجري ، جاء بعد الخوارزمي بنحو خمسة قرون ، وعاش في عصر غلبت فيه الدراسات النقلية من فقه وتفسير وحديث ، ولم يبق من الدراسات العقلية إلا المنطق وعلم الكلام . تتلمذ لبعض شيوخ عصره ، أمثال قطب الدين الرازي (٨٧٦هـ = ١٣٦٥م) واتصل بتيমور لنگ ، وفي مجلسه ناظر سعد الدين التفتازاني (٨٧٩٠هـ = ١٣٨٩م) أجاد العربية والفارسية ، وكتب وألف فيهما ، وتدور مؤلفاته حول الفقه والتفسير والحديث من جانب ، والمنطق والكلام والبلاغة من جانب آخر .

ومن بينها « كتاب التعريفات » ، وهو معجم متخصص صغير ، عني خاصة بالعلوم الدينية والأدبية ، وطغت عليه نزعة لغوية واضحة ، فأدخلت فيه ألفاظ لاتعد من المصطلح في شيء ، وحظ العلوم الطبيعية والرياضية فيه بجد ضئيل ، فهو صورة صادقة لبيئته وثقافة عصره . سلك فيه مؤلفه مسلكا واضحا في التلخيص والتركيز ، ولم يعرض للخلافات المذهبية والمدرسية إلا في حدود ضيقة . فجاءت تعريفاته جلية واضحة ، يسهل حفظها والاستشهاد بها . ورتبت مصطلحاته ترتيبا أنجديا ، يسر أمرها على الدارسين والباحثين . وفي هذا ما يفسر سر ذيوعه ، والإقبال عليه ، ولكن « مفاتيح العلوم » دون نزاع أعرق منه درسا ، وأكثر تخصصا .

والتهانوي من رجال القرن الثاني عشر الهجري (١١٥٧هـ = ١٧٤٥م) ، وهو علم من أعلام الفكر الإسلامي في الهند . ويمتاز هذا الفكر بمحاولة دائبة للجمع بين العلوم العقلية والنقلية ، حتى في غضون الانحطاط والظلمة . وقد نشأ التهانوي في بيت علم ، واستطاع أن يلم بأطراف المعرفة لعصره ، فأحاط بالعلوم الشرعية والعربية ، ويمكن من علوم الحكمة النظرية والعملية ، واتسم بطابع موسوعي فسيح يذكرنا بكبار مفكري الإسلام في العصر الذهبي . ويبدو طابعه الموسوعي هذا في معجمه الكبير الذي سماه « كشف مصطلحات الفنون » وقد قضى في وضعه بضع سنين ، وهو قطعا من أكبر المعجمات العربية المتخصصة ، بدأه بمقدمة طويلة حاول أن يحصر فيها العلوم المختلفة ، بين عربية وغير عربية ، شرعية وغير شرعية ، جزئية وكلية ، حقيقية وغير حقيقية . وهذه المقدمة ضروب من تصنيف العلوم ، أشبه بما لوحظ لدى مفكرين آخرين ، كإحصاء العلوم للفارابي ، وإن كان صنيع التهانوي أعم وأشمل . وعرض لهذه الأقسام قسما قسما ، وعرف بموضوع كل علم ومسائله وأهدافه ، وقد يشير إلى بعض كتبه ورجاله . ومراجعه عربية خالصة ، وفي أغلبها معاصرة أو شبه معاصرة . وفي ضوء هذه المعرفة غذى معجمه ، وقد توسع في بعض المواد إلى درجة هي أدخل في باب التأليف الموسوعي منها في باب المعجم العلمي .

ويكنى أن نشير على سبيل المثال إلى مادة « التاريخ » التي وقف عليها عدة صفحات عرض فيها للتواريخ المختلفة : الهجرى ، والرومى ، والقبطى ، والفارسى ، والتركى . ورتب هذا المعجم ترتيباً أبجدياً ، وقسم إلى أبواب على حسب حروف الهجاء ، وتحت كل باب عدة فصول . ولوحظ في الباب الحرف الأول من الكلمة ، وفي الفصل الحرف الأخير منها ، على عكس ما صنع صاحب « الصحاح » . وهو تبويب معقد بعض الشيء ، لا يجد فيه الباحث طلبته فى يسر ، فينتقل مثلاً من « الأدب » إلى « الموث » ، ثم إلى « الأوج » ، « والتاريخ » وقضى بذلك على كثيراً من مزايا الترتيب الأبجدي ، ولو وقف عند الأبواب ، ورتب مواد كل باب ترتيباً هجائياً خالصاً لكان أولى . وقد درج المؤلف فى الشرح على أن يبدأ بالدلالة اللغوية ، ثم ينتقل إلى الدلالة الاصطلاحية ، ويتوسع فيها ما استطاع ، ولا يتردد فى أن يبين مختلف المذاهب والآراء ، وأن يشير إلى بعض المراجع . وقد ثبت نصوباً فارسية للدلالة على معنى خاص . فجاء معجمه إلى حد ما « ثنائى اللغة » . وشاءت وزارة الثقافة أن تخرجه فى ثوب عربى خالص ، وأن تعيد طبعه وفق المنهج العلمى السليم ، لاسيما وقد نفذت طبعة الهند العتيقة

(١٨٦٢) : ويسير هذا التحقيق فى بطن ملحوظ ، بدئ به عام ١٩٦٣ ، ولم يخرج منه فى العشر سنوات التالية إلا ثلاثة أجزاء صغيرة ، وقف آخرها عند « باب السين » « فصل الطاء » :

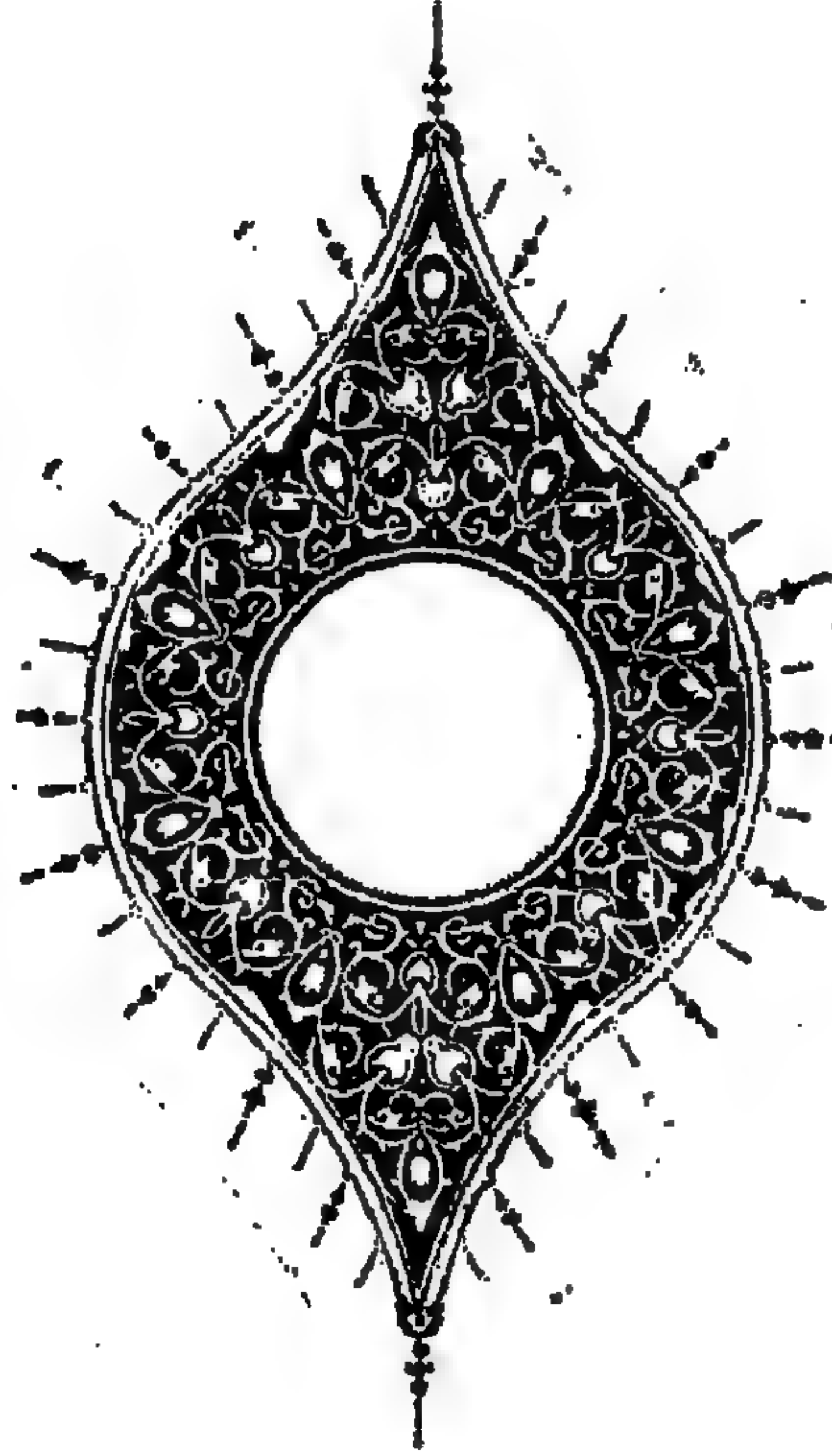
* * *

هذه نماذج ثلاثة من المعجم العربى المتخصص ، وفيها سبق واضح فى الموضوع والترتيب ، فمنها ما اقتصر على المصطلح ، ولم يخلط به شيئاً سواه ، وهذا هو أساس المعجم المتخصص . ومنها ما التزم بالترتيب الأبجدي ، وهذا هو دعامة التأليف المعجمى اليوم ، ومنها ما نحنا نحوا موسوعياً ، فمهد لما تضطلع به دوائر المعارف الحديثة ، وهذه المعجمات الثلاثة متعاقبة زمناً ، ويرتبط لاحقها بسابقتها . وبرغم أنها وليدة بيئات مختلفة فإنها تشهد بوحدة لغة العلم فى العالم الإسلامى جميعه ، وبديوعها واستقرارها لدى العلماء والباحثين شرقاً وغرباً . ولم يصنع أصحاب المعجمات هذه شيئاً أكثر من أنهم سجلوا عرفاً شائعاً ، ودونوا مصطلحات ومواصفات متوارثة ، وهذه هى القيمة الحقيقية للمعجم العلمى . فلم يخترع أصحابنا شيئاً ، ولم يبتكروا ألفاظاً جديدة ، وفى هذا درس ما أجدرنا أن نفيد منه فيما نعالج من معجمات علمية .

ولاشك في أن العالم العربي ، من الخليج إلى المحيط ، يشهد اليوم نهضة ثقافية ملحوظة ، تهدف إلى إحياء مجد الماضي ومواجهة متطلبات الحاضر : وما يؤسف له أن كثيرين من باحثينا لا يعنون بالمصطلحات القديمة عناية كافية ، وفي وسعهم أن يفيدوا منها في أداء بعض مبتكرات العلم الحديث ، وهذا قصور أو تقصير لا مبرر له . ويلاحظ في ربع القرن الأخير تسابق إلى تأليف المعجمات المتخصصة ، ونحن فعلا في حاجة إليها ،

ولكنها ليست مجرد ترجمة ووضع مقابلات عربية لألفاظ أجنبية ، بل هي أساسا تسجيل لعرف شاع واستقر ، أما أن تتعدد هذه المقابلات وتتنوع بتنوع المؤلفين ، فهذه بلبلة ينبغي أن نحذرها : وقيمة المصطلح في أنه جزء من لغة تعارف عليها المشتغلون بعلم معين واطمأنوا إليها . ونريد للعلم العربي اليوم لغة موحدة في المشرق والمغرب ، كما كان شأنه بالأمس القريب والبعيد .

إبراهيم مذكور
رئيس المجمع



الآيات التسع البينات

للكنوز الشيخ عبدالرحمن ستاج

قد

أكرم الله سبحانه وتعالى
رسوله موسى عليه وعلى
آله وسلم أفضل الصلاة

والتسليم - بآيات بينات ، ومعجزات باهرات ،
كل معجزة منها آية بينة واضحة ، ودليل
قوى قاطع ، يشهد بصدقه ، ويثبت دعواه ،
أنه رسول من الله .

وإن ما أكرمه الله به من الآيات ،
وما منحه من المعجزات . ليس في مقدور
أحد من البشر ، ولا في مقدور الناس جميعا
ولو تعاونوا عليه ، فإنه فعل الله وحده ،
يصدق به رسوله فيما يدعيه ، وهو بمنزلة
قول الله تعالى : صدق عبدي في كل
ما يبلغ عني .

إن الآيات البينات ، والمعجزات الباهرات
التي أكرم الله بها رسوله موسى عليه
السلام كثيرة .

(١ ، ٢) فمنها الآيتان اللتان أمره الله

تعالى أن يندب بهما أول الأمر إلى فرعون ،
ليثبت له بهما صدقه في دعواه أنه رسول الله
إليه ، وهما : « العصا واليد » ، كما قال
سبحانه وتعالى : « وما تلك بيمينك يا موسى

قال هي عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على
غفنى ولى فيها مأرب أخرى . قال : ألقها
يا موسى ، فألقاها فإذا هي حية تسعى .
قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى .
واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من
غير سوء آية أخرى . لنريك من آياتنا
الكبرى اذهب إلى فرعون إنه طغى .
(١٧ - ٢٤ طه)

(٣ ، ٤) « ومنها آيتا السنين أى سنى القحط

ونقص من الثمرات » كما قال تعالى : « ولقد
أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات
لعلهم يذكرون » . (١٣٠ الأعراف) .
(٥ - ٩) ومنها الآيات الخمس التي

قال الله فيها : « فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد
والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات
فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين » (١٣٣
الأعراف) .

هذه الأنواع الخمسة من العذاب قد
أنزلها الله على فرعون وقومه ، ولم يصبهم بها
دفعة واحدة ، بل أرسلها عليهم متفرقة ،
وكانوا كلما أصابهم نوع منها ضجوا

واستغاثوا وتضرعوا وطلبوا من موسى عليه الصلاة والسلام أن يسأل ربه ليرفع عنهم ذلك العذاب ، وكانوا يعطونه العهد والميثاق أن يؤمنوا به إذا رفع عنهم ما نزل بهم ، لكنهم ما كانوا يوفون بالعهد أو يرعون الميثاق ، بل كانوا سراعا إلى نقض ذلك والتنكر له . وذلك كما قال الله تعالى : « ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل ، فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالقوة إذا هم ينكثون » . (١٣٤ ، ١٣٥ الأعراف)

(١١ ، ١٢) ومنها معجزة فلق البحر فرقتين ومرو موسى عليه السلام بينى إسرائيل بينهما على أرض يابسة حتى وصلوا شاطئ البر الآخر سالمين ، ثم غرق فرعون ومن كان معه من كبار جيشه والملا من قومه ، وهم الذين كانوا يركضون تحلف بنى إسرائيل ليقتلوهم ويقضوا عليهم ، فلما تبعوهم في ذلك الطريق ، ولمكنهم ما كادوا يتوسطونه حتى انطبق عليهم البحر من شقيه فلم ينج منهم أحد .

وكانت حادثة انفلاق البحر فلقتين كالطودين العظيمين وحادثة انضمام الفلقين إحداهما إلى الأخرى وعودة البحر إلى ما كان عليه — كلتاها معجزة لموسى عليه الصلاة

والسلام : أمره الله سبحانه وتعالى في الأولى بأن يضرب البحر بعصاه ففصر به ضربة انفاق بها فرقتين ، وكان بينهما الطريق اليبس الذي نجى الله به بنى إسرائيل من فرعون وبطشه . ثم كانت المعجزة الثانية بانضمام الفرقتين وعودة الماء إلى حالته الأولى لإغراق فرعون ومن كان معه من جنده وقومه .

(١٢) ومنها معجزة نثق الجبل فوق بنى

إسرائيل بعد خروجهم من مصر ، وتهديدهم بإسقاط الجبل عليهم لتثاقلهم في امتثال أوامر الله تعالى ، وتراخيهم في تنفيذ الأحكام التي حملها إليهم رسولهم من عند الله تعالى ، كما قال سبحانه :

« وإذا نثقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون » . (١٧١ الأعراف) .

(١٣) ومن المعجزات التي أكرم الله

بها سيدنا موسى منحة له ولبنى إسرائيل : معجزة تظليل الغمام عليهم وهم في التيه ، فكان السحاب يسير معهم فوقهم يمنع عنهم لفق الشمس ، ويقمهم شدة حرها .

(١٤) ومنها معجزة المن الذي كان

يرسله الله عليهم كل صباح من الفجر إلى طلوع الشمس ، وهو مادة بيضاء حلوة كانوا يتغذون بها أجود غذاء ، وكانت تمنعهم عن الخبز المعتاد ، وكانوا أيضا يصنعون منها نوعاً من الخبز .

(١٥) وكذلك معجزة السلوى ، وهو طائر السباني^(١) المعروف أو نوع قريب منه ، كان يرسله الله عليهم آخر النهار من كل يوم ، فكان لهم من هذا وذاك أطيب غذاء يتجدد لهم كل يوم : وفي ذلك يقول الله تعالى : « وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم » (٥٧ البقرة) .

(١٦) ومن المعجزات التي أكرم الله سبحانه وتعالى بها سيدنا موسى وامتن بها على بني إسرائيل معجزة الحجر وتفجير الماء منه ، فلما فقدوا الماء وهم في التيه واشتد بهم العطش في الصحراء المحرقة استغاثوا بموسى عليه السلام ، فسأل ربه أن يسقيهم : فأمره الله سبحانه وتعالى أن يضرب الحجر بعصاه فضربه ، فتفجر الماء منه عيوناً غزيرة اثنتى عشرة عينا للأسباط الاثني عشر ، فكان في ذلك ريمهم وسقى دوابهم وكفائتهم في وجوه حاجاتهم إلى الماء : وذلك قوله تعالى :

« وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم » (٦٠ البقرة)

هذه ست عشرة معجزة من المعجزات التي أكرم الله بها رسوله موسى عليه السلام ؛ وهي كثيرة لا تقف عند هذه الست عشرة :

وما دام الأمر كذلك :

١- فكيف يفهم قوله تعالى : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » (١٠١ الإسراء)

٢- وما هي على التعيين هذه الآيات التسع من بين الآيات الكثيرة التي أشرنا إليها ؟

٣- وهل كانت هذه الآيات التسع موجهة إلى قوم معينين غير من وجهت إليهم الآيات الأخرى ؟

٤- وإذا كان الجواب على هذا بالإيجاب فكيف يستقيم ذلك مع قوله تعالى ، في الإخبار عن فرعون وما كان منه : « ولقد آريناه آياتنا كلها فكذب وأبى » ؟ (٥٦ طه) :

والجواب عن هذه الأسئلة الأربعة أن الآيات الكثيرة التي أكرم الله بها رسوله موسى عليه السلام وأيد بها رسالته - منها تسع آيات هي التي قصد بها فرعون وقومه كما تشير إلى ذلك آية سورة الإسراء : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل

بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون : إني لأظنك يا موسى مسحورا » ، فإن ما أخبرت به

به هذه الآية من رد فرعون على موسى عليه الصلاة والسلام ذلك الرد الذي هو غاية في العناد والتكذيب والسفاهة يدل على أن الآيات التسع التي أوتيتها موسى عليه السلام قد كانت موجهة إلى فرعون وقومه :

(١) بتخفيف الليم بعد السين المضمومة المشددة .

وهذا المعنى يفيد بصراحة ووضوح قوله تعالى : « يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم . وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جانّ وليّ مديرا ولم يعقب : يا موسى لا تخف إني لا يخاف لديّ المرسلون . إلا من ظالم ثم بدلّ حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم . وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه . إنهم كانوا قوما فاسقين » (٩-١٢ النمل)

الآيات التسع البيّنات

وفي سبيل تعيين هذه الآيات التسع نورد مقاله «النسفي» في التفسير متابعا فيه الزمخشري صاحب الكشف :

قال رحمه الله - في تفسير قوله تعالى : « ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى » مانصه : « ولقد أريناه » أي فرعون : « آياتنا كلها » وهي تسع آيات : العصا ، واليد ، وقلق البحر ، والحجر ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، ونثق الجبل .

وفي تفسير قوله تعالى : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » :

قال النسفي - تبعا للزمخشري أيضا مانصه :

« ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نثقه عليّ بني إسرائيل .

ثم قال : « وعن الحسن » الطوفان والسنون وتقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور » : اهـ

وهكذا يعتمد كل من الزمخشري والنسفي في تفسير آية « طه » : « ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى » على ما نسب إلى ابن عباس من أن آيات فلق البحر ، وتفجير الماء من الحجر ، ونثق الجبل هي من الآيات التسع التي ووجه بها فرعون وقومه :

كما أنهما أوردّا في تفسير آية الإسراء ذلك الذي نسب إلى « ابن عباس » وقدماه على غيره من الأقوال :

وهذا أمر عجيب ، وشيء لا يطمأن إليه ، ولا ينبغي أن يعتمد عليه في تفسير الآيات التسع وتعيينها . ولا يكفي لقبول ذلك أن يكون منسوبا إلى ابن عباس ، فكم كذب الناس على ابن عباس رضي الله عنهما ، وكم نسبوا إليه من الأقوال مأهولة منه براء :

على أنه لو صحت نسبة ذلك القول إليه فهو محتمل غير معصوم الرأي كغيره من المجتهدين :

إنه عجيب حقا أن تعد معجزة فلق البحر من المعجزات التي ووجه بها فرعون ليرتدع عن عناده وضلاله ، ويكف عن كفره وفجوره ، كما هو الشأن في المعجزات التي يراد بها الإنذار والتهديد :

إن معجزة خلق البحر قد أرادها الله تعالى لتكون نهاية لطغيان فرعون ، وإهلاكه له ، وقضاء عليه وعلى الملائ من قومه وإذا لا ينبغي أن تعد من المعجزات التي وجهت إليه لهدايته وإرشاده كمن يعدل عن غيه ، ويكف عن فيجوره وبغيه ، وإنما هي الحادثة الأكبر الذي كان به هلاكه ونهاية أمره ، وهلاك المماليك له من قومه .

أما المعجزتان الأخريان - وهما معجزة الحجر ومعجزة نثق الجبل - فقد كانتا مع بني إسرائيل بعد خروجهم من «مصر» ونجاتهم من فرعون الذي أهلكه الله .

كانت معجزة الحجر منحة لهم ،
ونعمة عظيمة امتن الله بها عليهم لما عطشوا واشتدّت حاجتهم إلى الماء ، ولجأوا إلى موسى عليه السلام أن يستسقى لهم ، فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه أن يضرب بعضة الحجر ، فلما ضربه موسى بعضاه انفجرت منه اثنتا عشرة عينا بعدد الأسباب الاثني عشر كما قدمنا .

وكذلك معجزة نثق الجبل ، كانت
خاصة ببني إسرائيل لكنها كانت منحة لهم وإنذارا شديداً وتهديداً بإسقاط الجبل عليهم وإهلاكهم ، لما تراخوا وثاقلوا في القيام بأمر الله وتنفيذ أحكام التوراة التي حملها إليهم رسولهم من عند الله تعالى ، كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق .

ومن ذلك يعلم أن ما روى عن الحسن البصري أصبح وأثبت ما نسب إلى ابن عباس ، وأن الآيات التسع التي حدثت عنها آية سورة «الإسراء» وآية سورة «النمل» ليس منها معجزات البحر والجبل ونثق الجبل .

هذا - والذي حققه العلامة «الآلوسي» صاحب «روح المعاني» - في تفسيره آية «الإسراء» : «ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات» - أنه قد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك عدة روايات وأن أصبح ما روى عنه هو أن الآيات التسع هي : «العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم» . اهـ

وهي التي نسبت في بعض الروايات إلى «الحسن» ، كما قدمنا . ثم يقول الشيخ آلوسي : إن نسبة ذلك إلى «الحسن» هي على خلاف ما وجدناه في الكتب التي يعول عليها في أمثال ذلك : اهـ (روح المعاني ج ١٥ ص ١٦٩ المطبعة المنيرية) ويخلص من ذلك أن الآيات التسع هي العصا ، واليد ، والسنون ، ونقص الثمرات بمختلف الآفات ، والطوفان ، والجراد ، والقمل والضفادع ، والدم .

فالعصا واليد لا يحتاج فيهما بعد ما تقدم إلى زيادة بيان .

وأما السنون فهي مدة القحط والجذب ، وكانت سبع سنوات لم يثبت لهم فيها نبات ولا زرع بسبب احتباس المطر .

وأما نقص الثمرات فهو بوقوع التلف فيها بما سلط عليها من مختلف الآفات . وروى عن « ابن عباس » رضى الله عنهما أن القحط أصيب به أهل البادية وأصحاب الماشية ، فأما نقص الثمرات فقد أصيب به أهل الحضر .

والمراد بالطوفان المطر الشديد الذى غمر حروثهم وزروعهم ، وقد دام عليهم ثمانية أيام فى ظلمة لم يروا معها شمساً ولا قمراً ولم يستطيعوا أن يخرجوا فيها من بيوتهم . وقيل إن هذا الطوفان هو ماء المطر الغزير الذى تسرب إلى بيوت القبط فغمر كل ما فيها من متاع وأثاث . وبلغ ارتفاعه قمة الرجل وهو واقف إلى ترقوته ، فإذا قعد غرق .

ومع أن بيوت بنى إسرائيل وبيوت القبط كانت متجاورة متشابكة لم يدخل شيء من ذلك المطر بيتاً من بيوت بنى إسرائيل . أما الجراد فكان كثيراً شديد الحملات عليهم ، قضى على الزروع والثمار وعلى كل شيء ، حتى أكل ثيابهم وسقوف بيوتهم وأبوابها ، ولم يدخل شيء منه فى بيوت بنى إسرائيل .

وأما القمل — وهو القراد فكان يسيح فى ثيابهم وأجسادهم وفراشهم ومطاعمهم ،

فكانوا لذلك يلاقون منه أشد الغت والاذى فى صحتهم ورقادهم وسائر أحوالهم . أما بنو إسرائيل فقد كانوا فى أمن وسلام من ذلك كله .

ولقد كانت الضفادع كبيرة ها وخغيرةا تمتلئ بها بيوت القبط . وكان تأذيتهم بها بالغاية ، حتى إنها كانت تقفز فى قدورهم وهى تغلى ، بل كانت تقفز فى وجه أحدهم إذا كان يتكلم أو كان يأكل تحاول أن تدخل فى فمه . ولم يكن شيء من ذلك فى أى بيت من بيوت بنى إسرائيل .

أما الدم فقد حول الله سبحانه وتعالى مياه الأقباط دماً لا يجرز أحدهم شيئاً من الماء إلا وجده دماً ، ولا يشقى من معين أو مسيل ماء صاف إلا وجد ماء يستقيه دماً . ولقد كان يجمع بين الإسرائيلى والقبطى على إنشاء واحد فيكون مايلى الإسرائيلى ماء صافياً على حين يكون مايلى القبطى دماً خالصاً .

وقد نصت على هذه الأنواع من العقوبات التى عوقب بها فرعون وقومه تلك الآيات القرآنية التى عينت بالتفصيل ماأيد الله به موسى عليه السلام من المعجزات التسع : يقول الله تعالى : « ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون » . ويقول سبحانه وتعالى : « وقالوا مهجاً تأتينا به من آية لتسحرنا بها فأنحن لك عمومنين . فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد

والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات
فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين .

فإذا ضمت هذه الآيات السبع إلى الآيتين
الأصليتين اللتين حدث عنهما القرآن
في عدة سور - وهما « العصا واليد » -
كان المجموع تسع آيات هي التي يشير إليها
قول الله تعالى : « ولقد آتينا موسى تسع
آيات بينات » وقوله سبحانه في سورة النمل :
« وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير
سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه » .
وهي الآيات التي ووجه بها فرعون وقومه ،
كما صرحنا بذلك هذه الآية القرآنية من
سورة النمل .

وقد رأى فرعون هذه الآيات التسع
كلها ولكنه كذب بها كلها وأبى أن يؤمن
ونخضع للحق ، كما قال تعالى : « ولقد
أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى » ، وكما
قال سبحانه : « كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم
أخذ عزيز مقتدر » . وينبغي أن يعلم أنه
إذا كانت هذه الآيات التسع هي التي
ووجه بها فرعون وقومه كما أسلفنا فإن آية
« العصا » من بينها قد كانت لها آثارها
العظيمة مع بني إسرائيل أيضاً ، فهي التي
ضرب بها البحر فانفلق ، وكان في ذلك
نجاتهم من فرعون وقومه الذين أهلكهم الله
الله بالغرق في ذلك البحر نفسه .

وهذه العصا هي التي ضرب بها الحجر
لما عطش بنو إسرائيل وطلبوا الماء فتفجرت

منه ينابيع وعيون بعدد الأسباط الاثني عشر .
فآثار معجزة العصا كانت عامة فيهم وفي
فرعون وقومه .

أما غير هذه الآيات التسع من المعجزات
الأخرى فقد كان المقصود بها بني إسرائيل
وخدمهم .

هذا وقد قال بعض العلماء : إن الآيات
التسع التي قال الله سبحانه وتعالى في شأنها :
« ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » إنما
هي آيات الأحكام الشرعية الأساسية التي
وردت في التوراة ، وفي أمهات الكتب
السمائية :

تأمر بعبادة الله تعالى وحده ، عبادة خالصة
من شوائب الشرك والشك ومن النفاق والرياء .
وتأمر كذلك ببر الوالدين برا صادقا
خالصا من شوائب التأفف والضجر ؛ وذلك
بإكرامهما وإحسان خدمتهما ، والشفقة
بهما ، والعطف عليهما .

ثم هي التي تأمر بالاعتدال في معاملة
الإنسان لأخيه الإنسان ، بأن يرعى حقه ،
ويؤتي له بعهده ، ويؤدي إليه أمانته ، ثم
لا يتكبر عليه ، ولا يتجبر ، ولا يتفاخر
ولا يتعالى ، ولا يعتدي على أحد في نفس أو عرض
أو مال .

وهذا كما فصلته آيات من سورة « الأنعام »
جاءت بمثل ما ورد في التوراة وغيرها من
الكتب السماوية المقدسة :

قال تعالى : « قل تعالوا أتتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين إحسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون »

ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا تكلف نفسا إلا وسعها ، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون : وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » (١٥١ - ١٥٣ الانعام) .

ومثل هذا قد جاء مفصلا في سورة الإسراء في قوله تعالى :

«وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما : أف ، ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما : واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل : رب ارحمهما كما ربياني صغيرا : ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا : وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا . وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها

فقل لهم قولا ميسورا . ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا . إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، إنه كان بعباده خبيرا بصيرا . ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا . ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا . ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا . وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم . ذلك خير وأحسن تأويلا . ولا تقف ما ليس لك به علم إن السميع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا . ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا » (٢٣ - ٢٧ الإسراء) :

قال أولئك العلماء : إن الموافقات التي نجدها بين ما ورد في القرآن في هاتين السورتين : «الأنعام والإسراء» وماورد في التوراة متعلقا بالأحكام الشرعية وأصول الأخلاق الدينية قد تساعد على الحكم بأن المراد بالآيات في قول الله تعالى : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » إنما هي آيات الأحكام ، وليست الآيات الكونية التي هي المعجزات وقوارع العقوبات .

وقالوا أيضا : إنه يؤيد هذا الحكم ماورد من الأخبار الصحيحة التي تصرح بهذا المراد فقد روى الإمام أحمد والطبراني والبيهقي والنسائي وابن ماجه والترمذي وقال : حسن صحيح ، وكذلك الحاكم وقال : صحيح لا نعرف له علة ، كما رواه خلق كثير عن صفوان بن عسال (١) أن يهوديين قال أحدهما لصاحبه : انطلق بنا إلى هذا النبي نسأله (يريدان النبي محمدا صلى الله عليه وسلم) - فأتياه صلى الله عليه وسلم فسألاه عن قول الله تعالى : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » .

قال أولئك العلماء : إن الظاهر أن هذين اليهوديين كانا يقصدان السؤال عن الآيات التسع : أى شيء هي ؟ وهل يقول فيها هذا النبي بنحو ما هو مسطور في التوراة فيكون ذلك دليلا على صدقه ؟

فلما وجدنا أنه قد انطبق كلامه صلى الله عليه وسلم في ذلك على ما ورد في التوراة سرا بذلك وفرحا وقاما يقبلان يديه وقدميه . فإنه عليه الصلاة والسلام قد أجابهما بقوله : « لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله تعالى إلا بالحق ، ولا تسرقوا ، ولا تسحروا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تمشوا بغيري إلى سلطان ليقتله ، ولا تقلدوا محضنة ،

ولا تفروا من الزحف ، وعليكم يا يهود خاصة ألا تعتدوا في السبت ، فقبلا يديه ورجليه وقالوا : نشهد أنك نبي الخير » .

قالوا : فهذه تسع آيات من آيات الأحكام الشرعية ، والوصايا الخلقية ، وأما العاشرة فهي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة باليهود ألا يعتدوا في السبت .

وبهذا يتبين أن الآيات التسع التي أوتيتها سيدنا موسى عليه السلام والتي ورد ذكرها في سورة الإسراء هي آيات الأحكام الشرعية كما وردت بهذا المعنى في التوراة ، وكما نبه إلى ذلك بجوابه السيد علي سؤال اليهوديين نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام .

وخلاصة القول أننا في هذا الموضوع أمام ثلاثة أمور ، كل منها له شأنه وقدره العظيم ، وإنما من أجل ذلك تستوجب أن نقف عندها وقفة تفهم وتدبر وقوة انتباه ، لنصل فيها إلى حكم فصل تلمنن إليه النفس وتقره مبادئ الدين .

« الأمر الأول » قول الله تعالى : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » مع ما أجاب به رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهوديين اللذين قيل إنه عليه الصلاة والسلام قد علم من حالهما أنهما يسألان عن الآيات

(١) صفوان بن عسال هو أحد الحواريين الأجلاء . فزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة غزوة ، وبعثه الله عنه عشرون حديثا .

التسع التي هي آيات أحكام ، فإن ذلك الجواب يدل بظاهره على أن الرسول صلى الله عليه وسلم يرى أن الآيات التسع في قول الله تعالى : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » هي آيات أحكام ، وليست هي الآيات الكونية .

« الأمر الثاني » قوله سبحانه وتعالى : « يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم ، وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب ، يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون . إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم . وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين » (٩ - ١٢ النمل)

وهو واضح الدلالة على أن الآيات التسع التي أوتها سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام هي آيات كونية ومعجزات قاهرة ، وعقوبات قد قصد بها فرعون وقومه الكفار الفجرة .

« الأمر الثالث » ما روى عن الخبر ابن عباس رضي الله عنهما وهو أصبح ما روى عنه في هذا الموضوع كما قدمنا - أنه فسر التسع الآيات البينات في قول الله تعالى : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » بأنها هي العصا ، واليد ، والسنون ، ونقص الثمرات ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، وهو تفسير منطبق على ما أفادته آيات سورة النمل : من أن الآيات

التسع هي آيات كونية ، ومعجزات من قبيل العصا واليد ، وليست آيات أحكام .

وعلى هذا يقال : كيف يكون التوفيق بين الحكم بأن الآيات التسع البينات هي آيات أحكام شرعية ، كما يستفاد من ظاهر خبر اليهوديين وما أجاب به على سؤالها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبين الحكم بأن تلك الآيات هي آيات كونية كما أشارت إلى ذلك سورة النمل ، وفصلته سورة الأعراف .

والجواب أن كلمة « الآيات التسع البينات » لاشك أنها تطلق على تلك الآيات الكونية والمعجزات الباهرة القاهرة التي أيد الله بها رسوله موسى عليه السلام وكان فيها قوارع العقوبات لفرعون وقومه جزاء عتوهم وكفرهم ، كما أشير إلى ذلك إجمالاً في قوله تعالى : « في تسع آيات إلى فرعون وقومه » ، وفصل تفصيلاً تاماً بينا في سورة الأعراف ، كما قدمنا . وهذه الآيات التسع الكونية هي التي فسر بها ابن عباس رضي الله عنهما كلمة : « تسع آيات بينات » في قوله تعالى في سورة الإسراء : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » كما علمنا .

لكن ماذا يصنع في خبر اليهوديين وما أجابهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألاه عن هذه الآية من سورة الإسراء ، إذ ذكر لهما أشياء هي آيات أحكام وليست من الآيات الكونية التي أشرنا إليها آنفاً ؟

« والجواب » عن ذلك من وجهين :

الأول : أنه يمكن أن يكون المراد من الآيات التسع البينات الواردة في سورة الإسراء آيات الأحكام على نحو ما ورد في التوراة ، وكما هو ظاهر قول الرسول صلى الله عليه وسلم أنه تفسير لها في جوابه على سؤال اليهوديين ، فقد أوردتها عليه والسلام تسعة أشياء أحكاما عامة ثم ختمها بحكم خاص باليهود : ألا يعتدوا في السبت :

وهذه غير آيات أخرى هي من الآيات الكونية والمعجزات القاهرة قد أشارت إليها سورة النمل ، وأنها تسع آيات أيضا : حتى إنه إذا سأل سائل عن تسع آيات بينات أوتيها سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام فأجيب بأنها تلك الآيات الكونية فإن ذلك يكون جوابا صحيحا وسديدا ، لأن للرسول موسى عليه الصلاة والسلام تسع آيات بينات هي آيات كونية ومعجزات باهرة ، وعقوبات القاهرة قد أخذ الله سبحانه وتعالى بها فرعون وقومه :

الوجه الثاني أنه لا يجب أن نحكم بأن

كلام الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أجاب به اليهوديين كان شرحا وتفسيرا لآية : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » وأنه يرى أن « الآيات التسع البينات » في الآية الكريمة مراد بها آيات الأحكام ، وإنما كان كلامه صلى الله عليه وسلم في ذلك كلاما حكما أراد به أن يحقق رغبتهما في الوقوف على ما عنده

من العلم بالآيات البينات التي أراد الله أن يؤيد بها رسوله موسى عليه الصلاة والسلام ، وهي آيات الأحكام والأخلاق التي يعهدونها مسطورة في التوراة ، ليتخذوا مما يقوله فيها دليلا على صدقه إذا جاء موافقا لما في التوراة ولعل الرسول صلى الله عليه وسلم يكون قد أدرك منهما هذه الرغبة ، أو لعله علم ذلك مما أوحاه الله إليه ، وعلى هذا يكون جوابه لليهوديين بذكر آيات من آيات الأحكام إنما كان لغرض خاص هو إفادتهما بالآيات التسع التي يعرفانها من التوراة ، ويريدان معرفة ما يقوله فيها : وليس لبيان الآيات التسع البينات التي قال الله في شأنها : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » ، فإن هذه هي الآيات الكونية التي نبهت إليها آية النمل « وفصلتها آيات الأعراف :

ويحتمل أيضا أن سؤال اليهوديين إنما كان عن الآيات التسع التي هي الآيات الكونية : لكن الرسول صلى الله عليه وسلم أراد أن يصرفهما بأسلوب حكيم إلى ما هو أنفع لهما وأجدى عليهما ، وأولى أن يشتد فيه حرصهما واهتمامهما بالبحث عنه ، والوقوف عليه ، وذلك هو آيات الأحكام الدينية ، التي في الاستمسك بها وإحسان العمل على وفقها سعادة الدنيا والدين :

وأيا ما كان فليس هناك دليل يفيد العلم والقطع بأن كلمة « تسع آيات بينات » في قول الله تعالى : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » مراد بها شيء آخر غير تلك

الآيات الكونية والمعجزات الباهرات ، وقوارع العقوبات التي أنزلها الله على فرعون وقومه الفجرة الكافرين ، وكان ذلك تأييداً من الله تعالى لرسوله موسى عليه وعلى نبينا وعلى سائر الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة والتسليم .

كلمة الختام

قد تم القول في الحملة الأولى من الآية الكريمة - وهي قوله تعالى : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » حسباً من الله سبحانه وتعالى به من التوفيق والتيسير ، وعلى قدر ما منح من العلم والفهم :

ونرى هنا - إتماماً للفائدة - أنه يحسن أن نفسر الحملة الثانية من الآية (الكريمة) باختصار ، وهي قوله تعالى : « فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم » ، فإنه قد يحتاج فيها إلى بيان المسائل التالية :

١ - المسألة الأولى : من هو ذلك الشخص المأمور بالسؤال ؟

٢ - المسألة الثانية : من هو المطلوب سؤاله ؟

٣ - المسألة الثالثة : ما هو ذلك الشيء المطلوب بالسؤال ؟

٤ - المسألة الرابعة : كيف عطف هذه الحملة الثانية بالفاء - وهي جملة طلبية متضمنة حضور المخاطب المأمور الذي معه الحديث - على الحملة الأولى الخبرية المقتضية غيبة المحدث عنه ؟

٥ - المسألة الخامسة : بم يتعاق الظرف في قوله سبحانه « إذ جاءهم » ؟

وفي الجواب عن المسائل الثلاث الأولى : قد اختلفت كلمة المفسرين .

ولهم في ذلك رأيان :

الأول : أن المأمور بسؤال بني إسرائيل هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . أمره الله سبحانه وتعالى أن يسأل بني إسرائيل الذين كانوا في عهده عليه الصلاة والسلام - أو الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام - سؤال تقرير ، يقررون في جوابه حقيقة ما يعرفونه في كتبهم عن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وما جرى له مع فرعون وقومه ، حينما جاءهم بتلك الآيات البينات ، وما رد به عليه فرعون من قوله : « إني لأظنك يا موسى مسحوراً » . وتقدير الكلام على هذا الرأي هكذا : فاسأل يا محمد بني إسرائيل عنه ، أي عن موسى ، وما كان منه مع آبائهم من بني إسرائيل حين جاءهم وما جرى بينه وبين فرعون وقومه ودعاهم إلى الإيمان به والتصديق برسالته .

الرأي الثاني : أن المأمور بالسؤال هو سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ، أمره الله تعالى أن يسأل بني إسرائيل الذين كانوا في مصر يسعون في معاشهم ، ويعملون تحت سلطان فرعون وفي دولته :

أمره الله سبحانه وتعالى أن يسألهم من فرعون ، أي يطلبهم منه ، فاسأل هنا

بمعنى الطلب . ومعنى هذا أن يطلب من
فرعون أن يخلي سبيلهم ولا يحول بينهم وبين
الخروج مع نبيهم موسى ليسير بهم إلى حيث
يريد من أرض الله كما أمره الله .

وذلك كما في قوله تعالى : « وقال موسى :
يا فرعون إني رسول من رب العالمين .
حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد
جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بنى
إسرائيل » : (١٠٤ ، ١٠٥ الأعراف)

وكذلك قوله تعالى : « فأتيا فرعون
فقلولا : إنا رسول رب العالمين . أن
أرسل معنا بنى إسرائيل » : (١٦ ، ١٧
الشعراء)

وقوله عز وجل : « فأتياه فقلولا : إنا
رسولا ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل
ولا تعذبهم » : (٤٧ طه)

ولقد كان اهتمام موسى عليه الصلاة
والسلام بخروج بنى إسرائيل من مصر
عظيما جدا ، لأنه كان يريد أن يبعدهم من
مواطن الكفر والشرك والفجور ، ويخلصهم
من العذاب الذى كان فرعون وقومه
يتزلونه بهم ، وكذلك ما عسى أن ينزل
بتلك المواطن من عذاب الله وسخطه .

وقيل : إن السؤال في قوله تعالى : « فاسأل
بنى إسرائيل » مستعمل في معناه الظاهر ،
وهو سؤال الاستفهام والاستخبار . فالرسول
موسى عليه السلام قال أمره الله تعالى أن

يسأل بنى إسرائيل عن حاجهم ومبلغ تدينهم
وإيمانهم وقوة استمساكهم برسالته ، وهل
هم مستمرون على متابعتة ، مصمموا العزم
على تأييده ومناصرته والكفاح معه ؟

هذا الوجه قد جوز لإرادته بعض العلماء .
ولكننا نرى أنه لا يتم عليه المعنى باستقامة
في بقية الآية ، فإنه لا يظهر عليه سر غضب
فرعون على موسى عليه السلام ورده عليه
ذلك الرد السفيف ، وقوله له : « إني لأظنك
ياموسى مسحورا » ، لكن هذا الرد يظهر
جيذا ترتبه بالفاء على ما قبله فيما وردت به
الآية الكريمة إذا حمل السؤال في قوله
تعالى : « فاسأل بنى إسرائيل » على المعنى
الأول الذى هو طلبهم من فرعون ، وأمر
فرعون أن يخلي سبيلهم ليذهبوا مع نبيهم
كما أوضحنا ذلك آنفا .

أما الجواب عن المسألة الرابعة فهو أن
الفاء على رأى الأول وهو أن المأمور
بالسؤال محمد صلى الله عليه وسلم — هى
فاء الفصيحة . والأمر فيها ظاهر .

وأما على رأى الثانى — وهو أن المأمور
بالسؤال سيدنا موسى عليه السلام — فهى
للعطف بتقدير فعل ماض من القول معطوف
على « آتينا » تصير به الجملة المعطوفة جملة
خبرية معطوفة على مثلها ، والتقدير : ولقد
آتينا موسى تسع آيات بينات فقلنا له : أسأل
بنى إسرائيل .

وأما الجواب عن المسألة الخامسة فهو أن
الظرف « إذ » على الرأى الأول متعلق
بمقدر من المقدرات بعد قوله سبحانه وتعالى :
« فاسأل بنى إسرائيل » على ما أوضحناه :

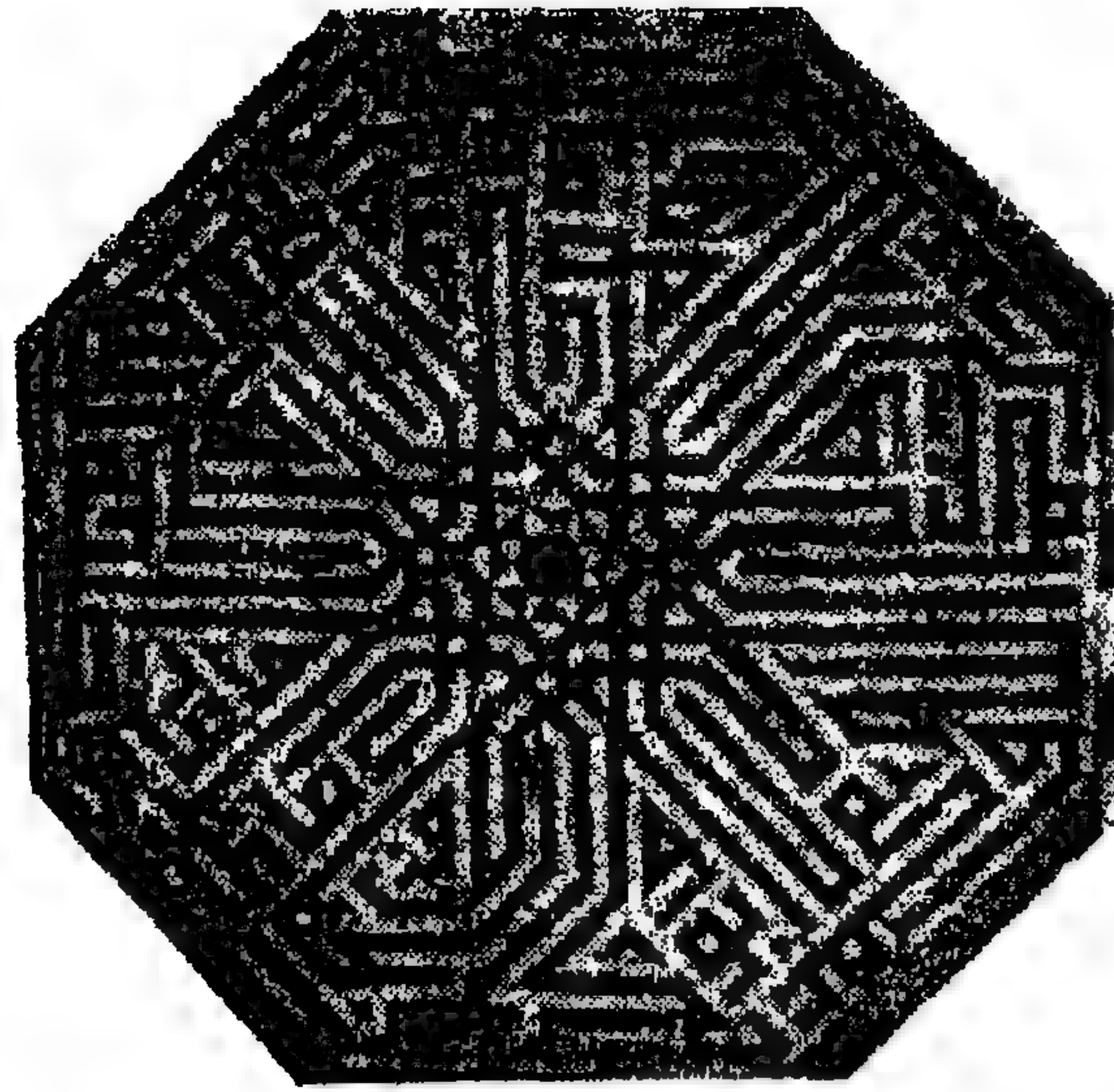
وأما على الرأى الثانى فهو متعلق بالفعل
الماضى المقدر بعد الفاء فى قوله سبحانه :
« فاسأل » . والتقدير : ولقد آتينا موسى

تسع آيات بينات فقلنا له : اسأل بنى إسرائيل
سعين مجيئه إليهم : أى قلنا له حين مجيئه إليهم :
اسألهم من فرعون واطلب منه أن يخلي
سبيلهم : فلما طلب منه ذلك غضب
واستكبر ورد عليه ذلك الرد الفاجر السفيف :

والحمد لله رب العالمين

عبد الرحمن تاج

عضو المجمع



حاشية

للككتور ناصر الدين الأسد

(١)

ليست

قيمة البحث والتنقيب
عن أحد الألفاظ
محصورة في ذلك اللفظ

وحده ، وإلا كان الأمر أهون من أن يشغل
به أحد نفسه ويضيع وقته فضلاً عن أن يشغل
به غيره ويضيع أوقاتهم . فحين تحدثنا
في مناسبات سابقة عن «معجم» ورأيناها
الجمع الصحيح لـ «معجم»^(١)، وعن «نواد»
ورأيناها جمعاً صحيحاً في القياس لـ «ناد» وأن
«أندية» هي جمع «ندى» وليست جمع «ناد»^(٢)،
وعن «وديان»^(٣) ورأيناها جمع كثرة
لـ «واد» يستوى في صحته مع «أودية» التي هي
جمع قلة للفظ نفسه — حين تحدثنا عن كل
ذلك قصدنا إلى أمرين لهما في رأينا قيمة
تستحق هذا العناء :

أولهما — أن هذه الجموع التي شاعت
تخطئها بين جمهرة العلماء وأهل اللغة في

زماننا ، هي وحدها الشائعة الغالبة على ألسنة
الناس وفي كتاباتهم في جميع البلاد العربية
خلال هذا العصر ، وحتى أولئك الذين
يحرصون — عن وعي وتعمد وفي تكلف
ومشقة — على تجنب استعمالها مسيطرة منهم للرأي
الشائع في تخطئتها . لا يلبثون حين ينساقون
مع طبعهم وسليفتهم أن تجري بها ألسنتهم
وأقلامهم ، فنجد في الحايث الواحد والمقالة
الواحدة الجمعين^(٤) معاً . وايس أدل من ذلك على
استحكام هذه الجموع وتمكنها في الاستعمال .
وثانيهما — أن مفرد كل جمع من هذه
الجموع عربي صحيح ، وأن صيغة جمعه —
الذي ذهبوا إلى تخطئته — هي من الصيغ
التي جاء على مثالها جموعٌ عدد كبير من
المفردات بُنيت على بناء هذا المفرد نفسه ،
حتى كانت هذه الصيغة قياسية مطردة —
فيما نص عليه القدماء أنفسهم — أو كالمطرودة
لكثرتها ، وإن لم نجد هذا الجمع ذاته فيما
وصلنا من كلامهم .

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء الخامس والعشرون .

(٢) المرجع السابق الجزء السابع والعشرون

(٣) المرجع السابق الجزء التاسع والعشرون

(٤) ضربنا أمثلة على ذلك في بعض المقالات التي أشرنا إليها في المراجع السابقة .

القياس ، حتى يكون الطريق لاحقاً والهدف
أمماً .

(٢)

وحديثنا الآن مشابه لأحاديثنا السابقة داخل
في بابها ، فهو - مثلها - محصور في صيغ
الألفاظ وأبنيها : تلك في الخنوع ، وهذا
في المصادر ، ومدارها جميعها على إلحاق
ألفاظ بمثيلاتها بشروط معاومة وفي أحوال
مخصوصة . وهي كلها ، بذلك ، أبعد شيء عن
تناول الأساليب والعبارات ونظم الكلام ،
فهذا باب الحرص فيه أدعى والحد من
أوجب لأنه متصل بروح البيان العربي ، وقد كان
مدخلا لكثير من الخطأ والوهم ، ومد رجعة
للعجبة والمُجَنَّة ، حتى إنى رأيت فيما كتب
بعض الكاتبين - وهم منا قريب - ما يوهم
أنهم يتحدثون عن ألفاظ بأعيانها ويستشهدون
لها بشواهد من كلام العرب هي صحيحة في
مواضعها التي استشهدوا بها ، ثم لا يلبثون
قياساً على ذلك - أن يذهبوا إلى تصويب
استعمالها في أساليب وعبارات محدثة ، والنظم
غير النظم ، والاستعمال غير الاستعمال ،
فخفيت عنهم في الاستدلال دقائق ولطائف
هي في الحقيقة سر النظم ، فانتبهوا بنا إلى شيء
لا يمت إلى العربية بسبب ، وليس هنا موضع
التفصيل وضرب الأمثلة .

ثم إن هذا الحديث ، مثل الأحاديث السابقة ،
يبدأ بالقياس ويقوم عليه ولكنه لا ينتهي إليه .
فنحن نقيس اللفظة المفردة التي تشيع في
الاستعمال بين الجمهرة الغالبة من الناس

هذان الأمران متكاملين هما اللذان
يكسبان هذا الحديث الذي نتجشم عناءه قينة
وخطراً ، لأنهما يخرجان به من حدود الجزء
إلى نطاق الكل ، ومن اللفظة ذاتها التي يدور
عليها البحث إلى ظاهرة عامة حين تجتمع لهذه
الظاهرة أركانها كاملة دون إغفال شيء منها
وبعض هذه الأركان دقيق نحى ، إذا غفل
عنه الباحث انزلق في مهاوى الخطأ . ومن هنا
جاء حرص الحريصين على ضرورة بحث
كل حالة وحدها من هذه الألفاظ دون
وضع قواعد مطردة يقاس عليها .

هذان الأمران المتكاملان معاً هما : شيوع
اللفظ شيوعاً عاماً غالباً على السنة أهل العصر
وأقلامهم ، في جميع الأقطار العربية ، وشيوع
صيغته وبنائه في ألفاظ كثيرة أخرى تشترك
معه في الخصائص والأركان . مما ورد عن
العرب وشاع في استعمالهم .

وإذا كنا لا نقر مذهب التسرع إلى التخطئة
لأنه يحجر على العلماء والكتّاب ويحول بين
اللغة والتطور في مسار طبيعي ، وينفى من
اللغة ألفاظاً هي منها في الحقيقة ، فلا بد من
التنبية إلى خطر المذهب المخالف الذي يدعو
إلى التوسع في قبول ألفاظ كثيراً ما تكون
على قياس غير صحيح لخفاء بعض عناصره
وأركانه الأساسية ، وحين لا تدعو حاجة
حقيقية إلى قبولها ، وخاصة إذا لم يجتمع
في هذه الألفاظ الأمران المتكاملان اللذان
أشرنا إليهما . وعلى هذا لا بد من التثبت
من دقة المقياس ، ومن سلامة خطوات

في الأقطار العربية كلها ، على نظائرها في
بنائها اللغوي ١٤ أجمع القدماء على صوابه ،
وإن لم تكن هذه اللفظة المفردة ١٥ دونوه
ووصل إلينا . وتطيل في سرد كثير من
هذه النظائر لتطمئن نفوسنا إلى هذه الكثرة
من جانب ، ولنجمع من جانب آخر ضروب
هذه الصيغة كلها فلا تفوتنا أدق خوافي
المشابهة بين المقيس والمقيس عليه . حتى
نصل في كل ذلك إلى حكم محدود لا نتجاوزه
وهو أن هذا اللفظ الشائع اليوم والذي ذهب
بعضهم إلى تخطئته لأنه لم يرد فيما دونه القدماء
في المعاجم وكتب اللغة ، هو صواب لأنه
يجرى على القوالب الموروثة وتنطبق عليه
القواعد الموضوعية : وهو من كلام العرب
وإن لم يصلنا مدوناً — لأنه جرى مجرى كلامهم
وقيس عليه . وقدما قال سيديويه في كتابه (١) :
«فإنما هذا الأقل نواذر تحفظ عن العرب
ولا يقاس عليها ، ولكن الأكثر يقاس عليه»
ومن هنا جاء حرصنا على الاستكثار من جمع
النظائر والأمثلة . وكذلك قال ابن جني في
خصائصه (٢) : «واعلم أن من قوة القياس عندهم
اعتقاد النحويين أن ما قيس على كلام العرب
فهو عندهم من كلام العرب» .

وإذا كنا نبدأ بالقياس ونعتمد عليه —
بالمعنى الذي وضعناه — فإننا لا ننتهي إليه ،
ذلك لأننا لا نعتسف الطريق فننتهي إلى وضع

قاعدة عامة مطردة تشمل كل ما جاء على هذه
الصيغة سواء أكان من الألفاظ الشائعة في
الاستعمال في عصرنا أم لم يكن مستعملاً
شائعاً ، فهدفنا ليس اختراع قواعد جامدة
تخضع لها اللغة كلها بحجة التيسير والتقريب ،
وإنما هدفنا الاستئناس والاحتجاج بنظائر
كثيرة مما ورد في كلام العرب ، للفظ
يشيع استعماله في هذا العصر بين العرب
كافة ، وإن لم ينتقل هو نفسه إلينا ، والاستدلال
من ذلك على صوابه بعد أن جرى على
الأسنة وفي الكتابة واستساغه ذوق العصر .

وقد تكلفنا هذا الإطناب كله وأكثرنا فيه
من التكرار الذي قد يثقل على القارئ ،
لنضع مثل هذه الدراسات في موضعها الصحيح
ونحصرها في نطاقها الذي لا يجوز أن تتعداه
بحيث لا يؤخذ منها إلا بقدر الحاجة إليها .

(٣)

واخترنا موضوعاً لهذا المقال كلمة «حماس»
التي ذهب إلى تخطئها كل من نعرف ممن
نصب نفسه لتنقية اللغة من الشوائب والعيثرات
منذ مطلع هذا القرن ، وأولهم الشيخ إبراهيم
اليازجي في سلسلة مقالاته التي كتبها عن «لغة

(١) ج : ٢ : ص : ٢١٥ - ٢١٦

(٢) ج : ١ : ص : ١١٤

الجرائد»^(١) ، ثم الشيخ المنذر^(٢) وأسعد خليل داغر^(٣) ، وآخرهم فيما نعرف زهدي جار الله^(٤) ، وقد أجمعوا على أن صوابها «حماسة» بالتأنيث .

ثم رأينا جماعة آخرين لا يقاتلون حرصاً على لغتنا ، يردُّون عليهم ويذهبون إلى صواب الكامة بالتذكير : غير أن هؤلاء المصوِّبين اجتزأوا من الحديث بأقله : ورتبوا نتائج على مقدمات لا تقوم إليها بالضرورة ، واعتمدوا على مراجع لا يُعتمدُ بها في هذا المضمار - على نفعها واستيعابها - ولم يوردوا من الأقيسة وشواهد ما يدعم مذهبهم وسنسرده أسماء ثلاثة منهم ونسوق حديثهم كاملاً على إيجازه .

فأقدم من يعرف منهم ممن تناولوا هذه الكلمة بالحديث المرحوم الأستاذ أحمد العوامري قال^(٥) : « يتوهم كثير أن الحماس بمعنى الحماسة خطأ . وقد كان هذا اللفظ إلى عهد قريب شائعاً في الصحف ، فأخذ

يقول حتى كاد يختفي منها ، ولكنه شديد الشيوع الآن في لغة التخاطب فقلما تسمع من الناس كلمة الحماسة^(٦) . والحماسة والحماس بمعنى واحد كما ستري : قال في اللسان : الحماسة : المنع والمحاربة : وقال : الحماسة : الشجاعة . وفي شرح القاموس الحماسة : الشجاعة والمنع والمحاربة : وفيه : والحماس كسحاب : الشدة والمنع والمحاربة . فقد تبين لك أن اللفظين متفقان معنى . »

واتفاقهما في المعنى أمر لم يختلف فيه أحد ، ولكن المختلف فيه هو صواب استعمال لفظ « حماس » بالتذكير . ولم يحتج على صحته إلا بوروده في شرح القاموس ، وصاحب هذا الشرح مُحدث لا يحتج به ، على جلال قدره . وقيمته فيما ينقل عن غيره . وهو لم يذكر لنا من أين أخذ الكلمة . ولم نجدها في كتاب قباه .

وثانيهم المرحوم الأستاذ أحمد حسن الزيات الذي قَدَّم إلى مجاس مجمع فؤاد الأول للغة العربية في ٢ مايو سنة ١٩٥١ « طائفة من

(١) مجلة القضاء ، الجزء الثامن - ٣١ يناير ١٩٠٥ ص : ٢٢٦ والطريف انه يذكر أن العامة كلهم يقولون الحماسة .

(٢) كتاب المنذر إلى المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء الأول ص : ٣٢ (الطبعة الثالثة) مطبعة الاجتهاد :

بيروت ١٩٢٧

(٣) تذكرة الكاتب ، مطبعة المقتطف والمقطع بمصر ١٩٢٣ ، ص : ٨٦

(٤) الكتابة الصحيحة ، بيروت ١٩٦٨ ، ص : ٧٦

(٥) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ، الجزء الأول سنة ١٩٣٤ ص : ١٦٦

(٦) قابل هذا الحذف الذي لا يزال صحيحاً حتى الآن بما ذكره الشيخ ابراهيم اليازجي من أن العامة كلهم يقولون الحماسة (انظر الحاشية السابقة رقم ١) .

الألفاظ المسدوعة عن المحدثين على خلاف ما سيجع عن العرب الأولين في الصيغة أو في الدلالة فنأتشبهها بالحاس وأقر بعضها في هذه الجلسة والبعض الآخر في الجلسة الختامية للدورة الثامنة عشرة بعد أن درستها لجنة «الأصول» ومن هذه الكلمات :

« ٣١ - الحماس : سمع من المحدثين استعمال الحماس بدون تاء : والمسموع عن العرب : الحماسه .

٣٢ - المران : يقول المحدثون : مران ، بدون تاء ، والمسموع عن العرب : مرانة»^(١).

وثالثهم الأستاذ محمد العدناني ، قال^(٢) : « ويخطئون من يقول : فلان كثير الحماس . ويقولون إن الصواب هو : كثير الحماسة ، ومعناها الشجاعة وقال التاج في مستدركه : الحماس هو : الشدة والمنع والمخاربة . ونقل عنه متن اللغة ذلك . أما الحماسة فقال إنها الشجاعة والمنع والمخاربة كما قال اللسان . أما الصحاح فقد قال : الحماسة : الشجاعة ، ويخطئ من يقولها : الحماس^(٣) !! ولكن الوسيط قال : الحماس والحماسة : الشدة والشجاعة والمخاربة . لذا عاينا (١١) أن نستعمل كلمة الحماسة والحماس دون تردد !! ما دامت الكلمتان

تجملان في المنع والمخاربة ، بحسب رأي التاج والوسيط ، والمخاربة لا تكون دون حماسة » .

ولا تعيب لنا على هذا الكلام سوى القول إن التاج و متن اللغة والوسيط : كلها - على نفعها وقيمتها - ليست حجة على صواب هذا اللفظ ، لجرد أنه ورد فيها وإن كان يجوز الاستئناس ، وليس الاحتجاج بما ورد في التاج لأسباب نذكرها بعد قليل . فقد بقي إذن فضل حديث عن هذا اللفظ نرى أن نورده فيما يلي .

(٤)

لم نجد كلمة « حماس » بالتذكير وفتح الحاء المهمة ، فيما وصلنا من المعاجم وكتب اللغة حتى المائة الثانية عشرة الهجرية . وأجمعت كلها - إلى الإقتصار على « حماسة » بالتأنيث بمعنى : الشجاعة والمنع والمخاربة . وفيها أيضاً « حيماس » بكسر الحاء ، مصدر « تحماس » . إلى أن جاء محمد مرتضى الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ فذكرها في مستدركه على القاموس قال : « وما يستدرك عليه ... والحماس كسحاب : الشدة والمنع والمخاربة » فهل رآها الزبيدي فيما كان بين

(١) الدورة التاسعة عشرة ١٩٥٢ - ١٩٥٣ م الجلسة السادسة

(٢) معجم الأخطاء الشائعة ، ص : ٧٠ ، رقم ٢٣٦ ،

(٣) لم يذكر الجوهري في صحاحه لفظ « حماس » فكيف يخطئها ؟ غير أن : يتفق هذا المعجم الأستاذ أحمد عبد النفور عطار ذكر في الماشية معلقاً على قول الجوهري : « والحماسة : الشجاعة » مايلي : « ويخطئ من يقولها : الحماس » . وهذا من كلام محقق الطبعة وليس من كلام الجوهري في الصحاح .

يديه من أصول ضاعت بعده ولم تصل إلينا
أو لم نعثر عليها بعد؟ أو هل كان يضيف
في مستدركه كتابات مما جرى استعمالها
وشاع في عصره والعصور القريبية السابقة
عليه إذا كانت على قياس العربية في نظائرها
وبنائها : ولو لم تكن مما تضمنته كتب
اللغويين ومعاجمهم ؟ والأول عندنا هو
الأرجح لأن كلام الزبيدي في مقدمته
واضح في الاختصار عليه ، قال : « وليس
لي في هذا الشرح فضيلة أمت بها ولا وسيلة
أتمسك بها سوى أنني جمعت فيه ما تفرق
في تلك الكتب من منطوق ومنهوم ، وبسطت
القول فيه ولم أشبع باليسير وطالب العلم
منهوم ، فمن وقف فيه على صواب أو زلل
أو صححة أو خال فعهده على المصنف الأول ،
وحمده وذمه لأصله الذي عليه المعول :
لأنني عن كل كتاب نقلت مضمونه فلم أبدل
شيئاً فيقال : وإنما إثم على الذين يبدلونه .
بل أدبت الأمانة في شرح العبارة بالنص :
وأوردت ما زدت على المؤلفين بالنص » .

فمن أين إذن جاء بكلمة « حماس » وهي
غير موجودة في كل ما وصل إلينا من
المعاجم وكتب اللغة التي اطلعنا عليها واطلع
عليها غيرنا من المحررين بدليل أنهم ذهبوا
إلى تخطيطها لأنها لم تتضمنها تلك المعاجم والكتب ؟
أحسب أن الإجابة عن هذا السؤال غير

ميسورة مما في أيدينا ، ونحسب أن تكشف
مقبل الأيام ما خفي عنا . وإيست هذه الكلمة
وحدها هي التي انفرد بذكرها صاحب
التاج ، ما لم نجده عند غيره ، فقد أشرنا في
نحشنا عن « وديان وأودية » أنه استقل بذكر
« وديان » جمعاً لـ « واد » في مستدركه .

ومن كان مثل الزبيدي في علمه وجمعه
واستقصائه وإطلاعه ، كان حرياً بالثقة
والقبول . وهذا ما فعله بعض من ذهب إلى
صواب كلمة « حماس » حين اعتمدوا على
ما ورد في التاج وحده ، أما غيرهم من
ذهبوا إلى تخطيطها فلإثبات أنهم لم يروها في
المستدرك وإثبات أنهم لم يقنعوا بما قنع به
الآخرون .

ثم إننا رجعنا إلى ما استطعنا الرجوع إليه
من شعر العرب ونثرهم ، فإثبات أنهم يستعملون
« الحماس » سوى احتمال أن يكون ذلك في
بيتين للشاعر فتيان الأسدي الشاغوري المتوفى
سنة ٦١٥ هـ ، قال في الأول (١) :

وبلغتم بالرأى ما لم يستطع
إدراكه باللام أسدي حماس

وقال في الثاني (٢) :

يجود فيغني الموالى سماحا
ويسطو فيغني الأعادي حماسا

(١) ديوان فتيان الشاغوري ، تحقيق أحمد الجندى ، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦٧ ،

ص : ٢٣٢

(٢) ص : ٢٣٦

وقد ضبط المحقق الحاء في البيت الأول بالكسر ، وفي البيت الثاني بالفتح ، ولست أدري ما الذي حملته على أن يخالف بينهما ، وقد ينازعه منازع أن الحاء في الالكاهيتين مكسورة ، أو أنها فيهما كاهيها مفتوحة ، فلا دليل على ذلك ، ولا حجة فيه .

ولم نجد لها كذلك في الكتب القديمة التي تتبعت أو هام الخواص في اللغة أو لحن العوام وحرصت على تثقيف لسانهم . فهل مرد ذلك إلى أن هذه الكلمة لم تكن مما استعملوه وجرت به الأقلام فام تقع عينهم عليها لينبهوا على صحتها إن كانت خطأ ، أو أنها كانت تجري بها أقلامهم وألسنتهم ولكنهم لم يجدوا فيها ما يستنكرونه فسكتوا عنها لصحتها ؟ سيظل هذا السؤال أيضاً بغير إجابة شأنه شأن السؤال الأول عن المصدر الذي اعتمد عليه الزبيدي في إثبات الكلمة في مستدركه .

فإذا كان هذا النمط من البحث عن الكلمة في كتبنا لم ينته بنا إلى وجودها فيها ، فهل من سبيل أخرى أمامنا نسلكها لبحث صحة الكلمة ؟ أحسب أن نعم .

(٥)

وأول ما نلاحظه هنا أن إغفال المعاجم وكتب اللغة لإيراد أحد الألفاظ لا يعني أن ذلك اللفظ غير موجود حقاً ، أو أننا نخطئ

حين نستعمله . فام يدع أحد أن تترك المعاجم والكتب قد قيدت اللغة جميعها ، وما أفيد هذه الفهارس التي تلحق بالطبعات الحديثة المحققة تحقيقاً عامياً لبعض كتب تراثنا ، والتي تتضمن الألفاظ التي وردت في تلك الكتب ، ما لم يرد في المعاجم . وفضلاً عن النقص الطبيعي الذي يعتور كل عمل بشري فيحول بينه وبين استيفاء كل شيء ، نجد هذه المعاجم والكتب قد أغفلت كثيراً من الألفاظ حين يكون بناؤها قياسياً ، وقد نصّوا على هذا الإغفال في مواطن متعددة من معاجمهم وكتبهم :

فإذا انتقلنا من هذا الحكم العام إلى تخصيصه بلفظي « حماس » و « حماسة » وجدنا مصادر على وزن « فَعَال » بالتذكير وفتح الفاء أغفلتها المعاجم واقتصرت على ذكر المؤنث « فَعَالَة » ومن أدل ما أثرنا عليه في هذا الباب تعاقب للأستاذ محمود محمد شاكر على كلام لمحمد بن سلام في طبقاته ، قال ابن سلام (١) : « وكان الذي يُسَمِّعُ الناسَ عنه صلى الله عليه وآله ، ربيعةُ بنُ أميةَ بنِ خُلفٍ الجُمَحِيُّ ، وكان في صوته رفاع » وقال الأستاذ محمود محمد شاكر : « رفاعة الصوت ورفاعته (بالفتح والضم) جهارته ، ورجل رفيع الصوت . ولم أجد (الرفاع) في المعاجم ، ولكن فَعَال وفَعَالَة يتعاقبان كثيراً في المصادر فيما تتبعته منها » .

(١) طبقات فحول الشعراء ، قراءة محمود محمد شاكر وشرحه ، ١ : ٧٤ ، مطبعة الماني بالقاهرة سنة ٧٤

فهذا مثل واحد من المصادر التي أغفلتها المعاجم على وزن «حماس» المذكور واكتفت بالنص على موثقه ، وسترده معنا أمثلة أخرى بعد قایل . ولكننا نحب أن نتبع كلام الأستاذ محمود ، ونتوكأ على العبارة الأخيرة منه ، لننتقل من خلالها إلى الملاحظة الثانية ، وهي « تعاقب فعال وفعالة كثير في المصادر » وفي هذا نستشهد بنص ثمين لسيبويه قال (١) : « وقالوا : سَعِيدٌ يَسْعِدُ سَعَادَةً ، وَشَقِيٌّ يَشْقِي شَقَاوَةً وقالوا : الشقاء ، كما قالوا : الحمال واللاذ ، حذفوا الهاء استخفافاً . ونقل الفيومي هذا الكلام في المصباح المنير (جمل) فقال : « قال سيبويه : الحمال رقة الحسن ، والأصل جمالة بالهاء مثل أصبح صباحة ، لكنهم حذفوا الهاء تخفيفاً لكثرة الاستعمال » : ولست أدري أهذا الذي أورده الفيومي هو الكلام الذي أوردهناه لسيبويه ولكن الفيومي زاد فيه ، أو هو كلام غيره بمعناه لسيبويه في موطن آخر من كتابه لم نعثر عليه ؟ غير أن المعنى واحد وكأنما ذهب ابن منظور أيضاً هذا المذهب حين قال : « وَتُسَمَّى الرَّجُلُ (بالضم) وَسَامَةً وَوَسَامًا ، يَحْدَفُ الْهَاءُ » كأنه يرى أيضاً أن وجود الهاء هو الأصل وحذفت للتخفيف .

فهل أصل هذه المصادر حقاً هو «فعالة» بالهاء ، ثم حذفت هذه الهاء تخفيفاً ؟ وهل هذا هو السبب في التعاقب الكثير في هذه المصادر بين فعال وفعالة ؟ وإذا كان ذلك

كذلك فهل يجوز أن نعتمد على كل ما قدمنا في قبول «حماس» ؟

ونضيف وجهاً آخر لصيغة «فعال» في المصادر ، وذلك ما أورده ابن منظور في اللسان (سلم) قال : « السلام والسلامة : البراءة ، قال ابن قتيبة : يجوز أن يكون السلام والسلامة لغتين كاللذاذ واللاذة ... ويجوز أن يكون السلام جمع سلامة » . وهو وجه نكتفي بإيراده استيفاء للبحث دون الخوض في تفصيلاته .

فنحن إذن أمام ثلاثة مذاهب للقدماء في تفسير هذا التعاقب بين «فعال» و «فعالة» في المصادر . المذهب الأول لسيبويه ، وفيه يرى أن الأصل «فعالة» بالهاء ثم حذفوا هذه الهاء تخفيفاً لكثرة الاستعمال فصار المصدر على صيغة «فعال» بالتذكير . أما المذهب الآخران فهما لابن قتيبة ، أحدهما : أنهما لغتان ، أي أن بعض القبائل تستعمل صيغة «فعالة» وبعضها يستعمل صيغة «فعال» ، والآخر : أن صيغة «فعال» جمع «فعالة» .

ولسنا بسبيل استقصاء البحث في هذه التفسيرات وترجيح أحدها على الآخر ، ونحسبنا أن نشير إلى أن تعاقب «فعال» و «فعالة» في المصادر قد كان ظاهرة شائعة حتى احتاجوا إلى أن يتلمسوا لها تفسيرات مختلفة .

وهذه الأمثلة التي أوردوها لما تظاير
كثيرة لا سبيل إلى جمعها على وجه الحصر .
ولا ضرورة تدعو إلى ذلك ، فحسبنا منها
نماذج تدل على أنها كثيرة متواترة . ونذكر
هنا أمثلتهم وبعض تأثيرها الأخرى :

براءة وبراء ، جمالة وجمال ، جلالة
وجلال ، جهارة وجهار^(١) ، رجاحة
ورجاج ، رضاعة ورضاع ، رفاة ورفاع^(٢) ،
سفالة وسفال ، سقاة وسقام ، سماحة
وسماح ، سفاهة وسفاه ، سماعة وسماع ،
سلامة وسلام ، شقاوة وشقاء ، شماعة وشمات ،
صغارة وصغار^(٣) ، ضلالة وضلال ،
عفاة وعفاف ، علاوة وعلاء ، كلاله
وكلال ، ملاة وملاء^(٤) ، لبائة ولباث ،
لذاذة ولذاذ ، وثاقة ووثاق^(٥) ، وسامة
روسام ، وقارة ووقار . وكلها بفتح أولها .

فهل نستطيع بعد هذا كله أن نقول إن
من يستعمل لفظ « حماس » في كلامه أو

كتابته هو في مأمن من الخطأ ؟ وهل
نستطيع أن نمضي خطوة أبعد ونقول : إن
كثرة تعاقب « فعال » و « فعالة » وتواترها
في المصادر عند القدماء تجعلنا نحجم عن
تخطئة من يستعمل صيغة « فعال » ولو لم
تذكرها المعاجم وكتب اللغة واقتصرت
على إيراد فعالة ، وذلك بقيد لا بد منه وهو
أن تكون اللفظة التي على هذه الصيغة قد
كثرت دورانها على اللسان وفي الكتابة في
الأقطار العربية كلها حتى أصبحت من
مألوف ذوق أهل العصر وشائع استعمالهم
مثل لفظي : حماس وميران . اللتين
لم نغثر عليهما حتى الآن في كتب القدماء
وشعرهم ، واقتصرنا فيهما على حماسة
ومرانة ؟

ناصر الدين الأسد
عضو المجمع

(١) لم تذكر المعاجم « جهاراً » بفتح الجيم عند الحديث عن مصدر الفعل ، وذكرته في درج الكلام عند الحديث عن
قوهم : « لقيه نهارة جهارا » فبطوا الجيم بالكسر وقالوا : وبفتح ، وفي اللسان : بكسر الجيم وفتحها وأبي ابن
الأعرابي فتحها .

(٢) رفع الزرع يرفعه (بفتح الفاء فيهما) رفعا ورفاعة ورفاعا (بفتح الراء فيها كلها) و نقله من الموضع
الذي يحصبه فيه إلى البيدر (اللسان) .

(٣) لم تذكر المعاجم « الصغار » عند إيراد مصادر الفعل ، وأورده ابن منظور في درج الكلام بعد صفحتين من
بداية المادة ، قال : والصغار مصدر الصغير في القدر .

(٤) ملأ الرجل يملأ (بفتح اللام فيهما) ملأه ، فهو مليء .. بين الملاء والملاءة ، ممدودان (اللسان) .

(٥) قال في اللسان : الوثاقة : مصدر الشيء الوثيق المحكم ، والفعل اللازم : يوثق وثاقة ، والوثاق : أنم
الايثاق ، تقول : أوثقته إيثاقاً ووثاقاً .

دراسات قرآنية

مذهب المقابل لما بعد "لا" إلهية للمساواة

للدكتور أحمد كوني

تمهيد :

كثير في القرآن الكريم نفي المساواة بين شيعتين أو أكثر بهذين الأسلوبين :

الأول : أن تتقدم أداة النفي على الفعل الدال على المساواة ، ويذكر بعدد الشيعتان أو الأشياء التي لا تتساوى ، كما في قوله تعالى : « لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ^(١) » .

وفي قوله سبحانه : « قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث ^(٢) » .

وقوله عز وجل : « وما يستوي البخران : هذا عذب فرات سائغ شرابه ، وهذا ملح أجاج ^(٣) » .

وقوله تعالى : « وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله والله ميراث السماوات والأرض ، لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلاً وعد الله الحسنى ، والله بما تعملون خبير ^(٤) » .

أي لا يستوي ثواب الذين أنفقوا أموالهم قبل فتح مكة وقاتلوا في سبيل الله وثواب الذين أنفقوا بعد الفتح وقاتلوا ، وهذا الشق محذوف يدل عليه قوله تعالى : « أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلاً وعد الله الحسنى » وقوله سبحانه : « لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون ^(٥) » .

(٣) سورة فاطر ١٢

(٢) سورة المائدة ١٠٠

(٥) سورة الحشر ٢٠

(١) سورة النساء ٩٥

(٤) سورة الحديد ١٠

وقد يحل محل أداة النفي استفهام يؤدي معنى النفي ، مثل قوله تعالى : « قل هل يستوى الأعمى والبصير ؟ أم هل تستوى الظلمات والنور ؟ »^(١) .

والثاني أن ينتقدم ذكر الشيئين أو الأشياء المراد نفي المساواة بينهما ، ويجيء نفي التسوية بعد ذلك ، مثل قوله تعالى : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ؟ لا يستوون عند الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين »^(٢) .

ومثل قوله سبحانه : « مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع ، هل يستويان مثلاً ؟ أفلا تتذكرون »^(٣) . ومثل قوله تعالى : « أفمن كان مؤمناً لا كمن كان فاسقاً ؟ لا يستوون »^(٤) .

وفي كلا الحالتين نجد أن النفي تحقق في هذه الآيات وأمثالها بأداة نفي واحدة . ولا فرق بين أداة النفي والاستفهام

المراد به النفي . لكن في القرآن الكريم نفيًا للمساواة بأسلوب آخر ؛ إذ وقعت (لا) النافية مكررة بعد عطف في ثلاث آيات :

(الآية الأولى)

قال تعالى : « وما يستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوى الأحياء ولا الأموات ، إن الله يسمع من يشاء ، وما أنت بمسمع من في القبور ، إن أنت إلا نذير »^(٥) .

فنفت (ما) في الآية الكريمة الأولى المساواة بين اثنين متضادين هما الأعمى والبصير ، سواء أكان المراد بالعمى والبصر معناهما الحقيقي أم المراد المعنى المجازي لكل منهما وهو الكفر والإيمان ، وهذا النفي جاء على الأسلوب المعهود .

لكن النفي جاء بعد ذلك في أسلوب آخر « ولا الظلمات ولا النور » و « ولا الظل

(٢) سورة التوبة ١٩

(٤) سورة السجدة ١٨

(١) سورة الرعد ١٦

(٣) سورة هود ٢٤

(٥) سورة ناطر ١٩ - ٢٣

ولا الحرور « و » وما يستوى الأحياء
ولا الأموات » .

فلماذا جاءت (لا) مكررة بعد الظلمات ،
وبعد الظل ، وبعد الأحياء ؟ .

لقد تتبعنا ما ذكره بعض المفسرين ،
وآثرت أن أثبتته مرتباً ترتيباً زمنياً ، ثم
أنامله ، لعلى أرجح بعضه ، أو لعلى
أعرض رأياً آخر .

١- ذكر ابن جرير الطبري (٣١٠ هـ)
رأياً :

أولهما أن بعض نحاة البصرة ذهبوا
إلى أن (لا) تشبه أن تكون زائدة ،
لأنك لو قلت : لا يستوى عمرو ولا زيد في
هذا المعنى لم يجز إلا أن تكون (لا)
زائدة .

والثاني أن غيرهم قال : إذا لم تدخل
(لا) مع الواو فإنما لم تدخل اكتفاءً

بدخولها في أول الكلام ، فإذا دخلت فإنه
يراد بالكلام أن كل واحد منهما لا يساوى
صاحبه ، فمعنى الكلام إذا أعيدت (لا)
مع الواو عند صاحب هذا القول : لا يساوى
الاعمى البصير ، ولا يساوى البصير
الاعمى ، فكل واحد منهما لا يساوى
صاحبه ^(١) .

٢- وذكر الزمخشري (٥٣٨ هـ) أن
(لا) لتأكيد معنى النفي ^(٢) .

٣- ونقل القرطبي (٦٧١ هـ) عن
الأخفش سعيد أن (لا) زائدة ، والمعنى
ولا الظلمات والنور ولا الظل والحرور ^(٣) .

٤- وقال النيسابوري (٧٢٨ هـ) إن
(لا) كررت في الأمثال الأخيرة دون
الأول ، لأن المناقاة بين العمى والبصر
ليست ذاتية كما في سائرهما ، وقد يكون
شخص واحد بصيراً بإحدى العينين
أعمى بالأخرى ^(٤) .

(١) تفسير الطبري ٢٢/٨٥

(٣) تفسير القرطبي ١٤/٣٣٩

(٤) تفسير النيسابوري على هامش الطبري ٢٢ / ٨٤ وقال : قدم الأشرف في مثلين وهو الظل والحي ، وأخر في
الآخرين ، فذهب أهل الظاهر إلى أن ذلك لرعاية الفواصل ، وذهب المحققون إلى أنهم كانوا قبل البعث في ظلمة الليل
فصاروا إلى نور الإيمان في زمان محمد صلى الله عليه وسلم ، فلهذا الترتيب قدم مثل الكافر وكفره على مثل المؤمن وإيمانه . ولما ذكر
المآل والمرجع قدم ما يتعلق بالرحمة على ما يتعلق بالغضب لأن رحمته سبقت غضبه . ثم إن الكافر المصير بعد البعث صار أضل من الأعمى
وشابه الأموات في عدم إدراك الحق ، فقال « وما يستوى الأحياء » أي المؤمن الذي آمن بما أنزل الله « والأموات »
الذين تليت عليهم الآيات ولم تنجع فيهم البينات ، فأنهم عن المؤمنين لوجود حياتهم قبل ممات الكافرين المعاندين ≡

٥ - وذهب أبوحيان الأندلسي (٥٧٥٤هـ) إلى أن (لا) زائدة لتأكيد النفي ، وحكى عن ابن عطية أن دخولها يفيد التكرار ، كأنه قال : وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات والنور ، ولا النور والظلمات ، ولا الظل والحرور ، ولا الحرور والظل ، وما يستوى الأحياء والأموات ولا الأموات والأحياء ، فاستغنى بذكر الأوائل عن الثواني ودل مذكور الكلام على متروكه .

ثم رد أبوحيان على هذا الرأي بقوله : وما ذكر غير محتاج إلى تقديره ، لأنه إذا نفي استواء الظلمات والنور فأى فائدة في تقدير نفي استوائهما ثانياً وادعاء محذوفين^(١) ؟

٦ - أما ابن كثير (٧٧٤ هـ) فإنه لم يعرض للحرف (لا)^(٢) .

٧ - وأما الزركشى (٧٩٤ هـ) فإنه نقل عن ابن عطية أن (لا) دخلت على نية التكرار ، كما سبق فيما نقله عنه أبوحيان الأندلسي^(٣) .

٨ - ثم كتب فضيلة الدكتور عبد الرحمن تاج بحثاً قيمياً مفصلاً أثبت فيه أن النفي في هذه الآيات مسلط على الأفراد نفسها ، لأن الظلمات الحقيقية الخمسية متعددة متفاوتة قوة وضعفاً وشدة وخفة ، وكذلك الظلمات المعنوية التي جعلت تلك تمثيلاً لها وهى الضلالات ، فهى أنواع متفاوتة أيضاً ، وكل من النور الحسى المعهود والمعنوى الذى هو الهداية والرشاد له أفراد متفاوتة قوة وضعفاً .

== ووجد الأعمى والبصير لأن المراد أن أحد الجنسين لا يداوى بجنس الآخر من جهة العمى والبصر ، ولعل فرداً من أحدهما قد يساوى الفرد الآخر من جهة أخرى .

وكثير الكلام في إقرار الظل والحرور ، وإنما جمع الظلمات ووجد النور ، لأن الحق واحد والشبهات كثيرة ، وإنما جمع الأحياء والأموات ، لأن المراد أن أحد الصنفين لا يداوى الآخر، سواء قابلت الجنس بالجنس أو قابلت الفرد بالفرد

(١) البحر المحيط ٣٠٨/٧

(٢) تفسير ابن كثير ٥٥٢/٣

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشى ١٢٣/٣ و ٣٥٧/٤

ومثل هذا يقال في الظل والحرور ،
فهما مختلفان حسياً شدة ونخفة ، أى أن
لكل منهما أفراداً متفاوتة في ذلك . وقد
قال العلماء إن المقصود بهما في الآية
الإشارة إلى المصير الأخرى وما يلقاه الإنسان
فيه من الجزاء ، فهما تمثيل للشواب
والعقاب ، وكل من الشواب والعقاب
درجات متفاوتة تفاوتاً عظيماً .

وكذلك الحال في الأحياء والأموات
وما جعل الأحياء والأموات تمثيلاً لهم وهم
المؤمنون والكفار ، كل منهم ذو مراتب
ودرجات . وإذا كان ذلك كذلك أمكن
أن يحمل نفي الاستواء في كل واحد
من هذه المذكورات على أنه نفي استوائه
في نفسه ، أى نفي تساوى أفرادها ذاتها ،
ويكون هذا أولى وأرجح مما قيل من
زيادة (لا) لأنه يحفظ أصالتها ،
ويوفر عليها معناها^(١) .

تعقيب

١ .. هكذا تبين أن الآراء السابقة تدور
في عدة اتجاهات : لأن (لا) إما زائدة
أوشبه زائدة ، وإما لتأكيد النفي ،

وإما أصيلة والنفي منصب على كل كلمة
بعدها لأن الظلمات درجات ولأن النور
درجات ، وإما أصيلة تؤدي معنى مفهومها
من السياق ولكن ما بعدها محذوف دل
عليه المذكور .

فأما القول بزيادتها أوشبه زيادتها فإنه
مرفوض ، لأن القرآن الكريم وهو ذروة
البلاغة أسمى من أن يقع فيه حرف
مزيد أو كلمة متحمة .

فإن قيل إن الزيادة لغرض بلاغى كان
هذا القول دليلاً على الأصالة واستبعاداً
للزيادة ، لأن الغرض البلاغى لا يتم بغير
ما قيل إنه مزيد .

وأما القول بأنها لتوكيد النفي فإنه
مردود بأن هذا التوكيد لم يجرى في نفي
المساواة بين الأعمى والبصير ، فلماذا
جاء في نفي المساواة بين ما بعدهما ؟
ولو أنها مكررة لتوكيد النفي لوافق جميع
المفسرين على هذا .

وأما الحكم بأنها أصيلة جاءت لنفي
المساواة بين ما تدل عليه كل كلمة بعدها
من درجات ودركات فإنني أرى أنه
لا يلزم الغرض من الآيات الكريمة ،

لأنها تمدح الإيمان وترغب فيه وتشوق إليه ، وتذم الكفر وتنفر منه وتحذر من عواقبه بتمثيل حسى لاشك فيه هو أن البصير والأعمى لايتساويان ، وأن النور والظلام متناقضان ، وأن الظل والحر متضادان ، وأن الحى والميت متباينان ، فكذلك الإيمان والكفر . ومعنى هذا أنه ليس المراد من الآيات الكريمة أن النور درجات وأن الظلام درجات ، ولا أن الظل طبقات وأن الحر طبقات ، ولا أن الأحياء أصناف وأن الموتى أصناف ، لأن هذا معناه أن المؤمنين ذور درجات وأن الكفار أصحاب درجات ، وهذا حق ، لكنه لايفيد فى هذا المقام مقام الترغيب فى الإيمان وبيان آثاره الطيبة الحميدة والتنفير من الكفر وتبيان جرائره الخبيثة .

وإذا كان المؤمنون أصحاب درجات عالية تناسب إيمانهم بالله وطاعتهم له ، فإن الكفار لايدِينون بأنهم أصحاب درجات تناسب كفرهم وأعمالهم ، ولو أنهم آمنوا بهذا فإن إيمانهم به مقطوع عن التفرقة المعسوسة بين هداية الإيمان

وضلال الكفر التى مثلتها الآيات الكريمة بأربعة أمثلة لايمترى أحد فى الإقرار بتباينها .

٢- وكنت قد فكرت طويلا فى هذا الأسلوب ، فسنح لى رأى استرحت إليه فلما تتبععت آراء المفسرين وجدت ابن عطية قد أشار إلى هذا الرأى^(١) ، فازددت به اقتناعا وهو أن - والله أعلم - فى الكلام محذوفا دل عليه السياق ، والكلام بغير حذف هو : وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات والنور ، ولا النور والظلمات ، ولا للظل والحرور ، ولا الحرور والظل ، وما يستوى الأحياء والأموات ، ولا الأموات والأحياء .

ومن عجب أن رأى ابن عطية ظل مجهولا أو مغمورا هذا الزمان الطويل .

وقد يبدو هنا سؤال هو : إذا كانت المساواة بين الظلمات والنور قد نفيت فلماذا كرر هذا النفي بين النور والظلمات؟ وإذا كان نفي المساواة بين الظل والحرور قد وقع فلماذا كرر هذا النفي بين الحرور والظل؟

(١) كما ذكر أبو حيان الأندلسى فى رقم (٥) والزركشى فى كتابه البرهان ١٢٢/٣

وإذا كان نفي المساواة بين الأحياء
والأموات قد حدث ، فاماذا كرر النفي
بين الأموات والأحياء ؟

أليس في النفي الأول ما يغنى عن
الثاني ؟

والجواب عن هذا أن المراد بنفي
المساواة بين الظلمات والنور كما في
في الآية الكريمة هو الدلالة على أن الظلام
لايستطيع أن يتساعى إلى النور في إشراقه
وهدايته وجماله ونفعه وارتياح النفوس
له وشوقها إليه ، ومن هذا يتبين أن
وجه الشبه مقصور على النور .

أما نفي المساواة المقدر بين النور
والظلمات فإن المراد منه أن النور لايمكن
أن يهبط إلى ما يتصف به الظلام من
قتام وتضليل ووحشة ومجاجة الضيق
والكآبة والحيرة والمعاطب ، فوجه الشبه
هنا مقصور على الظلام .

كذلك لايمكن أن يهبط الظل إلى درك
الحر اللافح الخانق الداعي إلى الضجر
والضيق والسقم ، فوجه الشبه هنا مقصور
على الحر ، ولا يمكن أن يسمو الحر إلى
مقام الظل البارد المنعش الشارح للصدور
الملائم للحياة الغليظة والعمل المشهر ،

فوجه الشبه هنا مقصور على الظل .
وكذلك لايتنزل الحي إلى أن يساوى
الميت في فقدانه للحياة ومخافة الناس
من جثته ومسارعتهم إلى دفنه ،
فوجه الشبه هنا مقصور على الميت ،
ولا يستطيع الميت أن يشبه الحي المتحرك
النائم المستمتع بمظاهر الشعور كلها ،
أى أن وجه الشبه مقصور على الحي .

ومن هذا كله يتبين أن الإيمان والكفر
متباينان أشد التباين ، فلا المؤمنون
يشبهون الكفار في جحودهم لربهم وفي
ضلالهم وفي معصيتهم لخالقهم وفي
غضبه عليهم وفي عقابهم المتوقع ،
ولا الكفار يشبهون المؤمنين في إيمانهم
بربهم وفي اهتمامهم لطاعته وفي رضوانه
عليهم وفي ثوابهم المأمول .

والغرض من هذا تأكيد المخالفة وزيادة
توضيح المباعدة كما نقول : ليس
الناجح كالراسب ولا الراسب كالناجح ،
ونحن نريد أن الناجح لا يشبه الراسب
في إخفاقه وحسرتة ، وأن الراسب لا يشبه
الناجح في ظفريه وبهجتة .

والهدف هنا ضرب من البلاغة القرآنية
التي تستغنى بالمدحور عن المحذوف المفهوم .

وقد يسترعى الانتباه أن الآيات الكريمة
نفثت مساواة الأدنى للأعلى في حالتين
هما العسى والبصر والظلام والنور ، ونفثت
مساواة الأعلى للأدنى في حالتين هما الظل
والحرور ، والحياة والموت .

وحينما نقدر المحذوف يتقدم الأدنى
تارة ويتقدم الأعلى تارة ، والغرض
من التكرير بتقديم الأدنى مرة وتقديم
الأعلى مرة تأكيد المنافاة ، وإبطال
المشابهة على أى وجه من الوجوه ، سواء
أتقدم الأعلى أم تقدم الأدنى .

ولاشك أن الأسلوب الشائع في القرآن
الكريم وفي غيره يجرى على نقي مشابهة
الناقص للكمال ، ولكن بعض الآيات
الكريمة جاءت لتبني عن الكامل شبهه
بالناقص ، مثل قوله تعالى : « إذ قالت
امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في
بطني محرراً ، فتقبل مني إنك أنت
السميع العليم . فلما وضعتها قالت رب
إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت ،
وليس الذكر كالأنثى ، وإني سميتها مريم

وإني أعينها بك وذريتها من الشيطان
الرجيم^(١) » .

فتحسرت لأن أملها في أن يكون مافى
بطنها ذكراً أخفق ، إذ كانت نذرتة
محرراً لسدانة المسجد الأقصى ، وعبرت
عن حسرتها بأنها وضعت أنثى ، وبأن
الذكر في قوته وجلده على العبادة وقدرته
على خدمة البيت ليس كالأنثى في ضعفها
ولينها وقلة احتمالها ، وكان المعهود أن
تقول : وليست الأنثى مثل الذكر .

ومثل قوله سبحانه : « يا نساء النبي
لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا
تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه
مرض ، وقلن قولاً معروفاً »^(٢) .

جاءت الآية الكريمة على هذا النسق ،
ولم تجيء هكذا : ليس أحد من النساء
مثلكن .

أى أنكن يا نساء النبي لستن فى شرف
مكانتكن وعلاء قدركن ونظرة المسلمين
والمسلمات إليكن مثل النسوة الأخريات
فى مكانتهن العادية وافتقارهن إلى

(١) سورة آل عمران ٣٥/٣٦

(٢) سورة الأحزاب ٣٢

ففضلكن وسابقتكن وصلاتكن برسول
الله صلى الله عليه وسلم .

وكذلك قوله تعالى : « أَفَمَن يَخْلُقُ
كَمَن لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ^(١) » فقدم
الأعلى في نفي المشابهة ، لأن المراد هل
يستوى الله تعالى وهو الخالق القوى
القادر بآلهة تعبدونها وهي مصنوعة
مخلوقة عاجزة عن الخلق وعن النفع
والضر ؟

وكذلك قوله سبحانه وتعالى : « أَفَمَن
اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنْ
اللَّهِ ، وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ^(٢) » .
أى هل يستوى من آمن بالله وأطاعه
واستحق ثوابه ورضاه بمن كفر بالله
وعصاه واستحق سخطه وعقابه ؟

وقوله تعالى : « أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا
حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ ^(٣) » .
أى هل يستوى من وعدناه ثوابنا الحق
فيلقباه ومن عصانا فغضبنا عليه واغتر

بنعيم الحياة الدنيا ، وهو في القيامة من
أصحاب النار .

وقوله سبحانه وتعالى : « أَفَمَن كَانَ
مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ؟ لَا يَسْتَوُونَ ^(٤) »
وقوله عز وجل : « أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ
فِي الْأَرْضِ ؟ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ؟ ^(٥) »
ففي هذه الآيات الكريمة نفي المساواة أو
المشابهة بين الأدنى والأعلى مع تقديم
الأعلى في الذكر .

ولهذا الأسلوب نظائر في الشعر
القديم ، منها قول المرقش الأكبر :
لَسْنَا كَأَقْسَامٍ مَّطَاعِمُهُمْ
كَسَبُ الْخَنَاءِ وَنَهْمُكَ الْمُحَرَّمَ ^(٦)
فدنى عن الأعلى الذين يتعففون في كسب
المال شبههم بالأدنين الذين يسلكون
إلى كسب المال أى طريق . وكان
الأسلوب الشائع أن يقول ليس أصحاب
الفساد وانتهاك الحرم مثانا . ومنها قول
معن بن أوس في شكواه من ابن عمه :

(٢) سورة آل عمران ١٦٢

(٤) سورة السجدة ١٨

(١) سورة النحل ١٧

(٣) سورة القصص ٦١

(٥) سورة ص ٢٨

(٦) المفصليات ٢/٤٠ : الخنا : الفساد . نهمة المحرم : انتهاك الحرم أى لا نهجو الناس ليعطونا

ويسعى إذا أبنى ليهدم صالحي

وليس الذى يبني كمن شأنه الهدم
وكان المتوقع أن يقول وليس الذى
يهدم كالذى يبني ، ولكنه أراد بهذا
الأسلوب أن الذى يبني مجد القبيلة
يتصف بالنفع والغيرة والإصلاح
والإيثار والشرف فلا يشبه الذى يهدم
مجد القبيلة ، لأنه يتصف بالتخريب
والتدمير والحق والفساد والدمار .

وقول النجاشي في رده على قصيدة
كعب بن جعيل :
جعلتم علياً وأشياعه

نظير ابن هند أما تستجونا ؟

فهو يلوم الشاميين على أنهم هبطوا
بمكانة علي بن أبي طالب إلى منزلة معاوية
ابن أبي سفيان ، ولم يقل إنهم ارتفعوا
بمعاوية إلى مقام علي .

(الآية الثانية)

قال سبحانه وتعالى : « وما يستوى
الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ولا
المسيء ، قليلاً ما تتذكرون ^(١) » .

فماذا قالوا في (لا) هنا ؟

١- اكتفى الطبري بتفسير الآية
الكريمة ، وجاء في تفسيره قوله :
لا يستوى المؤمنون بالله ورسوله المطيعون
لربهم ولا المسيء ، وهو الكافر يربه ،
الخاص له ، المخالف لأمره ^(٢) .

ولم يذكر شيئاً عن (لا) في
هذه الآية .

٢- وصنع الزمخشري صنيعه ^(٣) .

٣- وكذلك صنع القرطبي ^(٤) .

٤- أما النسفي (٥٧٠١) فقال إنها
زائدة ^(٥)

٥- وأما النيسابوري فلم يذكر
شيئاً ^(٦) .

٦- وأما أبو حيان الأندلسي فقال
إنها كررت لتوكيد النفي ، لأن جملة
الصلة وما عطف عليها طالت ^(٧) .

٧- وأما ابن كثير فلم يذكر شيئاً ^(٨) .

(٢) تفسير الطبري ٥١/٢٤

(٤) تفسير القرطبي ٣٢٥/١٥

(٦) على هامش الطبري ٥٢/٢٤

(٨) تفسير ابن كثير ٨٥/٤

(١) سورة غافر ٥٨

(٣) الكشف ٣٧٥/٣

(٥) تفسير النسفي ٢٥٧/٢٤

(٧) البحر المحيط ٤٧٢/٧

٨- وأما أبو السعود (٥٩٨٢) فقال
مثل أبي حيان ، وزاد عليه أن المقصود
نفي مساواة المسيء للمحسن فيما له من
الفضل والكرامة ، وقال : هذا الرأي
الثاني هو الصواب ، لأن (لا) هنا
أصيلة دلت على أن المسيء لا يساوى
المحسن بعد أن فهم من الآية نفسها
أن المحسن لا يساوى المسيء ، لأن
التقدير في (الذين آمنوا وعملوا
الصالحات) ولا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات ^(١) .

٩- ثم ذهب فضيلة الدكتور عبد
الرحمن تاج إلى مثل رأيه السابق وهو
أن المراد نفي استواء المؤمنين الذين
يعملون الصالحات أنفسهم ، لأن
أفرادهم كثيرون متفاوتون في قوة الإيمان
والعمل الصالح . ثم إن المقابل الذي
هو المسيء في العقيدة والعمل له أفراد
كثيرون أيضا متفاوتون في درجات هذه
الإساءة ، فأريد نفي المساواة فيما بينهم
بقوله سبحانه « ولا المسيء » . ولا شك

أن مجموع هذا وذاك يلزمه انتفاء
المساواة بين المحسنين في العقيدة والعمل
والمسيئين فيهما ، فإنه إذا ثبت أن
النوع الواحد قد انتفت المساواة فيه
نفسه، أي انتفى التساوى بين أفراد
نفسه فإنه يلزم انتفاء المساواة بين النوعين
أوبين أفراد النوعين بالطريق الأولى
وهذه نتيجة لا يمكن الوصول إليها مع
زيادة (لا) ^(٢)

تعقيب

١- هكذا مر بعض المفسرين بالآية
مرورا لا ذكر فيه للحرف (لا) وذهب
آخرون إلى مثل ما ذهبوا إليه في الآية
السابقة .

والتعقيب هنا لا يختلف عن التعقيب
هناك ^(٣) .

٢- والذي أرجحه - والله أعلم - أن
في الكلام حذفاً يدل عليه السياق ،
وبغير الحذف يكون التعبير هكذا :
وما يستوى الذين آمنوا وعملوا الصالحات
والذين كفروا وعملوا السيئات ، ولا

(١) تفسير أبي السعود ٦٣١/٧

(٢) البحوث والمحاضرات لدورة التجميع الذوى الثالثة والثلاثين ٨٧

(٣) نفي التساوى بين أفراد ما بعدها لا يحقق الغرض من الآية وهو نفي المشابهة بين المؤمنين والكفار .

الذين كفروا وعملوا السيئات والذين آمنوا وعملوا الصالحات .

أى أن المؤمنين لا يشبهون الكفار في ضلالهم وفساد عقائدهم وسوء أعمالهم . والعذاب المعدلهم ، فوجه الشبه هنا خاص بالكفار ، وكذلك لا يشبه الكفار المؤمنين في اهتدائهم وصواب عقائدهم وطيب أعمالهم واستحقاقهم ثواب الله المعدلهم ، فوجه الشبه هنا خاص بالمؤمنين ، كما تبين في الآيات السابقة .

ومن هذا يتضح أن في الآية محذوفا دل عليه الكلام الباقي وأغنى عنه ، وقد تقدم التفصيل والتدليل والتعليل في الآية السابقة

(الآية الثالثة)

قال تعالى : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . وما يُلَقَّاها إلا الذين صَبَرُوا ، وما يُلَقَّاها إلا ذو حظ عظيم »^(١) .

١ - قال الطبرى إن (لا) مكررة ، والمعنى ولا تستوى الحسنة والسيئة ، لأن كل ما كان غير مساو شيئا فالشيء الآخر غير مساويه ، كما أن كل ما كان مساويا لشيء فذلك الشيء مساو له ، فيقال فلان مساو فلانا وفلان له مساو ، فكذلك فلان ليس مساويا لفلان ولا فلان مساويا له ، فلذلك كررت (لا) مع السيئة ولو لم تكن مكررة معها كان الكلام صحيحا .

وقد كان بعض نحوي البصرة يقول : يجوز أن يقال (لا) الثانية زائدة توكيدا ، كما في قوله تعالى : « لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله »^(٢) أى لأن يعلم أهل الكتاب ، وكما قال تعالى : « لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة »^(٣) .

وكان بعضهم ينكر قوله هذا في « لئلا يعلم أهل الكتاب » وفي قوله « لا أقسم بيوم القيامة »^(٤) .

٢ - وقال الزمخشري إن الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما ، فخذ

(٢) سورة الحديد : ٢٩

(٤) تفسير الطبرى ٧٤/٢٤

(١) سورة فصلت : ٣٤ ، ٣٥

(٣) سورة القيامة ١ - ٢

بالحسنة التي هي أحسن من أختها إذا
اعترضتك حسنتان ، فادفع بها السيئة
التي ترد عليك من بعض أعدائك .
ومثال ذلك رجل أساء إليك إساءة ،
فالحسنة أن تعفو عنه ، والتي هي أحسن
أن تحسن إليه مكان إساءته إليك ،
مثل أن يذمك فتمدحه ، ويقتل ولدك
فتفتدي ولده من يد عدوه ، فإنك إذا
فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل
الولي الحميم مصافاة لك .

وقيل (لا) مزيدة ، والمعنى ولا تستوى
الحسنة والسيئة^(١) .

٣ - وقال القرطبي نقلا عن الفراء
إن (لا) صلة ، أي لا تستوى الحسنة
والسيئة ، وأنشد :

ما كان يَرْضَى رسول الله فعلهم

أو الطيبان أبو بكر ولا عمر
أراد (أبو بكر وعمر) أي لا يستوى ما أنت
عليه من التوحيد وما عليه المشركون
من الشرك^(٢) .

٤ - وذكر النيسابوري أن (لا)
زائدة لتوكيد نفي الاستواء ، والمعنى

لا تستوى الحسنة والسيئة قط ،
ومثالهما الإيمان والشرك ، والخلم
والغضب ، والطاعة والمعصية ، واللفظ
والعنف^(٣) .

٥ - وذكر أبو حبان الأندلسي رأيين :
أحدهما أن (لا) زائدة والآخر أنها
أصلية ، لأن الحسنة جنس والسيئة
جنس ، فالمعنى إذن ولا تستوى الحسنات
لأنها متفاوتة في أنفسها : ولا السيئات
لأنها متفاوتة أيضا^(٤) .

٦ - أما ابن كثير فلم يذكر شيئا^(٥)

٧ - وأما الزركشي فقال إن (لا)
تزد مع الواو بعد النفي ، كما في
هذه الآية ، لأن استوى من الأفعال
التي تطلب اسمين ، أي لاتليق
بفاعل واحد ، نحو اختصم ، فعلم
أن (لا) زائدة .

وقيل إنها دخلت في السيئة لتحقيق
أنه لا تساوى الحسنة السيئة ولا السيئة
الحسنة . وقال إنها ليست زائدة عند من قال
إن جنس الحسنة لا يستوى أفرادها ،

(١) الكشف ٣/٣٩٢ يتفق الرأي الأول ورأى فضيلة الدكتور عبد الرحمن تاج

(٢) على هامش الطبري ١٠/٢٥ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤/١٠٠ .

(٤) تفسير القرطبي ١٥/٣٦١

(٥) البحر المحيط ٧/٩٨

وجنس السيئة لا يستوى أفراده ،
وهو الظاهر من سياق الآية ، فليست
زائدة ، والواو عطفت جملة على جملة^(١) .

٨ - وارتضى فضيلة الدكتور عبد
الرحمن تاج ما ارتضاه في الآيتين
السابقتين وهو أن المقصود نفي استواء
أفراد الحسنة نفسها ، ثم نفي استواء
السيئة كذلك ، فإن لكل من
أفراد الحسنة والسيئة أفرادا متفاوتة في
القوة والأثر .

وإذا كان الأمر كذلك ثبت بطريق
الأولى عدم التساوي بين الحسنة والسيئة^(٢) .

تعقيب

١ - تبين أن الآراء التي قيلت هنا
لا تختلف عما قيل في الموضعين السابقين ،
فلا مدعاة للمناقشة ، لأن المناقشة
السابقة تغنى .

وإذا كان من الحق أن الحسنات متفاوتة
القدر والأثر والمثوبة ، وأن السيئات
مختلفة الجرم والضرر والعقوبة ،
ولهذا جاءت (لا) أصيلة لنفي المساواة
بين أفراد ما بعدها ، إذا كان هذا

حقسافانه لا يناسب ما تشونخاه الآية
الكريمة من تبين الفرق الجسيم بين
الخير والشر ، وبين الحسن والقبيح ،
وبين الإحسان والإساءة ، تمهيدا
للأمر بالحلم والصبر والعفو ومقابلة
السيئة بالحسنة ، لأن هذه المقابلة
تستل سخائم النفوس ، وتلين القلوب ،
تغرس المودة ، وتوثق صلة الفرد
بالفرد وصلة المجموع بالمجموع .

٢ - فأرجح - والله أعلم - أن في
الكلام محذوفا ، لأن أصله ولا تستوى
الحسنة والسيئة ولا السيئة والحسنة ،
أى لا تستوى الحسنة والسيئة في
شروع السيئة وأذاها وإشغالها للمضغ
والعداء والانتقام ، ولا تستوى السيئة
والحسنة في محامد الحسنة وطيب
آثارها وتأليفها لقلوب الأفراد والجماعات .
ولا شك أن التعبير بهذه الصورة
يتضمن أيضا توكيدا لنفي التساوي
بين الحسنة والسيئة ، سواء أكان
المقصود محامد الحسنة أم مخازي السيئة
أم بيان الفروق العظيمة بينهما كما سبق
في الآيات الأولى .

أحمد الحوفي
عضو المجمع

(٢) البحوث والمحاضرات للدورة الثالثة والثلاثين ٨١

(١) البرهان في علوم القرآن ٧٨/٣ و ٣٥٧/٤

اللغة العربية

مكانتها القومية والعالمية في القسيم والحديث

للأستاذ محمد شوقي أمين

الوثقى بين الناس بعضهم وبعض ، فتجعلهم على صعيد رحيب يسوده جو نقي ، يتبادلون به الآراء والعواطف والأحاسيس ومظاهر السلوك الاجتماعي العام .

ونحن إذا تأملنا مدلول « القومية » العربية « التي نعبّر عنها في الغالب بكلمة واحدة ، هي « العروبة » ، تبين لنا أنها لا تعنى مجرد جنس أو نسب أو عقيدة ، ولا مجرد علاقات من وحدة الأرض أو ذكريات التاريخ ، ولكنها تعنى دلالة صريحة جهرية على معنى بارز موسع من المشاركة الجماعية في كيان متميز ، يسطع فيه لألاء اللغة العربية بكل ما فيها من سحر وجاذبية ، ويكل ما تحتويه من زاد ثقافي وفكري وروحي .

٢- ومكانة « اللغة العربية » قومية يرجع بها التاريخ إلى ما اصطاحنا على تسميته « العصر الجاهلي » . ففي هذا العصر كان للعرب في جماعاتهم لغتهم التي وحدت شعورهم بكيانهم وتميزهم ، فبنوا عليها دعائم قوميتهم . وقد غلبت هذه « اللغة المشتركة » على شبه الجزيرة العربية ، وعبرت عن

١- مفهوم « القومية » أشبه بالطيف الشمسي يتكون من حزمة من الألوان ، لكنه يتجمع في بلورة ليعت شعاعه الألاق . ومهما يكن من تخالف المفاهيم للقومية ، ومهما يكن من تعدد مقوماتها من وحدة أرض أو لغة أو تاريخ أو مصالح مشتركة أو هتافات روحية ، فليس من شك في أن هذه المقومات تلتقي عند الشعور الجماعي بالانتماء ، والتقدير المشترك للذكريات ، والتجاوب الذهني والوجداني في المجالات الحيوية على تنوعها من اجتماعية وثقافية واقتصادية ودينية .

ولا يغالي من يقول بأن « اللغة » هي الأساس في ذلك كله ، إذ هي وسيلة التفاهم الفكري ، وأداة التعاطف الروحي ، فالشعور الموحد مدين أعظم الدين للاشتراك اللغوي في عمقه وشموله .

وليس المقصود باللغة مدلولها السطحي في أنها مجرد وصلة للتعبير عن الأفكار ، ورمز لما يخالج الأفئدة ، بل هي تيار يازج العقل والنفس ، وطاقة تتولد بها الألفة

مرافق حياتها ، وسجلت ألوان نشاطها الاجتماعي والأدبي في نماذج رفيعة من شعر وخطب ، ومن رسائل ووصايا ، ومن قصص وأمثال .

وإن « معجم اللغة العربية » في ذلك العصر المسمى بالجاهلي ليحفل بما ينم عن معارف في زراعة وملاحة ، وفي جغرافية وتاريخ ، وفي فلك ورياضة . كما أنه يدلنا على إبداع عقلي ، وترف ذهني ، وتفوق في التصور والتخيل ، وسمو في المثل والأهداف . ومابالنا نحيل على معجم اللغة العصر الجاهلي ، لم يعن بوضعه أحد بعد ، وبين أيدينا معجم ألفاظ القرآن الكريم ، وماألفاظه في مجموعها إلا نخب طيبة موثقة من لغة ذلك العصر الذي نعينه ، وهي مرآة صافية صادقة الدلالة على أن صوت السماء القدسي إنما نزل بأغة اكتسبت بالشيوع والشمول صفة « القومية » واكتملت لها بالازدهار والنضج مزية الإبانة والإفصاح .

٣- وإن نمو اللغة العربية ونضجها من حيث الأصوات والصيغ ونظام الحمل ، وقوميتها من حيث الشيوع والشمول في البيئة الحضارية من ذلك العصر المعروف بالجاهلي ، هو الذي هيأها أن تستقبل الوثبة الكبرى بعد ظهور الإسلام ، فعاشت حياتها المديدة تتفاعل وتتطور ، وتخترن عناصر من القوة والفراة ، حتى نهضت بتيعاتها الحضارية مع التقدم الإنساني المطرد ،

وظلت على اتساع مناطقها لغة مشتركة بين من تظلمهم « القومية العربية » ، محافظة على وحدتها ، متغلغلة في مجموعات من الأمم والشعوب ، حريصة على تحقيق التوازن بين ضرورات التطور والتغيير ومقومات البقاء والصمود : فأتيح لها أن تستوعب مااستوعبت ، مفسحة صدرها لتراث الإنسانية ومعارفها ، وهضمت كل ماقدم إليها ، وقاومت مايعوق انطلاقها . وبهذا جمعت اللغة العربية بين كونها « لغة قومية » وكونها « لغة عالمية » في آن . فهي « بقوميتها » لسان شعور متوحد مشترك ، وثرجمان كيان بارز متميز ، وهي بإحاطتها برقعة كبيرة من المعمورة وجماعة وافرة من الأمم والشعوب تمثل « لغة عالمية » بأوفى ماتحتمل الكلمة من معنى (١) .

٤- وقد أعان « اللغة العربية » على ذلك أنها ظفرت باكتساب قدسية التعبير عن وحى السماء ، في كتاب الله المبين ، فأضفى عليها من جلاله ونفخ فيها من سلطانه ، ومن ثم كانت لغة للدين كما هي لغة للدنيا ، وانتشرت في الأصقاع مشرقة ومغربة ، تدرس في أصبهان وشيراز ، كما تدرس في دمشق وبغداد ، وينبغ فيها كتاب وشعراء في قرطبة والحمرات ، كما ينبغون في القاهرة والقيروان ، وبذلك تمت لها الهيمنة من أواسط الهند شرقا إلى جبل طارق غربا ، ومن البحر الأسود شمالا إلى المحيط الهندي جنوبا . وهي

(١) من أو في ماكتب في اللغة العربية ومكانتها القومية والعالمية ما جاء في مؤلف الدكتور إبراهيم أنيس « اللغة بين القومية والعالمية » وقد اعتمده الكاتب في عدة مواضع .

بذلك أسبق لغة عالمية ، إذ تجلت حقيقة قبل أن يعرض المحدثون لفكرة اللغة العالمية أو يحددوا معالمها .

٥ - وبوساطة « اللغة العربية » عرفت الأمة العربية في محيطها الواسع : طب أبقراط ، وفلك بطليموس ، وهندسة إقليدس ، وفلسفة أرسطو ، وسائر علوم إغريقيا وإسكندرية ، ومعارف الهند والفرس والسوريان والقبط ، ولولا أن اللغة العربية نقلت بلسانها تلك الذخائر على أقلام الأعلام في بيت الحكمة ودار العلم وغيرهما من معاهد الترجمة والدرس ، لتأخرت المدنية الإنسانية قرونا . فحضارة البشر مدينة للغة العربية بنهضتها الأوربية الحديثة . ولو تصورنا أن هذه اللغة الحية لم تحافظ على التراث العلمي الحضاري ولم يتح لها تنميته والإبداع فيه على هذا النحو لحاز لنا أن نتصور الإنسانية وهي تبدأ رحلتها العلمية الحضارية من أول الطريق .

إن اللغة العربية لم تعد من منتصفى المؤرخين الأجانب من يقول إنه كان لابد من ظهور ابن الهيثم والبيروني والكندي لكي يظهر جاليلو وكيلر وكوبرنيك . ولولا ما أصاب البلاد العربية من محنتها بالمغول والتتار ومن حبسوا الانطلاق العربي في قماقم العبودية والجمود ، لكانت النهضة التي سجلها التاريخ الحديث لأوربا من حظ الأمة العربية بلغتها القومية العالمية ، تتقدم بها الركب الحضاري إلى أمام . وعلى الرغم

من ذلك فإن ضمير التاريخ ، لا يستطيع أن يحدد فضل تلك اللغة التي دونت كنوز العرفان وحملت أمانة إلى من تلقوها بشيرا بالتمجر الجديد .

٦ - في تلك العصور التي ازدهرت فيها البلاد العربية بالمعرفة الإنسانية ، استطاعت اللغة العربية أن تواتى العلماء بحاجاتهم من التعبير العلمي الصحيح ، ومكنتهم من أن يستخدموا فصاحة اللغة وطواعيتها لخلق أسلوب علمي قويم ، تتوافر له دقة وعمق وسلامة . وهذه هي مؤلفات ابن سينا وابن الهيثم والبيروني والحوارزمي والرازي وغيرهم تشهد بما وفقوا فيه من تجلية الحقائق العلمية النظرية والتجريبية في مختلف ضروب المعرفة ، مستعينين بما ابتدعوا من مصطلحات ومواضيع أصيلة بلسان عربي مبين .

وإن استجابة اللغة للمطالب العلمية والاجتماعية والحضارية بوجه عام ، لم تكن برهان ما تميزت به من سعة وغنى ومرانة ، ففي مادتها الغزيرة وأقيستها المتنوعة ، وفي طرائقها للوضع والاشتقاق من الألفاظ والتركيب ، وفي أدواتها ووسائطها لتأدية ألوان المعاني والدلالات - عون وثيق لمن ينشد عندها التعبير عن كل ما يجد في الحياة من الأعيان وسائر المسميات ، وما يقوم بالنفس من ضروب الخواجج والأفكار .

٧ - ولقد كان إيمان الأمة العربية بقومية لغتها باعتبار ، وعالميتها باعتبار آخر ، باعثا لها على أن تحرص على « الوحدة » اللغوية فيما يتداول من الألفاظ والأساليب في معظم ما تناوله الأقلام وتتناقله الأفهام . ولم يكن ذلك مقصورا على أنماط الأدب وفنونه ، بل كان على وجه أخص في لغة العلم ومواضيعه ؛ فعلى الرغم من تباعد الأصقاع العربية وعسر اتصال بعضها ببعض ، من حدود الصين في الشرق إلى حدود فرنسا في الغرب ، سحلت الثقافة العربية « لغة مشتركة » موحدة لها خصائصها البارزة في عباراتها وفي مصطلحاتها تيسيرا للتبادل الثقافي على أوسع نطاق ، حتى يسعنا القول بأن هناك لغة للعلم تخلقت ونمت وتنوعت على مر الزمن : « بذرت بذورها في القرن الأول الهجري ، وظهرت مصطلحات في علوم الفقه والتفسير والكلام . وتلتها في القرن الثاني مصطلحات في علوم اللغة والتاريخ ، في الأخلاق والسياسة ، في الطب والكيمياء ، في الفلك والهندسة ، واستكملت العلوم العربية في القرن الثالث لغتها ، وتوفرت لها أسباب الحياة . وما إن حل القرن الرابع الهجري ، وهو العصر الذهبي في تاريخ الثقافة الإسلامية ، حتى استقر المصطلح العلمي ، وبدئ بتسجيله في معجمات خاصة ، ومنه ما نقل إلى الفارسية ، والتركية ، ومنه ما سرى إلى اللاتينية بل بعض اللغات الأوروبية الحديثة » - كما في بحث الدكتور إبراهيم مذكور المنشور في الجزء التاسع والعشرين من مجلة « مجمع اللغة العربية » .

وهكذا كان تأصيل « اللغة القومية » وحياتها من عوادي البلبلة والتفكك والفرقة ، عاملا جوهريا في أن تصطبغ بالصبغة العالمية الناصعة ، وذلك بتأديتها لمطالب الحضارة الأدبية والعلمية والفنية والاجتماعية بين أديم وشعوب تراحت بينها دائرة المشابهات وتضايقت دائرة الفروق ، خلال مئات من السنين .

٨ - ولقد أتى على العربية حين من الدهر ، تخلفت فيه بتخلف البلاد العربية عن ركب التقدم الحضاري . وما إن مضى ذلك العهد ، وانقشعت غياهبه ، حتى كانت العربية بأصالتها وفراحتها على موعد مع النهضة العصرية الحديثة في بلاد العروبة ، وقد نيف الآن عصر هذه النهضة على مائة سنة ، تتابعت فيها الجهود لتنمية اللغة الحضارية ، فترجم الطب ، الهندسة وغيرهما في مطالع العصر ، بل لقد كان تدريسها بالعربية أول الأمر ، وفي هذا العصر ترجمت شوامخ العلم والفلسفة والفن والأدب ، من أمثال أرسطو وداروين وفرويد وشكسبير ، وألفت كتب في الفروع العلمية كافة ، وتولى تدريسها بالعربية علميون مختصون ، واستطاعت العربية العريقة ذات التجارب في الأداء العلمي أن تطاوع ما تراد عليه من تأدية المعاني الاصطلاحية : ولم تكن المشككة عندها نقل المعاني المجردة والأوصاف والشروح بل نقل أسماء الجواهر والذوات والأعيان وبعض المسميات ، ومع ذلك اتسعت لها بالوضع والاشتقاق في الأكثر ، وبالتعريب في الأقل

وبين أيدي قراء العربية ما تتابع
 خلال مائة السنة الماضية من معجمات ثنائية
 خافاة بالألوف من مصطلحات المعرفة
 الحديثة عامة ، نذكر منها تمثيلاً لأحصرها :
 معجم شرف الطبى ، ومعجم عيسى النبائى
 ومعجم مظهر للعلوم ، ومعجم الشهابى الزراعى
 ومعجم المعلوف الحيوانى ، ومعجم الجامعة
 العربية العسكرى ، ومعجم الياس العصرى
 وكذلك المورد والمنهل وغيرهما من عشرات
 المعجمات ، وهذا كله غير الجهد الحاشد
 المتواصل فيما أخرجه «مجمع اللغة العربية»
 القاهرى من عشرات الألوف من مصطلحات
 العلوم والفنون والآداب في مجموعات متوالية ،
 وغير ما لمجمع دهشق ومجمع بغداد وسواهما
 من الهيئات والمؤتمرات من جهود مساهمة
 في مجال التعبير العصرى عن التقدم الحضارى .

وفي البلاد العربية على تعددها عشرات
 الكليات والمعاهد والأندية ، تمارس الحياة
 العلمية الطليقة في أدق مجالاتها وأرفع
 درجاتها وصميم اختصاصاتها ، واللسان
 الذى ينطق بهذه الحياة العلمية ويعبر عنها
 في معظم المجالات هو اللسان العربى القومى
 العالمى . وتحت أنظارنا المطبعة العربية
 تخرج في كل يوم ، بل في كل ساعة ، من الزاد
 العلمى والثقافى ما يتناول ضروب المعرفة
 بنسب متدرجة ، وفي العرب الألوف
 من الدارسين العلميين المتخصصين الذين
 جمعوا بين اللغات المتعددة والثقافات
 المتنوعة ، وقد فتحت أمامهم النوافذ

على الصعيد العالمى ، يحصلون ويعلمون
 ويؤلفون ويترجمون بالعربية ، على نحو
 يؤكد احتواءها للأمهات المصطلحات العلمية
 وتعبيرها عن أكثرها من مادتها الفصحى .
 وتلك هي الصحافة العربية تخرج الأمة
 العربية صباح مساء مصورة أحداث الحياة
 وشئون الدنيا وما يدور فيها من وجوه
 الأنشطة ، بلسان عربى ينتقل إلى أذهان
 قراء العربية في كل مكان ، وهناك إلى
 جانب ذلك كله ، وسائل الإعلام المكتوبة
 والمسموعة التى تتجاوب بلغة عربية عصرية
 حديثة .

وليس من ريب في أن تلك الظواهر
 السائدة ، أو الحقائق الواقعة ، إنما تفصح
 في يومنا الراهن عن قومية اللغة العربية وعالميتها
 اللتين تزدادان مع الأيام استقراراً وشمولاً
 واطراد نمو ، وتمضيان قدماً في سبيل
 استيعاب الحضارة الحديثة على اختلاف
 مناحيها في العلوم والفنون والآداب وسائر
 مرافق الحياة .

وما يشهد لهذا أوثق شهادة أن الرأى
 العالمى العام في أوج مستوياته الدولية ،
 قد اعترف للعربية بقوديتها وعالميتها ،
 فهى الآن إحدى اللغات المعادودة التى تعبر
 بها « اليونسكو » ، تلك المنظمة الثقافية
 الدولية الممثلة لهيئة الأمم المتحدة ، عن
 دراساتها وبحوثها وسائر وجوه نشاطها الفكرى

٩ - والإيمان بقومية اللغة العربية وعالميتها اليوم . لا ينبع من تحمس لحسن . أو تعصب لعقيدة ، أو تأثر بعامل وهمي من العوامل الممتعة التي تثيرها الدعايات أو الشعارات العارضة ، وإنما ينبع ذلك الإيمان من واقع ثابت له جذوره الراسخة في غير تعامل أو افتعال ، فإن للعدد الجهم من الأمم والشعوب في شرق الأرض وغربها أعرافاً في هذه اللغة الأصيلة ، وإن الاعتزاز بهذه الأعراف عميق إلى أقصى حدود العمق في تلك الأمم والشعوب ، ونعني بالأعراف العزيرة تراث الآباء والأجداد الذين رفعوا مشاعل المعرفة الإنسانية في أحقاب متوالية ، وتركوا آثارهم تزدان بها اللغة العربية في كنوزها الغالية التي تعتبر ركائز للثقافة البشرية الرفيعة على امتداد التاريخ

إن الألوفاً من المؤلفين باللغة العربية يذكرون بنسبتهم إلى أقطارهم المتعددة من بسلط الأرض ، وحسبنا أن نذكر من أمثالهم : الفارابي والقزويني والليكنوي والحراساني والأصبهاني والمراكشي والدينوري والأنطاكي والطوسي والمخريطي والحوارزمي والبطلانيوسي والأفغانى والهندي والراجكوتي والطبرسي والزنجاني والصاغاني والفيروزابادي والغرناطي والبستي والقرواني والفاسي والطنجي والصقلي والزنجشري والشيرازي والتبريزي

والكشغري والخبزقي : فهؤلاء الألوفاً ينتسبون إلى بلاد لو رمز لها بشقاط على المصور الجغرافي للدنيا لملأت التقاط معظم الأرجاء ، وإن بلادهم التي نجلتهم ما برجت عامرة بأهلها الذين يباهون بما خلف الأجداد من أجداد .

١٠ - من هذا كله ، يتبين أن هناك حقيقة تسمو إلى مستوى العقيدة ، فلا سبيل إلى الخلاف عليها ، ولا جدوى من الجدل حولها ، تلك هي أن الأمة العربية بمدلول العروبة الفكرى والثقافى والروحى مصممة على الاستمسك باللغة العربية ، مؤمنة بأنها هي اللغة القومية العريقة الخالدة الخديرة بوصف العالمية الحق ، تلك اللغة التي تتمثل فيها عقلية العروبة ووجدانها ، ويتجلى في مرآتها النشاط العروبي الحيوى ، ويكمن في ذخائرها ما لهذا النشاط من أثر إيجابي في الحضارة والعمران .

ولن تدخر الأمة العربية وأشياعها وسعافى توكيد أسباب البقاء والنماء لتلك اللغة القومية العالمية التي واكبت أكثر من خمسة عشر قرناً من الزمن ، تعبر في طلاقة عن حضارة الكون ، وتنطق في صدق عن مشاعر الإنسان .

محمد شوقي أمين
عضو المجمع

١٩٥٥

الاحتجاج للقراءات

للأستاذ سعيد الأفغاني

تضافرت جهود أولى العبقريات النادرة في هذه الأمة العظيمة ، على خدمة اللغة العربية في أنحاء شتى متقاربة ومتباعدة ، من حيث كانت لغة القرآن الكريم مصدر التشريع والنظم المكافين خير الناس قاطبة . ونمت من هذه الجهود — فيما نرى — علوم اللغة العربية من لغة ونحو وصرف وبلاغة وأصول فقه . . .

وفي « الاحتجاج للقراءات » الذي أعرض له إحدى هذه الفنون التي استغل العلماء بها خدمة للكتاب العظيم ، ولا بد من عرض تاريخي موجز للقراءات يمهّد للكلام على الاحتجاج لها والنأليف فيه .

وكان التغيير تغيير أداء أحيانا من حيث الإيالة أو الترقيق أو التفتيح أو ضبط المضارع الرباعي مثل (نُنزل) و (ننزل) تخفيفا أو تشديدا ، أو تغيير لفظين والمعنى واحد .. إلى آخر ما ألتصروا من أحوال أطلقوا عليها خلافا وماضي بخلاف ، إذ لم تكن تؤدي إلى تغيير معنى ولا حكم ، وكلها مسندة إسناداً صحيحاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعداد المأخوذات منه ، وعرفوا من أمر هذه الرخصة (٢) ما لم يكونوا على علم به ، واندرجت هذه الرجوه الكثيرة من القراءة في تعبير

لم يكن كتبه الوحي الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يلقى عليهم كلاً أوحى إليه شيء ، من قبيلة واحدة بل من قبائل عدة أكثرها مضرية ، وكان الناس — على اختلاف طبعاتهم — في سعة من أمرهم في قراءة القرآن أول الأمر : كل يقرؤه بلحن قومه (أي طبعهم) ؛ حتى إذا آتت أحاديث اختلاف في قراءة سمعها من إنسان عما أقرأه الرسول ، هرع إليه شاكياً ، فسمع الرسول من كل قراءته فأقره عما قال : « هكذا أنزلت » (١) .

(١) انظر مثلاً الجامع الصحيح للبخاري ٦-٢٢٧ كيف لبب عمر بن الخطاب هشام بن حكيم لما سمعه يقرأ سورة الفرقان على حروف لم يقرأها الرسول عمر نفسه ، فقاده إلى الرسول فلما سمع من هشام قال : « كذلك أنزلت » ولما منها من عمر قال : « كذلك أنزلت » ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فافرقوا ما تيسر منه .

(الأحرف السبعة) الواردة في الحديث وأريد بالسبعة التعدد والكثرة لاتحاد يد العدد بسبعة .

كثرت الوجوه المتواترة عن رسول الله في القراءة^(١)، وتفرق الصحابة في الأمصار كل يقرئ أهل مصره بما سمع ، على لهجته . وتعارف الناس هذه الوجوه واللهجات ولم ينكر أحد على أخيه قراءته ، حتى إذا امتد الزمان قليلاً وكثر الآخذون عن الصحابة ، وقع بين أتباعهم شيء من خلاف وإنكار خشي الأجلاء من الصحابة مغيبته مع الزمن ، فحملوا الخليفة الثالث عثمان ابن عفان على معالجة الأمر ففعل ، وكان من رأيه المبارك كتابة مصحف يجتمع عليه قراء الصحابة وكتبة الوحي ، وهؤلاء وأولئك كثير متوافرون .. حتى إذا وقع خلاف كتبوه على لغة قريش ، وكذلك كان :

استعار عثمان من أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر المصحف الذي كان جمعه زيد بن ثابت بتكليف من الخليفة الأول بناء على رأى عمر بن الخطاب الذي هاله أن استحر القتلى يوم اليمامة بالقراء ، ففزع إلى أبي بكر ليجمع المصحف والخاف والعُسب التي كتب عليها القرآن .. إلى ما في صدور

الرجال منه فيودع ذلك كله بجمع من قراء الصحابة مصحفاً واحداً حتى لا يضيع من القرآن شيء : فأرسلت السيدة حفصة المصحف ، [« فأمر عثمان زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام لينسخوا المصحف في المصاحف ، وقال للرهط من قريش : « إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما أنزل بلسانهم »^(٢) ففعلوا ذلك ، حتى إذا نسخ المصحف رد عثمان المصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل أفق مصحفاً مما نسخوا وأمر بكل ما سواه من القرآن في كل صحيفة ومصحف أن يحرق »^(٣) ، « وأجمعت الأمة المعصومة من الخطأ على ما تضمنته هذه المصاحف وترك ما خالفها من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى مما كان مأذوناً فيه توسعة عليهم ولم يثبت عندهم ثبوتاً مستفيضاً أنه من القرآن ، وجردت هذه المصاحف جميعها من النقط والشكل ليحتملها ما صبح نقله وثبت تلاوته عن النبي صلى الله عليه وسلم : فكتبت المصاحف على اللفظ الذي استقر عليه في العريضة الأخيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح به غير واحد من أئمة السلف »^(٤) .

(١) قال ابن الجوزي . (٧٥١ - ٥٨٣٣) : وقوله من قال (إن القراءات المتواترة لا حد لها) : إن كان أراد في زماننا فيصح لأنه لم يوجد اليوم قراءة متواترة وراء العشر ، وإن أراد في الصدر الأول فمحتمل - غيث النفع ص ٧ .
(٢) انظر صحيح البخاري ٤ - ٢١٩ والفهرست لابن النديم ص ٣٧ .
(٣) النشر في القراءات العشر ص ٧ . واللام في قوله (ليحتملها) لام العاقبة لالام التعليل ، إذ لم يكن يومئذ نقط ولا شكل .

كانت تلك المصاحف التي وزعها عثمان على الأمصار مرجع الناس ، إليها يصيرون في قراءتهم وخلافهم ، وبذلك قضى على احتمالات الفرقة في الأجيال القادمة ، وترك الناس قراءات كثيرة صحيحة لا يحتملها الرسم العثماني ^(١) إيثاراً للعافية ووحدة الكلمة فكان من ذلك بعد التيسير الأول تقريب بين اللهجات ، وبقي الرسم العثماني ضابطاً لما اتفق عليه منها ، كما كان خطوة واسعة نحو التوحيد ، ثم تكفلت الأعصار المتعاقبة بالباقي .

فاختاروا من كل مصر وجه إليه مصحف أئمة مشهورين بالثقة والأمانة في النقل وحسن الدراية وكمال العلم ، أفنوا عمرهم في القراءة والإقراء ، واشتهر أمرهم وأجمع أهل مصرهم على عدالتهم : ولم تخرج قراءتهم عن خط مصحفهم» . (٢) وكانت وجوه قراءاتهم ينظمها ضابط صاغه علماء القراءات في شروط ثلاثة :

١ - صحة السند بالقراءة إلى رسول الله متواترة من أول السند إلى آخره :

٢ - موافقة القراءة رسم المصحف العثماني :

٣ - موافقتها وجهاً من وجوه العربية مجمعا عليه أو مختلفا فيه اختلافا لا يضر مثله : والشرط الأساسي كما يظهر للمتأمل هو الأول أما الثاني والثالث فالغالب أنهما أضيفا ليتكون من الثلاثة ما ينطبق تمام الانطباق على القراءات العشر المعروفة ، وليخرج بذلك قراءات متواترة تركها الناس منذ حملهم عثمان على مصحفه ، لمخالفتها رسمه :

انعقد إجماع علماء القراءة على هذه الشروط ، إلا أن بعضهم اكتفى من الشرط الأول بصحة السند إلى رسول الله ولم

مضت المائة الأولى للهجرة والناس على ما قدمنا لا يقرؤون المصاحف إلا بأقراءهم الصحابة والتابعون ، والمقرئون الثقات الذين يرجع إليهم كثيرون مشهورون ، وانحصرت وجوه القراءات بما تواتر موافقاً الرسم العثماني ، ونسيت القراءات الصحيحة التي لا تنطبق على الرسم : إلا أن ناشئة نشأت لم ترجع في قراءتها إلى المقرئين الأئمة الثقات وإنما اكتفت بما ينطبق على الرسم « فصار أهل البدع والأهواء يقرؤون بما لا يحل تلاوته وفاقا لبدعتهم (٢) ولما كثر الاختلاف بفعل هؤلاء « أجمع رأى المسلمين على أن يتفقوا على قراءات أئمة ثقات تجردوا للاعتناء بشأن القرآن العظيم

(١) كبعض ما في مصحف ابن مسعود ، وكبعض قراءات أبي ، وبقي علم هذه القراءات عند المختصين .

(٢) إجماع فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر من ٦

يشترط التواتر ، ويهنا - هنا - بيان
ضعف هذا الرأي ونكير العلماء عليه :

أشهر من عرف عنه ذلك في المائة الخامسة
للهجرة (١) مكى بن أبى طالب المقرئ
المفسر العالم بالعربية ، فقد قال : « القراءة
الصحيحة ما صح سندها إلى النبي صلى الله
عليه وسلم وساغ وجهها في العربية ووافقت
خط المصحف » (٢) وشاع هذا القول بعده
حتى « تبعه على ذلك بعض المتأخرين
ومشى عليه ابن الجزرى (٣) في (نشره)
و (طيبته) » (٢) . وهما كتابان صاروا عمدة
في فن القراءة يدرسهما كل من أراد تحصيله
وكادت (مدرستيهما) تسبغ عليهما التقديس .

واستنكر الجمهور ذلك حتى قال الإمام
السفاسى في كتابه المشهور (غيث النفع في
القراءات السبع) بعد أن أورده : « وهذا
قول محدث لا يعول عليه » (٢) بل لقد قرر
هذا الإمام أن « مذهب الأصوليين ، وفقهاء
المذاهب الأربعة ، والمحدثين ، والقراء

أن التواتر شرط في صحة القراءة ، ولا تثبت
بالسند الصحيح غير المتواتر ولو وافقت
رسم المصاحف العثمانية والعربية » (٢) وهذا
حكم صحيح يقتضيه المنهج السليم في كل ما
يرجع إلى النقل . وبذلك تمتاز وجوه
القراءات من الأحاديث الصحيحة التي
يكتفى في ثبوت صحتها بنقل العدل الضابط
عن مثله في سلسلة تنهى بالصحابي دون
اشتراط التواتر .

ويعجبني من السفاسى استدراكه على
ما قد يرد في الحاضر إزاء التواتر فقد لفت
الأنظار بقوله :

« ولا يقدح في ثبوت التواتر اختلاف
القراء : فقد تتواتر القراءة عند قوم دون
قوم ، فكل من القراء إنما لم يقرأ بقراءة
غيره لأنها لم تبلغه على وجه التواتر .
ولذا لم يعب أحد منهم على غيره قراءته لثبوت
شرط صحتها عنده وإن كان هو لم يقرأ بها
أفقد الشرط عنده » (٢)

(١) أصله من القيروان وسكن قرطبة وسمع بمكة ومصر من ابن غلبون وقرأ عليه القرآن وكان من أهل التبحر في
علوم القرآن والعربية ، حسن الفهم والخلق ، جيد الدين والعقل كثير التأليف ، مجوداً للقرآن . أقرأ بجامع قرطبة
وخطب به وانتفع به جمع وعظم اسمه - بغية الوعاة ص ٣٩٦

وترك تأليف أكثرها في القرآن وقراءاته وعللها ، انظر اسماءها في الأعلام للأستاذ خير الدين الزركلى ٨ - ٢١٤

(٢) ص ٦ ، ٧ غيث النفع (١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م) وانظر بحثنا في الاحتجاج من كتابنا (في أصول النحو)

ص ٢٨ - ٣٣ .

(٣) محمد بن محمد بن محمد الجزرى (٧٥١ - ٨٣٣ هـ) نسبة إلى جزيرة ابن عمر ، أبو الخير شمس الدين العمري
ولد ونشأ في دمشق وابتنى فيها (دار القرآن) ورحل إلى مصر والأناضول وماوراء النهر والحجاز . شيخ الإقراء في
زمانه وصاحب المصنفات المشهورة في علم القراءات له (التشرى في القراءات العشر) و (تقريب النشر) و (طيبة النشر)
و (غاية النهاية في طبقات القراء) ، وكلها مطبوع وكلها ما عظم نفعا منه في تحقيق هذا الكتاب .

- انظر المصدر الأخير ٢ / ٢٤٧ ، والأعلام للزركلى ٧ / ٢٧٤ .

أما القراءة الشاذة فهم في تعريفها فريقان :

الأول : جعلها فيما توفر فيه الشرط الأول والثالث وتختلف الشرط الثاني وهو موافقة رسم المصحف الإمام : وفي هذا التعريف بعض تساهل قياساً إلى تعريف الفريق الثاني الآتي .

الثاني : جعلها فيما فقد التواتر من الشرط الأول ، فمهما تجتمع الشروط الثلاثة في قراءة بسند صحيح غير متواتر فهي —عندهم— شاذة . وأجمعوا على تحريم القراءة بها في الصلاة ، كما تحرم في غير الصلاة أيضاً إذا اعتقد قرآنيها أو أوهم ذلك (١) .

هذا وقد قرروا أن الشاذ هو كل ما وراء القراءات العشر المعروفة الآتي بيان أصحابها بعد (١) .

فذهبت بذلك أيضاً قراءات صحيحة لسبب يسير هو عدم بلوغها بالتواتر إلى التابعي مع صحتها في نفسها ، وهكذا دواليك حتى ساغ لابن الجزري وهو يؤرخ لحركة التدوين في هذا الفن أن يقول :

« القراءات المشهورة اليوم [يعني الثلث الأول من المئة التاسعة للهجرة] عن السبعة والعشرة والثلاثة عشر بالنسبة إلى ما كان مشهوراً في الأعصار الأول : قل من كثير ، ونزّر من بحر ، فإن من له اطلاع على ذلك يعرف علمه العام اليقين ، وذلك أن القراء الذين أخذوا عن أولئك الأئمة المتقدمين من السبعة وغيرهم كانوا أمّا لا تحصى وطوائف لا تستقصى : والذين أخذوا عنهم أكثر . : وهلم جرا .

فلما كانت المئة الثالثة واتسع الخرق وقيل الضبط وكان علم الكتاب والسنة أوفر ما كان وفي ذلك العصر ، تصدى بعض الأئمة لضبط ما رواه من القراءات ، فكان أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب

تناقل التابعون قراءات الصحابة بالتواتر ، وذهبت قراءات كثيرة صحيحة بسبب أخذ الناس باتباع المصاحف العثمانية (٢) ، وأخذ عن أعلام التابعين خلق كثير لا يحصون

(١) ص ٧ فيث النفع للسفاقي . أما من حيث الاحتجاج بها على اللغة والقواعد العربية فذلك سليم سائغ إذا صححت نسبها إلى صحابي أو عربي سليلي من التابعين — انظر كتابي (في أصول النحو) ص ٣٠ فما بعد .

(٢) من القراءات الصحيحة التي فضل عليها غيرها ما كان مسموحاً به اتساعاً ورخصة على الناس قبل المصاحف العثمانية من قراءة كل قبيلة بلهجتها « فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه بأن يقرئ كل أمة بلغتهم وما جرت عليه عادتهم فالهليل يقرأ : (عى حين) يريد (حتى حين) وهكذا يلفظ بها ويستعملها ، والتميمي يهز ، والقرشي لا يهز ، والآخر يقرأ : (قيل لهم) ، (وغيض الماء) بإشباع الضم مع الكسر .. الخ قال ابن قتيبة : ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عن أمته وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً لاشتد عليه ذلك وعظمت المنة فيه ..) النشر

أبو عبيد القاسم بن سلام ، وجعلهم فيما أحسب
خمساً وعشرين قارئاً مع هؤلاء السبعة وتوفي
سنة ٢٢٤ هـ : الخ (١)

ومن قبله ألف في القراءات عدد من
العلماء ، من هؤلاء ابن جبير المكي وهو
قبل ابن مجاهد الآتي ذكره بعد قليل ، فقد
صنف « كتاباً في القراءات فاقصر على خمسة
أئمة ، من كل مصر إمام ، وإنما اقتصر
على ذلك لأن المصاحف التي أرسلها عثمان
إلى الأمصار كانت إلى خمسة أمصار (٢)

ويضي الشيخ ابن الجزري يعدد المؤلفين
الذين تابعوا في الإقراء والتأليف ويذكر
المؤلفات المشهورة لهم :

ويعيننا منهم الآن أبعدهم أثراً وأوسعهم
شهرة : أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد
المتوفى سنة ٣٢٤ هـ بعد أبي عبيد بمئة عام ،
إذ كان أول من اختار سبعة من أئمة القراء
الكثيرين فألف في قراءاتهم واختار لكل
منهم اثنين ممن روى عنه ، على ما سيأتي تفصيله :
واشتهر اختياره هذا حتى صارت (القراءات
السبع) التي اختارها علماً في القراءة وعناوين
لكتب عدة ومنظومات شتى مشهورة ، هي
إلى الآن المراجع التي تحفظ وتشرح وتدرس
في حلقات الإقراء :

ولد ابن مجاهد بسوق العطش ببغداد
سنة ٢٤٥ هـ وقرأ على شيوخ كثيرين عدداً
منهم ابن الجزري في كتابه (غاية النهاية في
طبقات القراء (٣)) نحواً من مئة شيخ قرأ
على أحدهم عبد الرحمن بن عبدوسى
عشرين ختمة ، ونعته ابن الجزري بـ (شيخ
الصنعة وأول من سبع السبعة) (٤) وهو في
شهادة ابن النديم صاحب الفهرست (٥)
« واحد عصره غير مدافع ، وكان مع
فضله وعلمه وديانته ومعرفته بالقراءات
وعلم القرآن ، حسن الأدب رقيق الخلق
كثير المداعبة ، ثاقب الفطنة ، جواداً » :
و « بعد صيته واشتهر أمره وفاق نظرائه
مع الدين والحفظ والخير : ولا أعلم أحداً
من شيوخ القراءات أكثر تلاميذ منه ،
ولا باغنا ازدحام الطلبة على أحد كازدحامهم
عليه .

حكى ابن الأخرم أنه وصل إلى بغداد
فرأى في حلقة ابن مجاهد نحواً من ثلاثمائة مصدّر :
وقال على بن عمر المقرئ : كان ابن مجاهد له
في حلقاته أربعة وثمانون خليفة يأخذون
على الناس (٥) . وعد له ابن النديم الكتب
الآتية :

١ - كتاب القراءات الكبير

٢ - كتاب القراءات الصغير

(١) النشر ص ٣٣

(٢) تفسير التحرير والتنوير ١ / ٥٣ نفاً عن السيوطي

(٣) ١ / ١٣٩ - ١٤٢

(٤) ص ٤٧

(٥) غاية النهاية ص ١٤٢ وذكر ابن النديم أنه توفي في شعبان سنة ٣٢٤ ودفن في تربة في حريم داره بسوق العطش ثاني

يوم موته - الفهرست ص ٤٧ .

٣ - الباءات

٤ - الهاءات

٥ - قراءة أبي عمرو

٦ - قراءة ابن كثير

٧ - قراءة عاصم

٨ - قراءة نافع

٩ - قراءة حمزة

١٠ - قراءة الكسائي

١١ - قراءة ابن عامر

١٢ - قراءة النبي صلى الله عليه وسلم .

وعرف هؤلاء الذين ألف فيهم كتبه
بالقراء السبعة . ولعله جمع السبعة في كتاب
(القراءات السبع) على ما في كشف الظنون

١٤٤٨ / ٢ .

وينبغي أن نلفت الأنظار هنا إلى أن
اختيار ابن مجاهد هذا لا يعني أن هؤلاء
السبعة هم أفضل الأئمة ، فقد انتقده غير
واحد بذلك ، وإن كثيراً من الأئمة هم
أفضل من بعض هؤلاء مثل يعقوب الحصري
وأبي جعفر يزيد بن القعقاع وعبد الله
ابن أبي إسحاق الحصري وغيرهم^(١)

بل نقدوه لاختياره العدد سبعة لا أقل
ولا أكثر ، فدخل بذلك على العوام وأشباههم
وغيرهم وهم - بأن هذه القراءات هؤلاء
السبعة هي المقصودة بالحديث الشريف :
(أنزل القرآن على سبعة أحرف) ، وانبرى
النقاد للومه وإزالة هذا الوهم من النفوس :
وصار بعضهم يزيد في تأليفه على السبعة
وينقص حتى قال عبد الرحمن الرازي :
« إن الناس إنما ثَمَّنُوا القراءات وعشَّروها
وزادوا على عدد السبعة الذين اقتصر عليهم
ابن مجاهد لأجل هذه الشبهة . . . وإني لم
أقتف أثرهم تثميناً في التصنيف أو تعشيراً
أو تفريداً إلا لإزالة هذه الشبهة^(٢) »

الاحتجاج للقراءات :

قدمت كل هذا من تاريخ القراءة والمقرئين^(٣)
لأؤيد ما كنت ذهبت إليه منذ سنين طويلة
من أن تأليف المؤلفين القدماء يحتاجون
للقراءات المتواترة بالنحو وشواهد عكس
للموضع الصحيح ، وأن السلامة في المنهج
والسداد في المنطق العلمي التاريخي يقضيان
بأن يحتاج للنحو ومذاهبه وشواهد هذه
القراءات المتواترة ، لما توفر لها من الضبط

(١) قال مكي بن أبي طالب : وقد ذكر الأئمة في كتبهم أكثر من سبعمين ممن هو أعلى رتبة وأجل قدراً من هؤلاء
السبعة . . . وقد ترك أبو حاتم وغيره ذكر حمزة والكسائي وابن عامر وزاد نحو عشرين ممن هو فوق هؤلاء والكسائي
إنما ألحق بالسبعة بالأمس في أيام المأمون وغيره ، وكان السابغ يعقوب الحصري في ذائبت ابن مجاهد في سنة ٣٠٠ أو نحوها
الكسائي في موضع يعقوب « انشر ص ٣٦ . قلت : وسترى في أقوال الكسائي التي نقلها مؤلف هذا الكتاب للاحتجاج
كثيراً من الوهم وضعف الملكة إذا قست بأمثاله من المحتجين .

(٢) انظر النشر ص ٤٣

(٣) جعلت الكلام على القراء السبعة فالعشرة فالأربعة عشر مع روايتهم في مدخل بعد التمهيد وقبل الشروع في الكتاب .

والوثوق والدقة والتحري وهو شيء لم يتوفر
بعضه لأوثق شواهد النحو . ولا أفيض هنا
في شرح مذهبي فقد كنت شرحته واستدللت
له منذ اثنتين وعشرين سنة في كتابي (في
أصول النحو)^(١) ، ولم أكن بدعاً في ذلك
فقد سبقني من العلماء الجهابذة ذوى الفكر
الحر المستقل عدد استشهدت بأقوال بعضهم .

وأى كان فهذا ما وقع ، وعلى الإشارة
إلى شيء من تأريخ التأليف في الاحتجاج
للقرءات :

بين علوم القرآن الكريم وعلوم اللغة
العربية ترابط محكم ، فهما تتقن من علوم
العربية وأنت خاوى الوفاض من علوم
القرآن فعلمك بها ناقص وإلهى الأساس ،
وسبب ذلك واضح لكل من ألم بتاريخ
العربية : فهو يعلم حق العلم أنها جميعاً نشأت
حول القرآن وخدمة له ، فمتى اللغة اهتم
قبل كل شيء بشرح مفردات القرآن ،
والنحو والصرف نشأت لعصمة اللسان من
الخطأ في التلاوة أول الأمر ، وعلوم البلاغة
همها جلاء روعة البيان القرآني لأذهان
الناس ليتذوقوا حلاوته وتتلحح ملكاتهم

بفصاحته . لذا كان أمراً طبيعياً قيام أئمة
القرءاء بعلوم العربية ، وكان كبارهم أئمة
العربية الفحول كأبي عمرو بن العلاء وحمزة
الزيات ، ويعقوب الحضرمي وابن محيص
واليزيدي ، وحتى الكسائي في كوفته على
ضعف ملكته .

وكذلك الرواة عنهم . وهذا الإمام
ابن مجاهد مسبِّع السبعة يقول : « لا يقوم بالتمام
إلا نحوى عالم بالقرءات ، عالم بالتفسير ،
عالم بالقصص وتلخيص بعضها من بعض ،
عالم باللغة التي نزل بها القرآن »^(٢) .

في المئة الثالثة عصر التأليف بالقرءات
وماقبلها بقليل كانت قراءات الناس متعددة
كثيرة ، وكان كل يفاضل بين القراءة
التي تلقاها والقرءات المستفيضة ، وتعددت
وجوه المفاضلة من حيث التواتر وعدمه ،
ومن حيث جلالة الإمام القارئ وقدمه ،
ومن حيث البلدة التي استفاضت القراءة
فيها مكية أو مدنية أو بصرية أو كوفية
أو شامية ، وكان من جملة ما حكموا
في المفاضلة الوجوه النحوية التي توافقها
القراءة أو تقترب منها . وعلم العربية حينذاك
متسع منتشر اتساع القرءات وانتشارها .

(١) الطبعة الثالثة ص ٣٠ — ٤٥ من بحث الاحتجاج . وقرأت أخيراً للعلامة تونس الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور
ما يفيد اعتراضه على ذلك التحكيم الخطأ ، فقد قال في مقدمة تفسيره (التحرير والتنوير) بصدد كلامه على القرءات :
« وأما ما خالف الوجوه الصحيحة في العربية ففيه نظر قوى : لأننا لا ثقة لنا بالانحصار فصيح كلام العرب فيما صار
إلى تحاة البصرة والكوفة . وهذا تبطل كثيراً عما زيفه الزحشرى من القرءات بعلة أنها جرت على وجوه ضعيفة في العربية »
— ١ — ٥٥ (تفسير التحرير والتنوير — سنة ١٩٦٤) .

(٢) الوقت والابتداء لابن الأنباري ص ٢٥ نشر مجمع دمشق وتحقيق يحيى الدين رمضان .

تجد الاستشهاد بالقراءات ولها مالاً
كتاب سيبويه (١٤٨-١٨٠هـ) وتستطيع أن
تعد ذلك مذهب أستاذه الخليل إذ كان
كثير النقل عنه والتأثر به، ولو وصل إلينا
كتب من قبله لرأينا الأمر مقارباً. ومن
المحتمل أن يكون ألف في المئة الثالثة رسائل
في الاحتجاج للقراءات وإن لم يصل إلينا
علم شيء منها. حتى إذا أدركنا المئة الرابعة
وجدنا ابن النديم ينفي على أن لأبي بكر
ابن السراج (٣١٦هـ) كتاب (احتجاج
القراءة)^(١)، وأن للقارئ النحوي أبي طاهر
عبد الواحد البزار (٣٤٩هـ)^(٢) كتاب
الفصل بين أبي عمرو والكسائي فيسبق إلى
الذهن أنه لا بد أن يستعين في فصله بينهما بالنحو
فإذا بلغ ابن مقسم أحد القراء بمدينة السلام
(٣٦٢هـ) سرد لنا كتبه في اللغة والنحو
والقراءات فكان من بينها (كتاب احتجاج
القراءات) وذلك بعد وفاة ابن مجاهد
واشتهار تسبيعه. ثم جاء أبو علي الفارسي
فألف كتابه المشهور (الحجة في علل
القراءات السبع)^(٣) وهو تلميذ ابن مجاهد
وعليه قرأ، وتلميذ ابن السراج سابقه
في التأليف في هذا الفن، وجعل كتابه شرحاً
لكتاب القراءات السبع لابن مجاهد على
ما قال صاحب كشف الظنون ١٤٤٨/٢

وقد كنت عزمت - لشهرة الكتاب
الواسعة - على دراسته ونشره سنة ١٩٤٧
في إحدى سفرائي إلى مصر، وعكفت
في دار الكتب على قراءة أجزائه الستة
الضخمة ثم عدلت بعزم، لتطويله الشديد
وضعف تأليفه، ولقد كان ابن جني
منصفاً في نعته حين قال: «وقد كان
شيخنا أبو علي عمل كتاب الحجة فأغمضه
وأطاله حتى منع كثيراً من يدعى العربية -
فضلاً عن القراءة - منه وأجفاهم عنه».
ولا يحظى مطالعة بمادة علمية تعدل ذلك
التطويل والاستطراد. وتمنيت لو أن
أحدًا عرض المادة التي فيه في جزء لطيف
ينى بحاجة أهل العلم وطلابهم ويحببهم
في الوقت نفسه مكارهه.

فلما كانت سنة ١٩٥٦ في شهرها
العاشر حلت تونس ورأيت ما كنت أبغى
في مخطوطة لكتاب (حجة القراءات)
للشيخ أبي زرعة عبد الرحمن ابن زنجلة
وأوصيت بعهد مطالعتي إياه بتصويره
واصطحبت مصوره معي. وأبو زرعة
من مخضري المثين الثالثة والرابعة. وسيأتي الكلام
عليه وعلى كتابه بعد قليل. واطلعت على

(١) ص ٩٢ وبنية الوعاة ص ٤٤

(٢) الفهرست ص ٤٩

(٣) صدر من الجزء الأول في القاهرة (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بغير تاريخ).

كتاب (المختار في معاني قراءات أهل الأمصار)
 لأبي بكر أحمد بن عبيد الله بن إدريس ،
 فكان حسن التأليف قريب العبارة ، أداره
 على معاني ما اختلفت فيه القراء الثمانية (١)
 (السبعة ويعقوب الحضرمي) في منهج
 مرضي وصفه بقوله : « اختصرت الترجمة
 وتنكبت الإطالة ، وملت إلى الإيجاز ،
 غير غل بالإفهام و ذكرت [من ذلك ما]
 يستعين به المتوسط ويتذكر به المتناهي .. » (٢) .
 ورأيت مؤلفه — بعد الإمعان — قد وفي
 بشرطه .

ويأتي في المئة الخامسة مكى بن أبي طالب
 المغربي الأندلسي (٣٥٥-٥٤٣٧هـ) في كتابه
 (الكشف عن وجوه القراءات وعللها
 وحججها) يشرح فيه مختصراً كان ألفه
 في المشرق ، وفي إشارته إلى ذلك ووصفه
 عمله فيه تأريخ لمرحلة هامة من مراحل
 التصنيف في هذا الفن ، ورد فعل لعمل
 أبي على الفارسي الذي طوّل واستطرد
 وأنغمض ، وترك غصة في قلب مطالعة وحسرة
 حافزة على استئناف تأليف يقرب الفن
 إلى القارئ ، ويبعد عنه ما تورط فيه أبو علي :
 « إليك جملاً من مقدمه مكى بعبارة :
 » كنت قد ألفت بالمشرق كتاباً مختصراً

في القراءات السبع في سنة ٣٩١ هـ
 وسميته (كتاب التبصرة) فيما اختلف فيه
 القراء السبعة المشهورون ، وأضربت فيه
 عن الحجج والعلل ومقاييس النحو في
 القراءات واللغات ، طلباً للتسهيل وحرصاً
 على التخفيف ، ووعدت في صدره أني
 سأؤلف كتاباً في علل القراءات التي ذكرتها
 في ذلك الكتاب « كتاب التبصرة » أذكر
 فيه حجج القراءات .. ثم إذا صرنا
 إلى فرش الحروف ذكرنا كل حرف ومر
 قرأه ، وعلته وحجة كل فريق ثم أذكر
 اختياري في كل حرف وأنبه على علة
 اختياري لذلك كما فعل مرة تقدمنا من
 أئمة المقرئين ... وذكرت في كتاب
 (التبصرة) أسماء القراء ورواتهم وأسانيدهم
 إلى النبي صلى الله عليه وسلم ... فهذا
 الكتاب كتاب فهم وعلم ودراية ،
 والكتاب الأول كتاب نقل ورواية .
 ولمكى هذا فضل كبير في توسيع نشر هذا
 الفن في الأندلس والمغرب ، وقد شاعرت
 مؤلفاته فيهما . وأسلوبه في كتابه سؤال
 جواب ، هكذا اختار لنفسه . وقد
 وجدت كتاب « المختار » الآن في الذكر
 أقوى طبعاً من كتاب مكى وأمتن تأليفاً

(١) لا تنسى ما مر بك حول تقدم ابن مجاهد على جعل العدد سبعة .

(٢) الورقة الأولى من مخطوطة مكتبة جاد الله رقم ١٨ ، وهي في ١٢٤ ورقة كتبت سنة ٥٩٦ هـ

وأرضى طريقة، وهناك كتب أخرى صنف
في العصر نفسه^(١)

وأزمنة تأليف هذه الكتب بدءاً من الفارسي
مقاربة ومؤلفوها إلى تحكيم مذاهب النحو
في القراءات أقرب منهم إلى العكس ، سيما
غلبت على التأليف في العهد العباسي^(٢) ،
وبدعة نسج الآخر فيها على منوال الأول ،
وقد عرفت أن المنهج السليم يقضي بتحكيم
القراءات في مذاهب النحو ، وتعديل هذه
لتساوق تلك حين يكون بينهما تخالف .

آن بعد هذه الإلمامة بتاريخ التأليف في
الاحتجاج للقراءات أن أقدم مثالا على كلمة
مما اختلفوا فيه واحتجوا له ، أنزعه من (حجة
القراءات) كتاب أبي زرعة تلميذ ابن فارس
وأحد المؤلفين المجودين في هذا الفن ، وقد طال
مكثه بين يدي منذ صوره من المكتبة العبدلية
في تونس : وعادته أن يبدأ كلامه بقوله : (قرآن
فلان وفلان كذا) وحجتهم كذا ، وقرأ
الباقون (يريد بقية القراء السبعة) كذا وحجتهم

كذا ؛ فإن كان هناك أكثر من حجة قال :
وحجة أخرى .. وعرج على سرد حججه
معتدلاً على المعنى حيناً ، وعلى ورود الكلمة
كذلك في موضع آخر من القرآن الكريم حيناً
آخر ، أو على حجة نحوية أو صرفية أو لغوية
أو بيت من الشعر أو جملة من حديث أو كلام
من يحتج به ؛ حتى إذا اكتفى انتقل إلى آية
أخرى حتى نهاية السورة . وإليك ما شرح به
قوله تعالى في سورة يوسف ١٢ / ١٣ :
« .. وقالت : هيئت لك » :

(.. وقالت هيئت لك .. - ٢٣)

قرأ أهل العراق : «هيئت لك» بفتح الهاء
والتاء ؛ أي هلمّ وتعال وأقبل إلى ما أدعوك
إليه . وحجتهم قول الشاعر :

أبلغني أمير المؤمنين
: أخا العراق إذا أتيتا

أن العراق وأهله
عُنقُ إليك فتهيئت هيئاً^(٣)

(١) اسلمت أخيراً على كتاب نشر في بيروت بعنوان (الحجة في القراءات السبع) ونسب لابن خالويه ،
فلما تصفحته وجدته يعرض قراءات بقوله : (وقرئ كذا) ولا ينسب القراءة إلى إمام غالباً ولا يدعها يستلها ،
وهذا في عمدته النقل والسند .

ثم قرأت منه في مجلة (اللسان العربي) بحثاً قينا عنوانه «نسبة الحجة إلى ابن خالويه لا تصح» للأستاذ العلامة محمد
الحايد الفاسي فقد فيه هذه النسبة . وكان يحقق الكتاب تقدم به إلى مداينة المكتب الدائم . فكان تقرير الأستاذ الفاسي
هذا علماً لعدم قبول اللجنة هذا العمل - (مجلة اللسان العربي : المجلد الثامن ١ / ٥٢١)

على أنه - ولو صححت النسبة - لا يرق هذا الكتاب إلى مستوى الكتب التي ذكرناها لعدم الفائدة من ذكر قراءات
غير مسندة . والسند والعز وهما دعائم الوفاق في البحوث النقلية .

(٢) باستثناء سيبويه الذي كان يستشهد بها ولها معا .

(٣) في لسان العرب مادة (هيئت) وفي شرح المفصل ٢٣ / ٤ : (سلم) بدل (عنى) . يقال : جاء القوم هنفاً أى طوائف

كل جماعة منهم عنى ، يريد أقبلوا إليك بجماعاتهم .

أما (سلم) فمعناها : متقادرون إليك . أشد القراء محتجا لهذه القراءة (هيئت) لشاعر لم يسمه . يخاطب علي بن أبي طالب

- معاني القرآن ٢ / ٤٠

قال الزجاج : أما فتح التاء في (هيئت) فلائها بمنزلة أصوات ، وليس منها فعل يتصرف ففتحت التاء لسكونها وسكون الياء واختير الفتح لأن قبل التاء ياء كما قالوا : (كيف وأين) .

وقرأ أهل المدينة والشام : «هيئت» وهي لغة :

وقرأ ابن كثير : «هيئت» بفتح الهاء وضم التاء ، وحقته قول الشاعر :

ليس قومي بالأبعدين إذا ما
قال داعٍ من العشيرة هيئت

هم يجيبون ذا (هلم) سرعاً
كالأباييل ، لا يغادري بيت^(١)

فأما الضم من (هيئت) فلائها بمعنى الغايات ، كأنها قالت : (دعائي لك) ، فلما حذفت الإضافة وتضمنت (هيئت) معناها بنيت على الضم كما بنيت (حيث) .

وقرأ هشام : «هيئت» بالهمز من الهيئة كأنها قالت : تهيأت لك .

ويشعر القارئ أن المؤلف متمكن في فنه تمكنه في علوم اللغة والأدب ورواية .

الشعر ، موجز في عبارته واثق أنه يخاطب محصلاً في هذا الفن مشاركاً في بقية الفنون العربية عامة ، ولذلك ترك الإسهاب والتطويل وحتى التقديم للكتاب .

وكان يخلط بين ما نسميه اليوم حركات إعراب وما نسميه حركات بناء ؛ فيقول مثلاً في قوله تعالى : «فلا تسببنهم» : قرىء برفع الباء ونصبها (بدل قولنا اليوم بضم الباء وفتحها) ، وكذلك قوله : (الجزم) بدل السكون . والظاهر أن هذا كان شأن قوم حتى المئة الخامسة ، أثرا من آثار الكوفيين في عدم الدقة .

وكثيراً ما يعقب بعد إيراد الحجج بالقاعدة يصوغها في إيجاز كقوله (٢/ص ٨٠) في صدد الآية «قال تزرعون سبع سنين دأباً» ١٢-٤٧ لأنها قرئت بفتح الهمزة وإسكانها :

(كل اسم [ثلاثي] ثانيه حرف من حروف الحلق جاز حركته وإسكانه) .

ويغاب إذا كانت الهمزة لغيره أن يسميه في مثل قوله في الصفحة نفسها : (وحيثه ذكرها الزيدى) ولا نستغرب كثرة تردد اسم الزيدى وغيره من النحاة القراء ، فكتابنا مظنة وجود ذلك فيه بكثرة^(٢) .

(١) أباييل : جماعات جماعات . ذا هلم ، أى الذى يناديهم به (هلم) مستغيثاً .

(٢) منتصراً الجامعة الليبية في بنغازى هذا الكتاب (حجة القراءات لأبى زرعة) في مطبوعاتها لعام ١٣٩٤ هـ إن شاء الله وهذا البحث من مقدمتى له .

وأكرر التنبيه هنا على أن كلمة الحجة في هذه المؤلفات لا يراد بها الدليل ، لأن دليل القراءة صحة إسنادها وتواترها ، وإنما يراد بها وجه الاختيار : لماذا اختار القارئ قراءته من بين القراءات الصحيحة المتواترة التي أتقنها؟ يكون هذا الوجه أحياناً تعليلاً نحويّاً وأحياناً لغويّاً

وآونة معنويّاً وتارة لأخبار أو أحاديث استأنس بها في اختياره... فهي تعليل اختيار لدليل صحة القراءة ، إذ هي صحيحة بنفسها وتواترها لأبأسباب اختيار قارئ لها. ولا بد من هذا التنبيه لأن عدداً من الباحثين البعيدين عن هذا الفن تورطوا في مزالت ومزلات حين جهلوا المقصود من هذا المصطلح ، كما انزلق قديماً الزمخشري وهو لا يحسن هذا الفن ولا مصطلحه ، حين ظن أن القارئ حر في قراءته أو أنه أسير رسم المصحف العثماني ، وغاب عنه أن القراءة سنة متبعة .

هذا ، ولا بد أيضاً من لفت النظر إلى أن معنى إسناد كل حرف من حروف الاختلاف إلى صاحبه من الصحابة فمن بعدهم هو في تعبير ابن الجزري : « أنه

كان أضبط له وأكثر قراءة وإقراء به ، وملازمة له وميلاً إليه لا غير ذلك . وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراء ورواتهم يراد بها أن ذلك القارئ اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به فآثره على غيره وداوم عليه ، ولزمه حتى اشتهر وعرف به ، وقصد فيه وأخذ عنه ؛ فلذلك أضيف إليه دون غيره من القراء . وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم ، لإضافة اختراع ورأى واجتهاد »^(١)

وتشيع كلمة (الاختيار) في هذا الضرب من تصانيف المقرئين ، وهذا ابن الجزري نفسه بعد أن نقل عن البغوي صاحب التفسير وشرح السنة قوله في أئمة القراءة : « واتفقت كلمة الأمة على اختيارهم [الذين اختاروه] » يعقب بقوله : « وقد ذكرت في هذا الكتاب (النشر) قراءات من اشتهر منهم بالقراءة واختياراتهم^(٢) » : وفي ترجمته لأبي عمرو ابن العلاء يروي قول شعبة : « انظر ما يقرأ أبو عمرو مما يختار لنفسه فإنه سيصير للناس إسناداً »^(٣) .

(١) النشر في القراءات العشر ص ٥١

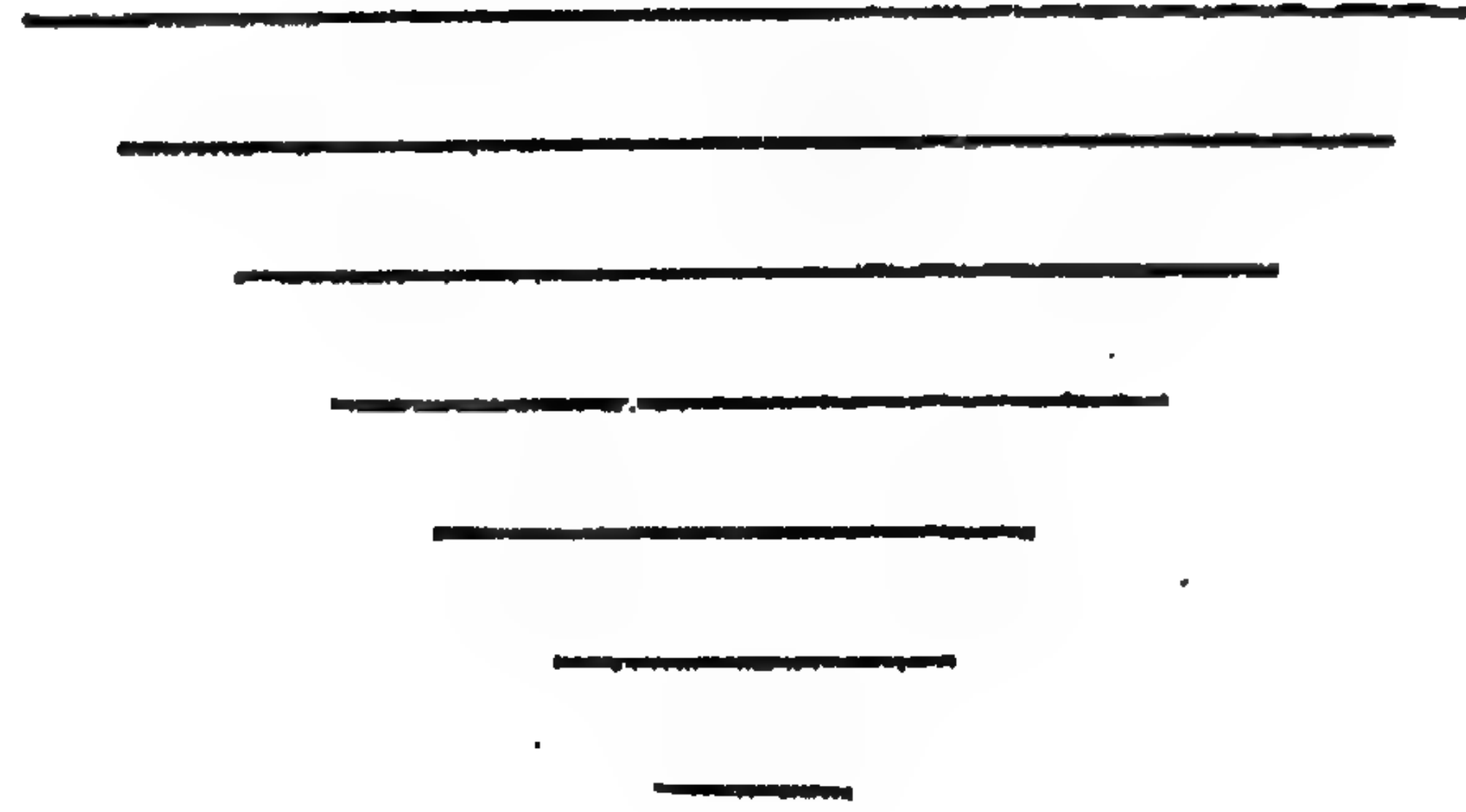
(٢) المصدر السابق ص ٣٧ وينقل عن الداني في طبقاته قوله « وأثم يعقوب في اختياره عامة البصريين .. الخ »

والاحتجاج بها ، وتحكيمها في القواعد ؛
إذ أتيح لها من الضبط ما لم يتح للشعر ولا
للنثر ، ولئن طرح القراء القراءات الشاذة
لمخالفتها الرسم العثماني إن على اللغوي أن يتمسك
بها كل التمسك متى صح سندها إلى
عربي سليم السليقة في عصور الاحتجاج.

سعيد الأفغاني
عضو المجمع المراسل
من سورية

وأضيف إلى ذلك بعد الإمعان في تاريخ
الفن وتراجم رجاله أن هذا الاختيار
لا يحصل إلا بعد أن يتقن القارئ المختص
روايات عدة من القراءات الصحيحة
المتواترة عن أئمتها ، فيختار لنفسه من
بينها واحدة يثبت عليها وتؤخذ عنه .

إن هذه العناية البالغة في تحرى القراءات
محمل اللغويين على العوض عليها بالنواجذ



المحصل اللفظي لطفل المدرسة الابتدائية للكتور فؤاد البهرى السيد

الصحيحة التي يكتبها جميع افراد تلك الفرقة
على عدد الأفراد ٥

وبذلك يمكن الكشف عن الخصائص
العلمية لنمو المحصول اللفظي من السنة الاولى
الابتدائية إلى السنة الثانية الابتدائية إلى نهاية
تلك المرحلة : ولاشك أن لتتابع السنوات
الدارسية علاقة وثيقة بتتابع العمر الزمني . ولذا
تدل تلك النتائج على النمو اللغوي في الأعمار
الزمنية المتتالية للطفل ، كما دلت على النمو
اللغوي في السنوات الدراسية المتعاقبة :

المحصل اللفظي النوعي :

بحسب متوسط المحصول اللفظي النوعي
الذي تبدأ كلماته بحرف هجائي معين لأطفال
فرقة دراسية ما ، وذلك بقسمة عدد الكلمات
الصحيحة التي يكتبها جميع افراد تلك الفرقة
والتي تبدأ بذلك الحرف ، على عدد افراد
تلك الفرقة : ويستفاد من هذا المحصول في
الكشف عن أثر الحرف الأول للكلمة العربية
في تحديد مستوى صعوبتها . فالمتوسط الكبير يشير
إلى السهولة ، والمتوسط الصغير إلى الصعوبة :

هذا المقال نتائج البحث
التجريبي الذي أجري على
٥٥١ طفلاً من أطفال

يلخص

المدرسة الابتدائية بالكويت ، وذلك للكشف
عن متوسط المحصول اللفظي لكل سنة
دراسية : هذا مع العلم بأن المدرسة الابتدائية
الكويتية تشتمل على أربع سنوات دراسية :
وسنبين فيما يلي ماذا نعني بالمحصل اللفظي
والاختبار الذي استخدم لقياس هذا المحصول
وعينة الأطفال التي أجري عليها الاختبار ،
والنتائج التي انتهى إليها البحث ، كما تتمثل
في متوسطات الاجابات الصحيحة ،
ومتوسطات السرعة الكتابية ، وترتيب
صعوبة الحروف الهجائية التي تبدأ بها كلمات
المحصل اللفظي بالنسبة لسنوات المرحلة الابتدائية :

المحصل اللفظي العام :

المحصل اللفظي العام هو عدد الكلمات
العربية التي يستطيع الفرد ان يكتبها كتابة
صحيحة في زمن تحدده ظروف التجربة :

وبحسب متوسط المحصول اللفظي العام
لأطفال فرقة دراسية ما بقسمة عدد الكلمات

وبذلك يمكن الكشف عن الصعوبة النسبية للكلمات العربية ، وذلك تبعا للحرف الهجائي الأول الذى تبدأ به الكلمات المختلفة هذا وقد أكدت الأبحاث العلمية أهمية الحرف الأول فى تحديد مستوى صعوبة الكلمة المكتوبة ، ومدى تغير هذه الصعوبة تبعا لتغير السنة الدراسية من الأولى إلى الثانية إلى نهاية المرحلة .

معدل السرعة الكتابية :

تهدف هذه الدراسة فيما تهدف إليه ، إلى الكشف عن معدل السرعة الكتابية لكل سنة دراسية من سنوات المرحلة الابتدائية : ونعنى بالسرعة الكتابية متوسط عدد الكلمات الصحيحة والخاطئة التى يكتبها الأفراد فى زمن محدد ، وبحسب هذا المتوسط لأية سنة دراسية ، وذلك بقسمة المجموع الكلى للكلمات الصحيحة والخاطئة التى كتبها أطفال تلك السنة على عدد هؤلاء الأطفال .

هذا ويمكن حساب معدل السرعة الكتابية بالنسبة لأية وحدة زمنية نصطلح عليها مثل الدقيقة أو الثانية :

اختبار المحصول اللفظي :

تعتمد فكرة اختبار المحصول اللفظي لهذه الدراسة على أنه أكثر الاختبارات المعروفة ارتباطا بالقدرة على التحصيل اللغوى ، وهو يعد بحق المقياس العلمى الصحيح للقدرة على الطلاقة اللفظية .

ويتميز هذا الاختبار أيضا بصلاحيته لقياس المحصول اللفظي من السنة الأولى الابتدائية حتى نهاية المرحلة الثانوية ، ويمكن أيضا أن يمتد إلى ما بعد المرحلة الثانوية - وبذلك يصلح بخواصه تلك لقياس مدى نمو المحصول اللفظي للفرد خلال مراحل تعليمه المتعاقبة ، وخلال مراحل العمر المتتالية :

وسنبين فيما يلى الصفات الرئيسية لهذا الاختبار :

١ - هدف الاختبار : يهدف الاختبار إلى قياس المحصول اللفظي للفرد ، وبما أن هذا المحصول ينمو تبعا للنمو اللغوى ، إذن فهذا الاختبار يكشف عن المستوى اللغوى للفرد .

٢ - طريقة الإجابة : على الفرد أن يكتب جميع الكلمات التى يعرفها وتبدأ بحرف الألف ، ثم يكتب جميع الكلمات التى تبدأ بحرف الباء ، وهكذا تستمر هذه العملية حتى حرف الياء .

٣ - زمن الاختبار : زمن التعليمات ، والتدريب على طريقة الإجابة ١٥ دقيقة . وزمن الاختبار ٢٨ دقيقة ، أى دقيقة واحدة لكل سؤال ، وبذلك يصبح الزمن الكلى للاختبار مساويا لـ ٤٢ دقيقة ، أى ما يقرب من حصّة دراسية .

٤ - ثبات الاختبار : ونعنى بالثبات مدى اقتراب نتائج البحث من نفسها ، وذلك إذا أمكن تطبيق الاختبار على نفس مجموعة الأفراد تحت نفس الظروف التجريبية

الأولى . ولهذا الثبات أهميته القصوى في مدى اعتمادنا على نتائج الاختبار . وكلما اقترب معامل الثبات من الواحد الصحيح ، ازدادت تبعاً لذلك نقاوة الاختبار من الأخطاء التجريبية التي تؤثر على نتائجه وتحول بيننا وبين الاعتماد عليه . وقد حسب معامل الثبات (بطريقة التجزئة النصفية) ودلت نتائج هذه العملية على أن معامل الثبات يساوي ٠,٩٤ وهكذا نستطيع أن نستنتج من هذه الحقيقة العلمية أن النتائج الراهنة لاختبار المحصول اللفظي ذات ثبات مرتفع جداً :

عينة الأفراد التي أجري عليها البحث : تشمل عينة البحث على أفراد من تلاميذ المدرسة الابتدائية بالكويت بجميع سنواتها المتعاقبة ، أي من السنة الدراسية الأولى إلى السنة الدراسية الرابعة من كلا الجنسين ، أي البنين والبنات :

وتم اختيار العينة بطريقة طبقية عشوائية ، وهي طبقية بالنسبة للمستويات المتعاقبة المتتالية للسنوات الدراسية ، وعشوائية بالنسبة لاختيار الشعبة الدراسية في كل من تلك السنوات .

ويدل الجدول رقم (١) على توزيع أفراد عينة البحث بالنسبة للسنوات الدراسية ، وبالنسبة للجنس ذكراً أم أنثى .

مجموع البنين والبنات	المدارس الابتدائية						السنوات الدراسية
	البنات			البنين			
	المجموع	أبرق خيطان	هدى شعراوى	المجموع	العضيلية	النجاح	
١٤١	٧٤	٤٠	٢٤	٦٧	٣٥	٣٢	١
١٤٤	٧٧	٣٤	٤٣	٦٧	٣٦	٣١	٢
١٣١	٥٨	٢٤	٣٤	٧٣	٣٨	٣٥	٣
١٣٤	٦٥	٢٩	٣٦	٧٠	٣٦	٣٤	٤
٥٥١	٢٧٤	١٢٧	١٤٧	٢٧٧	١٤٥	١٣٢	المجموع

جدول (١) يبين توزيع عينة البحث

متوسطات الإجابات الصحيحة في المرحلة الابتدائية :

حسبت متوسطات نتائج الاجابات الصحيحة لجميع السنوات الدراسية للمرحلة الابتدائية ، وذلك بقسمة مجموع درجات تلاميذ السنة الدراسية الواحدة على عدد أفراد الفصول الدراسية لهذه السنة ، سواء أكانوا بنين أم بنات :

ويدل الجدول (٢) على نتائج حساب هذه المتوسطات : وبما أن الاختبار أجرى في بدء النصف الثاني من العام الدراسي ، اذن فتلاميذ السنة الدراسية الأولى قد مضى عليهم في المدرسة ٥ و ٥ سنة عند تطبيق الاختبار ، وتلاميذ السنة الدراسية الثانية قد مضى عليهم ٥ و ١ سنة عند تطبيق الاختبار . وهكذا بالنسبة للسنوات الدراسية الأخرى :

متوسط الكلمات الصحيحة في الدقيقة الواحدة	متوسط الاجابات الصحيحة	السنة الدراسية
	ص	س
١,٢٦	٣٥,٢٣	٠,٥
١,٩٤	٥٤,٤٤	١,٥
٣,٤٤	٩٦,٢٤	٢,٥
٤,٥٤	١٢٧,٣١	٣,٥

جدول (٢) المتوسطات التجريبية للاجابات الصحيحة في المرحلة الابتدائية

وبذلك نستطيع أن نفسر نتائج هذا الجدول على أن متوسط المحصول اللفظي للتلاميذ الذين قضوا في المدرسة الابتدائية ٥ و ٥ سنة هو ٢٣ و ٣٥ كلمة عربية صحيحة ، ومتوسط المحصول اللفظي للتلاميذ الذين قضوا في المدرسة الابتدائية ٥ و ١ سنة هو ٤٤ و ٥٤ كلمة عربية صحيحة ، وهكذا بالنسبة لمتوسطات السنوات الدراسية الأخرى التالية ، ونستطيع ايضا أن نرى أن متوسط

الكلمات - الصحيحة في الدقيقة الواحدة هو ٥ و ٥ سنة دراسية ، و ٩٤ و ١ في ٥ و ١ سنة دراسية ، وهكذا بالنسبة للسنوات الدراسية الأخرى :

فاذا رمزنا للسنوات بالزمن (س) ولمتوسطات الاجابات الصحيحة بالرمز (ص) فاننا نستطيع أن نرصد نتائج هذه التجربة في رسم بياني يوضح العلاقة بين (س، ص) : وبما أن هذه العلاقة تقترب

جدا من الخط المستقيم ، اذن يمكن ان نحسب الخط المستقيم الذى يمثل هذه العلاقة . وقد دلت نتائج هذا التحليل على أن معادلة الخط المستقيم التى تمثل هذه العلاقة هى :

$$ص = ٨٠ و ٣١ س + ٧١ و ١٤$$

وهكذا نستطيع - عن طريق هذه المعادلة أن نستنتج متوسطات الاجابات الصحيحة لجميع السنوات الدراسية فى المرحلة الابتدائية كما يدل على ذلك الجدول (٣) . وهكذا

نرى إن المتوسط النظرى للاجابات الصحيحة لتلميذ السنة الرابعة الابتدائية هو ٩١ و ١٤١ ، وأن المتوسط النظرى للطفل عند التحاقه بالمدرسة الابتدائية هو ٧١ و ١٤ كلمة ، وهكذا بالنسبة للسنوات المختلفة ، وأن متوسط الكلمات الصحيحة فى الدقيقة يساوى ٦٦ و ١ فى ٥ و ٠ سنة دراسية ، ويساوى ٠٩ و ١ فى السنة الأولى الدواسية ، وهكذا بالنسبة للسنوات الأخرى .

متوسط الكلمات الصحيحة فى الدقيقة الواحدة	متوسط الاجابات الصحيحة	السنة الدراسية
	ص	س
٠,٥٣	١٤,٧١	صفر
١,٠٩	٣٠,٦١	٠,٥
١,٦٦	٤٦,٥١	١,٠
٢,٢٣	٦٢,٤١	١,٥
٢,٧٦	٧٧,٣١	٢,٠
٣,٣٦	٩٤,٢١	٢,٥
٣,٩٣	١١٠,١١	٣,٠
٤, ٩	١٢٦,٠١	٣,٥
٥,٠٧	١٤١,٩١	٤,٠

جدول (٣) المتوسطات النظرية للاجابات الصحيحة فى المرحلة الابتدائية

متوسطات السرعة الكتابية فى المرحلة الابتدائية :

حسبت متوسطات السرعة الكتابية لجميع السنوات الدراسية لمرحلة التعليم الابتدائى ،

وذلك بقسمة المجموع الكلى لكلمات المحصول واللفظى الصحيحة والخاطئة لكل سنة دراسية على عدد تلاميذ تلك السنة كما يدل على ذلك الجدول (٤) ، وهكذا نرى أن متوسط

التالية حتى نصل إلى أن متوسط السرعة الكتابية للسنة الدراسية ٣,٥ تساوي ١٦٢,٥٣ كلمة ، ومعدل السرعة الكتابية لهذه السنة الدراسية هو ٥,٨٠

السرعة الكتابية للنصف الأول من السنة الأولى الدراسية هو ٥١,٢١ كلمة ، وأن معدل السرعة الكتابية في الدقيقة الواحدة هو ١٨٣ كلمة ، وهكذا بالنسبة للسنوات الدراسية

السنوات الدراسية	متوسط السرعة الكتابية	معدل السرعة الكتابية في الدقيقة الواحدة
س	ص	
٠,٥	٥١,٢١	١,٨٣
١,٥	١٠٠,٥٤	٣,٥٩
٢,٥	١٣٩,٤٥	٤,٩٨
٣,٥	١٦٢,٥٣	٥,٨٠

جدول (٤) متوسطات ومعدلات السرعة الكتابية في المرحلة الابتدائية

هذه السنة الدراسية ، وهكذا بالنسبة لبقية السنوات الدراسية للمرحلة الابتدائية:

حسبت متوسطات السرعة الكتابية لجميع مستويات مرحلة مكافحة الأمية بنفس الطريقة التي حسبت بها هذه السرعة لمرحلة التعليم الابتدائي .

تحليل نتائج الصعوبة للكلمات الصحيحة :

حسبت متوسطات الكلمات الصحيحة لكل حرف هجائي تبدأ به كل كلمة كتبها التلاميذ ، ثم رتب هذه الكلمات بالنسبة لحرفها الأول ترتيبا تنازليا تبعا لسهولة

هذا وعندما رصدنا هذه النتائج في رسم بياني يوضح العلاقة بين (س ، ص) ظهر أن هذه العلاقات تقترب جدا من الخط المستقيم ، ولذلك فقد حسبت معادلة هذا الخط وقد دلت نتائج هذا التحليل على أن معادلة الخط المستقيم هي :

$$ص = ٣٧,٢٩ + ٣٨,٨٥$$

وهكذا نستطيع عن طريق هذه المعادلة ، أن نحسب متوسطات السرعة لجميع السنوات الدراسية للمرحلة الابتدائية كما يدل على ذلك الجدول (٥) حيث نرى أن متوسط السرعة الكتابية يساوي ٥٠ و ٥٧ في السنة الدراسية ٠,٥ ، وأن معدل السرعة الكتابية في الدقيقة الواحدة هو ٢,٠٥ كلمة لنفس

وتصاغديا وفقا لصعوبتها ، واصطلح على الرقم (٢٨) يدل على أصعب كلمة ، كما أن الرقم (١) يدل على اسهل كلمة ، يوضح ذلك الجدول رقم (٦) :

السنة الدراسية	متوسط السرعة الكتابية	معدل السرعة الكتابية في الدقيقة الواحدة
س	ص	
صفر	٣٨,٨٥	١,٣٩
٠,٥	٥٧,٥٠	٢,٠٥
١,٠	٧٦,١٤	٢,٧٢
١,٥	٩٤,٧٩	٣,٣٨
٢,٠	١١٣,٤٣	٤,٠٥
٢,٥	١٣٢,٠٨	٤,٧٢
٣,٠	١٥٠,٧٢	٥,٣٧
٣,٥	١٦٩,٣٧	٦,٠٥
٤,٠	١٨٨,٠١	٦,١٢

جدول (٥) متوسطات ومعدلات السرعة الكتابية في المرحلة الابتدائية كـ تدل عليا معادلة الخط ١١ تقيم

الترتيب النسبي للمعوبة من السهل الى الصعب	ترتيب الصعوبة في سنوات المرحلة الابتدائية					الحروف الهجائية
	المتوسط	٤	٣	٢	١	
١٠	٩,٧٥	٦	١٤	١٨	١	أ
١٦	١٥,٥٠	٢٢	٢٣	١٢	٥	ب
١٩	١٨,٥٠	١٢	٢٠	٢٣	١٩	ت
٢٥	٢٤,٧٥	٢٤	٢٦	٢٥	٢٤	ث
٧	٨,٠٠	٨	٥	٥	١٤	ج
٥	٧,٢٥	٧	١٠	١٠	٢	ح
١٩	١٨,٥٠	٢	١٩	١٥	٢	خ
١١	١٠,٥٠	١٧	١٢	٧	٦	د
٢٦	٢٥,٢٥	٢٧	٢٧	٢٤	٢٣	ذ
١٤	١٤,٥٠	١٦	١٧	١٤	١١	ر
٢٤	٢١,٥٠	١٩	٢١	١٩	٢٧	ز
٥	٧,٢٥	١	٦	١	٢١	س
٨	٨,٧٥	٥	٩	٦	١٥	ش
١٨	١٧,٢٥	١٣	١٨	١٣	٢٦	ص
٢٧	٢٥,٧٥	٢٣	٢٥	٢٧	٢٨	ض
١٧	١٦,٥٠	١٤	١٥	١٦	٢١	ط
٢٨	٢٧,٢٥	٢٨	٢٨	٢٨	٢٥	ظ
٤	٥,٧٥	٣	٢	٨	١٠	ع
٢١	١٨,٨٥	٢١	١٦	٢٢	١٦	غ
٩	٩,٠٠	٩	٧	٨	١٢	ف
٣	٥,٥٠	١٥	١	٢	٤	ق
١٢	١٣,٠٠	١٨	٨	١٧	٩	ك
٢٢	٢٠,٢٥	٢٥	٢٢	٢١	١٣	ل
١	٢,٧٥	٤	٤	٤	٣	م
١	٣,٧٥	٢	٣	٢	٧	ن
١٢	١٣,٠٠	١١	١٣	١١	١٧	هـ
٢٣	٢١,٠٠	٢٦	٢٤	٢٦	٨	و
١٥	١٤,٧٥	١٠	١١	٢٠	١٨	ي

جدول رقم (٦) ترتيب الكلمات الصحيحة تبعاً لزيادة صعوبتها وذلك بالنسبة للحرف الهجائي الاول في الكلمة

وهكذا نرى أن أسهل خمسة حروف تبدأ بها الكلمات في المرحلة الابتدائية هي كما يلي مرتبة من السهل إلى الصعب :

م - ن - ق - ع - س -

وأصعب خمسة حروف تبدأ بها الكلمات هي كما يلي مرتبة من الصعب إلى السهل :

ث - ض - ذ - ث - ز -

رعاية المحصول اللفظي للطفل :

تتطلب عملية الرعاية معرفة المستوى الواقعي للمحصول اللفظي والمستوى المتوقع ثم تنمية المستوى الواقعي حتى يصل إلى المستوى المتوقع :

ويقاس المستوى الواقعي للمحصول اللفظي العام والفرعي ، باختبار المحصول اللفظي ، ولا يتطلب هذا الاختبار من الطفل أكثر من أن يكتب جميع الكلمات التي يعرفها ، وتبدأ بحرف معين من حروف الهجاء في مدى زمني يساوي تماماً دقيقة واحدة ، وهكذا بالنسبة لبقية الحروف الأخرى ، ويمكن معرفة عدد الكلمات التي يعرفها الطفل والتي يكتبها في ٢٨ دقيقة :

ويقاس المستوى المتوقع للمحصول اللفظي العام والنوعي باختبار المحصول

اللفظي وذلك عن طريق تطبيقه على تلاميذ السنة الدراسية التي ينتهي لها الطفل ، ثم حساب متوسط إجابة تلاميذ هذه السنة ، ومقارنة المحصول اللفظي للطفل بمستوى المحصول اللفظي لفرقة الدراسية .

وبذلك يمكن معرفة مستوى الطفل بالنسبة لمستوى فرقته .

ومستوى الطفل إما أن يكون أقل من مستوى فرقته فيحتاج عندئذ إلى تدريب وقراءة حتى يصل إلى مستوى فرقته :

وإما أن يساوي مستوى فرقته أو يزيد عليه ، وبذلك يستقيم محصوله اللفظي ولا يشير إلى التخلف الذي نخشاه .

والقراءة هي علاج لتخلف مستوى المحصول اللفظي عن المستوى العادي .

ويمكن أن يقاس المحصول اللفظي على فترات متعاقبة ، وتقارن نتيجة كل قياس بالتي تسبقها حتى يعرف الأثر النسبي للبرنامج القرائي المتبع في زيادة ذلك المحصول .

وللمحصول اللفظي أهميته القصوى في القدرة على التعبير ، والقدرة على معرفة المادة القرائية .

الدكتور فؤاد البهي السيد

الصفاني

للكتور حسين علي محفوظ

٥٧٧ - ٦٥٠ هـ

مجل سيرة :

نشأ بغزنة ، ورحل في طلب الحديث والعلم ، ودخل اليمن ، وورد إلى عدن سنة ٦١٠ هـ ، وحج ، وجاور مكة ، وكان بها سنة ٦٢٣ . وقدم بغداد سنة ٦١٥ ، وبعثه الخليفة الناصر رسولا إلى ملك الهند ، سنة ٦١٧ هـ . ورجع منها سنة ٦٢٤ ، وعاد إلى بغداد - بعد مدة طويلة وأرسله المستنصرين لله - أيضا - إلى ملكة الهند . ثم رجع إلى بغداد سنة ٦٣٧ هـ .

سمع بكة ، وعدن ، والهند ، وبغداد ، وقرأ الناس عليه ، وانتفعوا بعلمه الجهم .

وجعله المستنصر شيخ رباط المربانية الذي بناه الخليفة الناصر لأهل النصوص في قرية المربانية على نهر عيسى ، بالجانب الغربي . كما كان مدرس المدرسة التنشئة الحنفية ببغداد .

وقربه الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي ، واختصه لتعليم ولده عز الدين محمد . وألحقه قاضي القضاة أعز الدين أبو العباس أحمد بن محمود الزنجاني بالمعدلين .

اسمه ونسبه ولقبه :

هو ، رضي الدين أبو الفضائل الحسن ابن أبي السعادات محمد بن أبي الفضل الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن علي بن إسماعيل ، العمرى ، العدوى ، القرشي ، اللاهوري ، الصفاني ، اللغوي ، القرشي ، اللاهوري ، الصفاني ، اللغوي ، الأديب ، المحدث ، النحوي الفقيه ، الحنفي .

ولادته ووفاته وقبره :

ولد في لاهور ، يوم الخميس ١٠ من صفر سنة ٥٧٧ هـ = ٢٥ من حزيران سنة ١١٨١ م ، وتوفي - فجأة - ببغداد ، ليلة الجمعة ١٩ من شعبان ، سنة ٦٥٠ هـ = ٢٥ من تشرين الأول سنة ١٢٥٢ م ، عن ٧٣ سنة .

وتولى أصحاب الوزير ابن العلقمي تجهيزه ودفنه .. فقبر في داره بالحريم الطاهري في الجانب الغربي .

ثم نقل إلى مكة ، ودفن جوار الفضل ابن عياض ، كما أوصى .

أسانته وشيوخه :

لاقى الصغاني أفاضل الشيوخ ، ومنهم :

١ - أبو الفتوح بن الحصري ، مكة .

٢ - سعيد بن الرزاز ، ببغداد .

٣ - القاضي سعد الدين خليف بن محمد ،

الحسنابادي .

٤ - والده : أبو السعادات محمد بن

أبي الفضل الحسن بن محمد بن الحسن بن

حيدر بن علي بن إسماعيل القرشي ، بـلاهور .

٥ - النظام محمد بن الحسن ، المرغيناني .

تلاميذه والرواة عنه :

قرأ الناس عليه ببغداد - وانتفعوا به

وكان يقرأ عليه - بعدن - كتاب « معالم

السنن » للخطابي .

وقد قرأ عليه ، وسمع منه ، وروى

عنه ، جماعة من الأفاضل والأعيان ، منهم :

١ - السيد ، جمال الدين ، أبو الفضائل

أحمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن

طاووس ، الحسيني ، المتوفى سنة ٦٧٣ هـ

أجاز له جميع مسموعاته ومؤلفاته ومنشأته .

٢ - أبو العز ، أسد البغدادي ، بن

إسكندر بن محمد بن نصر بن محمود ،

الشرواني .

٣ - العلامة الحلبي ، جمال الدين ،

أبو منصور ، الحسن بن يوسف بن المطهر ،

الحلي ، المتوفى سنة ٧٢٦ هـ . روى عنه

كتاب « التكملة والذيل والصلاة » . وإليه

ينتهي سند الفيروزابادي - صاحب القاموس

المحيط - في رواية هذا الكتاب . ولا ريب

أنه أجاز له في طفولته .

٤ - قاضي القضاة ، تقي الدين ،

أبو الفضل ، سليمان بن حمزة ، المقدسي :

٥ - محيي الدين ، أبو التقي ، صالح بن

عبد الله بن جعفر بن علي بن صالح ،

الأسدي ، الكوفي ، الفقيه ، النحوي ، المعروف

بـابن الصباغ . روى عنه إجازة ٦٥٠ هـ .

٦ - موفق الدين ، أبو محمد ، عبد

القاهر بن محمد بن عبد الله بن عبد العزيز

الموطي ، البغدادي ، الأديب ، المقتول - في واقعة

القتار - سنة ٦٥٦ هـ . قرأ عليه الأدب .

٧ - السيد ، غياث الدين ، أبو المظفر

عبد الكريم بن أحمد بن موسى بن جعفر

ابن محمد بن طاووس ، الحسيني ، المتوفى

سنة ٦٩٣ هـ . أجاز له - طفلاً - جميع

مسموعاته ومؤلفاته ومنشأته - في إجازة

أبيه السيد جمال الدين بن طاووس .

٨ - الحافظ ، شرف الدين ، أبو محمد

عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف

ابن الخضر بن موسى ، الدمياطي ، الشافعي

المتوفى سنة ٧٠٥ هـ . سمع منه ببغداد .

٢ - الأحكام ، في فقه الحنفية .

٣ - أسامي شيوخ البخارى .

٤ - الأسماء .

٥ - أسماء الأسد .

٦ - أسماء الدين .

٧ - أسماء الذئب وكناه .

٨ - أسماء السعادة .

٩ - أسماء العادة .

١٠ - أسماء الغادة في أسماء العادة .

١١ - أسماء الغارة .

١٢ - أسماء الفارة .

١٣ - أسماء القارة .

١٤ - أفعل فعلان .

١٥ - بغية الصديان .

١٦ - بقعة الصديان .

١٧ - بيان الأحاديث الموضوعة .

١٨ - التذكرة الفاخرة .

١٩ - تعزيز بيتي الحريرى .

٢٠ - تقرير منتهى الحريرى .

٢١ - تكملة العزيزى ، في الأدب .

٢٢ - التكملة على الصحاح ، في ٦

مجلدات كبار ، ذكر فيها ما فات الجوهرى

من اللغة ، وهى أكبر حجماً من الصحاح .

٢٣ - التكملة والذيل والصلة .

٢٤ - توشيح الدريدية .

٩ - العلامة ، كمال الدين ، أبو الحسن ،

على بن محمد بن محمد بن محمد بن وضاح

أبن أسعد محمد بن وضاح ، الشهرابانى

الحنبلى ، الفقيه ، النحوى ، الكاتب ،

نزىل بغداد ، المتوفى سنة ٦٧٣ هـ .

١٠ - ابنه ، الضياء ، أبو البركات ،

محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن

حيدر بن على بن إسماعيل ، الصغاني .

قرأ عليه كتاب « العباب » سنة ٦٤٩ هـ .

١١ - الوزير عز الدين أبو الفضل ،

محمد بن الوزير مؤيد الدين محمد بن أحمد ،

ابن العلقمى ، الأسدى : قرأ عليه أكثر

دواوين العرب . وكان الصغاني يتردد

إلى دار والده الوزير يعلمه .

١٢ - الشيخ برهان الدين ، محمود

ابن أبي الخير أسعد ، البلخى ، شارح

كتاب « آثار النيرين في اخبار الصحيحين »

في الحديث .

١٣ - نظام الدين محمود بن عمر ، الهروى .

آثاره :

عددت المصادر تأليفه . وقد بلغت ٩٠

كتاباً ورسالة ، كل الظن أنها نحو ٥٠

زادت بالتصحيح ، والتحريف ،

والتغيير ، والتكرير .

وهذه أسماؤها مجموعة ، كما جاءت

في مختلف كتب التراجم :

١ - الأثر .

٤٢ - الشمس المنيرة من الصحاح المأثورة
في الحديث :

٤٣ - الشوارد في اللغات .

٤٤ - ضوء الشهاب ؛ للقضاعي .

٤٥ - العباب الزاهر واللباب الفاخر :

٤٦ - القلائد السمطية في توشيح الدريدية .

٤٧ - القلائد السمطية في شرح الدريدية .

٤٨ - كتاب الأسفار :

٤٩ - كتاب الأسماء :

٥٠ - كتاب الأضداد :

٥١ - كتاب الأصفار :

٥٢ - كتاب الأضداد :

٥٣ - كتاب الافتعال :

٥٤ - كتاب افتعل :

٥٥ - كتاب الأفعال :

٥٦ - كتاب الانفعال :

٥٧ - كتاب انفعّل :

٥٨ - كتاب التراكيب :

٥٩ - كتاب خلق الإنسان :

٦٠ - كتاب السالكين :

٦١ - كتاب السحابة في وفيات الصحابة .

٦٢ - كتاب الضعفاء :

٦٣ - كتاب العادات :

٦٤ - كتاب العروض :

٦٥ - كتاب الفرائض :

٢٥ - حاشية ذيل الصحاح في اللغة
من تأليفه المسمى بالتكملة وصلته . أفردتها
تسهيلاً على الطالب وتيسيراً على الراغب .

٢٦ - درّ السحابة في بيان مواضع
وفيات الصحابة :

٢٧ - درّ السحابة في معرفة صفات
الصحابة :

٢٨ - در السحابة في وفيات الصحابة .

٢٩ - الدر الملتقط في تبين الغلط :
ذكر فيه ما في كتابي الشهاب والنجم ،
من الموضوع :

٣٠ - الدرر الملتقطة ، في بيان الأحاديث
الموضوعة :

٣١ - ذيل العزيزي :

٣٢ - رسالة في الأحاديث الموضوعات .

٣٣ - رسالة في الأحاديث الموضوعية .

٣٤ - رسالة أخرى في الأحاديث الموضوعية .

٣٥ - رسالة في الأحاديث الواردة في
صدر التفاسير ، في فضائل القرآن ، وغيرها :

٣٦ - رسالة في الموضوعات من الأحاديث .

٣٧ - شرح أبيات المفصل :

٣٨ - شرح الأخبار المولوية والآثار المرضية .

٣٩ - شرح أسباب المفصل :

٤٠ - شرح القلائد السمطية في توشيح

المقصورة الدريدية :

٤١ - شرح مقصورة ابن دريد :

٦٦ - كتاب فعال ؛ على وزن خذام
وقطام ، فيما بنته العرب على لفظ فعال على
حروف المعجم .

٦٧ - كتاب فعالان ؛ على وزن سيان .

٦٨ - كتاب فعول .

٦٩ - كتاب في التصريف .

٧٠ - كتاب في علم الحديث .

٧١ - كتاب في نواذر اللغة .

٧٢ - كتاب المفعول .

٧٣ - كتاب يفعول .

٧٤ - كشف الحجاب عن أحاديث
الشهاب .

٧٥ - ما أهمله إلى الجوهري من لغة .

٧٦ - ما تفرد به بعض أئمة اللغة .

٧٧ - مجمع البحرين في الجمع بين أحاديث
الصحيحين ؛ في الحديث .

٧٨ - مجمع البحرين في اللغة ، في
١٢ مجلداً .

٧٩ - مختصر العروض .

٨٠ - مختصر الوفيات .

٨١ - مشارق الأنوار في الجمع بين
الصحيحين .

٨٢ - مشارق الأنوار النبوية من صحاح
الأخبار المصطفوية .

٨٣ - مصباح الدجى في حديث المصطفى .

٨٤ - مصباح الدجى في صحاح حديث
المصطفى .

٨٥ - مصباح الدعاء .

٨٦ - مصباح الدياجى .

٨٧ - مناسك الحج .

٨٨ - نظم عدد آي القرآن .

٨٩ - نقة الصديان فيما جاء على وزن
فعالان .

٩٠ - النكت الأدبية .

مكانة كتيبه :

يعد الصغاني من أئمة اللغة ، ومن أعلام
المصنفين في فنونها ، عد عن آثاره الأخرى
في علوم الحديث ، والقرآن ، والأدب
والعروض ، والتصريف ، والفرائض ،
والفقه ، والتاريخ .

ومعجماه الكبيران «التكملة» ، و«العياب»
هما خير ما ترك في اللغة من آثار .
أما كتاب «التكملة والذيل والصلة» ،
فقد ألفه في ست مجلدات - بعد أن بلغ
الكبر ، وبعد أن أحاط بما جمع من كتب
اللغة - وقد جمع فيه ما أهمله الجوهري
في كتابه «الصحاح» ، وذيّل عليه .

واستخرج لغاته من أصول أربت على
ألف مصدر ؛ من كتب اللغة ، والنحو
وغرائب الحديث ، ودواوين الشعراء ،
وأراجيز الرجاز ، والكتب المصنفة في
المذكر والمؤنث ، والآباء والأمهات والبنين
والبنات ، والأضداد والنبات والأشجار

وما اتفق لفظه وافترق معناه ، وما صنف
في أسامى الجبال والمواضع والبقاع والأصقاع .
وقد أحصى فيه ٩٨ كتاباً من أمهات
المراجع في الأدب واللغة والشعر ، حفظ
أسماءها ، ونسبها إلى مؤلفيها ؛ مما
يفيد في الفهرسة ، وتاريخ الثقافة ، وتدوين
التراث . وفي التكملة هذه - من مادة تلك
الكتب التي ضاع كثير منها - ما قد يسلينا
من الهم والحزن على ضياع ما فقد من ذخائرها .

وأما كتاب «العباب الزاخر واللباب
الفاخر» فقد ألفه للوزير الفاضل ابن العلقمي ؛
إذا أوعز إليه أن يؤلف كتاباً في لغة العرب ؛
يكون جامعاً لشتاتها وشواردها ، حاوياً
مشاهير لغاتها وأوابدها ، مشتملاً على كل
التراكيب المستعملة . فقد جمع فيه ما تفرق
في كتب اللغة المشهورة ، وما بلغه مما جمعه
علماء اللغة ، والقدماء الذين شافهوا العرب
وساكنوهم وسايروهم ، ومن بعدهم من
أدرك زمانهم .

وقد أتى فيه على عامة ما نطقت به العرب
من المستعمل والنادر ، مستشهداً على صحة ذلك
بالآيات ، والأحاديث ، والأشعار والأمثال .

وذكر أسامى خيل العرب ، وفرسانها ، وشعراتها
وبقاعها ، وأصقاعها ، وبرقها ، وداراتها .

وقد أتى بالأشعار معزوة إلى قائلها بعد
أن راجع دواوينهم ، واعتماد أصح الروايات
واختار أقوال الثقات .

والكتاب في ٢٠ مجلداً ، وصل فيها إلى
مادة «بكم» . وقد صدره بفصلين :
الفصل الأول - في أسامى جماعة من
أهل اللغة .

والفصل الثاني : في أسامى كتب حوى
معجمه لغاتها .

وقد أحصى في مقدمته ١٠١ كتاب من
أمهات المراجع ، حفظ - أيضاً - أسماءها
ونص على نسبتها إلى مصنفها . وتعد هذه
المدونة القيمة - على اقتضاها - من فهارس
التراث المفيدة ، التي تؤرخ الآثار الباقية
في زمانه مما ضاع بعضه ، عدماً أحاط به
العباب من مادتها اللغوية والأدبية التي فقدت
المكتبة العربية نفائس أصولها .

مراجع الترجمة :

١ - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب .

٢ - الأعلام .

٣ - إيضاح المكنون .

٤ - بروكلمن .

٥ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين
والنحاة .

٦ - تاج التراجم في طبقات الحنفية .

٧ - تاج العروس .

٨ - تاريخ آداب اللغة العربية .

٩ - تكملة بروكلمن .

١٠ - تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب . . .

١١ - الجاسوس على القاموس .

١٢ - الجواهر المضية في طبقات الحياة .

١٣ - الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة .

١٤ - دول الإسلام .

١٥ - رجال السند والهند في القرن السابع .

١٦ - روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات .

١٧ - ربحانة الأديب في تراجم المعروفين بالكنية أو اللقب .

١٨ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب .

١٩ - فوات الوفيات .

٢٠ - قاموس الأعلام .

٢١ - القاموس المحيط .

٢٢ - كشف الظنون .

٢٣ - الكنى والألقاب .

٢٤ - مجلة ثقافة الهند .

٢٥ - مجلة العربى .

٢٦ - مجلة المجمع العلمى العربى .

٢٧ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان .

٢٨ - المزهرة .

٢٩ - معجم الأدباء .

٣٠ - معجم المؤلفين .

٣١ - مفتاح السعادة ومصباح السيادة .

٣٢ - مقدمة التكملة والذيل والصلة .

٣٣ - منتخب المختار .

٣٤ - نامة دانشوران ناصرى .

٣٥ - نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر .

٣٦ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .

٣٧ - هدية الأحباب في ذكر المعروفين بالكنى والألقاب والأنساب .

٣٨ - هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين .

٣٩ - الوافى بالوفيات .

حسين على محفوظ

عضو المجمع المراسلى من العراق

سيبويه

إمام النحو وأدبه

درستاز علي أصفهلي

شعرية أقدمها لأعتاب العلماء والأدباء .
فنظمت هذه القطعة المتضمنة للخطوط
العريضة لحياة عالمنا الإمام النحوي والأديب
الأريب ومنزلته العلمية العظيمة ، وهذه
ترجمتها باللغة العربية :

(سيبويه إمام النحو وأدبه)

كان كالتفاح عمرو بن عثمان
فلا مندوحة إذا أن يلقب بسيبويه
قد عاش منذ اثني عشر قرناً
وكان عصره هو العصر الذهبي
مولده ببغداد في فارس
وورث عن إيران أصله ونسبه
أصبحت البصرة من ين نشأته (تربيته)
مدرسة علم ، وما أروعها من مدرسة
كتابه « الكتاب » خزانة أدب
وقد شمت صروح اللغة العربية به
أستاذه الخليل بن أحمد
فلا تعجب إن وجه أعذب المديح إليه
وإن الأخفشين الكبير والصغير
يقفان متأدبين بجواره
وكان الكسائي على أعتابه
تلثم شفيته أعتابه بأدب
كلامه كأعطاف الورد
وحديثه سواء كالشوك والخشب

تصادف هذه السنة

تصادف

(١٣٩٤ هـ ق = ١٣٥٣)

هـ ش) الذكرى المائة الثانية عشرة للذكرى
أحد أئمة الأدب وأساطين النحو العربي ،
أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب
بسيبويه ، وبمناسبة إقامة مهرجان تخليداً للذكرى
هذا العبقري الفارسي من قبل جامعة بهلوي
بشيراز قمت أبحث بعد سير أحواله ودراسة
أخباره عن مادة تاريخية لعام وفاته ، كما
هو المتداول والمتعارف في أوساط الأدباء .

وبعد ذلك وجدت أن جملة (إمام النحو
وأدبه) التي يستخرج منها بحساب الجُمَّل الرقم
(١٩٥) مناسبة لسنة وفاة عالمنا الخليل (١)
وبما أن وفاته كانت عام (١٩٤ هـ ق)
على أصح الأقوال فإننا نطرح رقماً واحداً
من الجمع فيحصل لدينا عام (١٩٤ هـ ق)
وقد أحسست بشوق إلى نظمها في صورة قطعة

(١) حسن فسائي ذكر تاريخ وفاة سيبويه في كتابه الكبير ، فارسنامه ١٩٥ د ، ج ١ ص ١٣ طبعة طهران .

ناهر الأربعين من عمره
تألاً كوكبا ساطعا في سماء الأدب
إذا قصدت مرقده كما تقصد الكعبة
فاطلبه في شيراز عند الحجر الأسود
طلبت يوماً من الله تعالى
مدداً ، لتاريخ وفساته
فخرج على من الجمع واحد
يقول لي بالشعر أرخ «إمام النحو وأدبه»
أربع وتسعون ومائة
عام وفاته إن أردت معرفته

نظم «حكمت» هذه القطعة تكريماً
وتعظيماً له، فأتت أحلى من السكر والرطب.

طهران ١٧ صفر ١٣٩٤

ولما كانت الإشارات الواردة في هذه
القطعة تعوزها بعض التنبيهات فلأنني أشير
إليها وأشرحها خلال هذه المقالة .

(١)

إن جل المؤرخين فسّروا اسم الإمام
(سيديويه) الفارسي بـ (رائحة التفاح) وبعضهم
زعموا أن خدّيه كانا تشبهان التفاح في
النضارة والجمال .^(١)

ورأى أنا أن كلمة «سب» وحدها
كانت اسماً له بالفارسية ، لأن سكان فارس

(جنوب إيران) في لهجتهم الدارجة ينطقون
الأعلام بصورة عامة بإشباع الضمة على
شكل واو مضمومة ، فأخذوا يدعونه في
بلده بـ «سيبُو» ومن ناحية أخرى فإن مثل
هذه الأسماء الأعلام حينما تعرب يضاف
إليها حرفا «الياء والهاء» ويفتحان عند النطق:

وهذه التسمية العربية لم تكن منحصرة
في الأسماء الفارسية فحسب ، بل إن إلحاق
«ويه» كانت متداولة في العالم العربي أيضاً
مثل ، نبطويه وخالويه وقولويه ، وغيرها
من الأسماء المعروفة :

ومن هذا القبيل إلحاق «ويه» بالأعلام
الفارسية ؛ فهو ما زال موجوداً ومستعملاً حتى
اليوم في جنوب إيران ، والكل ينطقونها
بلهجتهم الدارجة بإشباع الضمة بدون تلك
اللاحقة ، وقد حفظت لنا السجلات القديمة
كلمة «ويه» في مثل الكلمات : «كوه
كيلو» المنطقة المعروفة ، وتعريبها «كوه
كيلويه» وقرية «مهارلو» المعربة في
المخطوطات القديمة بـ «مهارلويه» (وهي
قرية على بعد أربعين كيلو متراً في الناحية
الشرقية من شيراز) وكذلك ميناء «عسلو»
التي جاءت في المخطوطات الرسمية «عسلويه» :
وهكذا لقب الأمير علاء الدولة الديلمي
بـالفارسية «كاكو» = خال وعربت

(١) مقدمة «الكتب» طبعة بيروت ١٣٨٧ هـ . ق. شد الإزار في حط الأوزار عن زورا المزار . «أبو القاسم

جنيّد شيرازي» (قرن ٧) ص ٩٦ ط طهران ١٣٢٨ هـ . شوقيات الأعيان ، ابن خلكان .

هذه الكلمة : « كاكويه » . والسلالة التاريخية لملوك الديلم الذين اشتهروا بأسرة « بويه » (بفتح الواو ، باللغة العربية ، والأصح سكونها) .

(٢)

كما أسلفنا ، أن ميلاد عمرو بن عثمان ، سيديويه وحياته ونشأته كانت في القرن الثاني للهجرة ، وأن عمره كله انقضى في هذا القرن . ولا شك أن القرن الثاني ليعتبر في تاريخ إيران الإسلامي قرناً مباركاً وكان يعد القرن الذهبي للثقافة الإيرانية الإسلامية ، حيث تمكن الإيرانيون بقوة ذكائهم وأصالة ثقافتهم ، وبلوغهم الذاتي ، أن يملكوا الزعامة الفكرية والمادية في مجالات العلم والفن والسياسة في منطقة الشرق الأوسط . وأصبحت الشريعة الإسلامية تنتشر انتشاراً منقطع النظير في الأقاليم والأوساط الإيرانية ، وترعى تحت ظلالها المذهب الجعفري . وبذلك أصبحت لغة الإيرانيين مزيجاً من اللغة العربية للحجازية ومن الفارسية الفهلوية . ومن مميزات هذا القرن أيضاً ، ظهور أبي مسلم الخراساني (المقتول ١٣٧ هـ) وثورته القاضية على الحكم الأموي الغاصب وإرساؤه قواعد الخلافة العباسية (١٣٢ هـ مقتل مروان الأموي) .

وفي أواخر هذا القرن أيضاً قضى الأمير الطاهر ذو اليمينين (قيل إنه من أحفاد رام جويينه) على محمد الأمين ، ونصب

أخاه المأمون (الذي كانت أمه إيرانية) على الخلافة . والطاهر كوّن أول أسرة ملكية إقليمية إيرانية في خراسان وما وراء النهر تدعى بالطاهريين (توفي ٢٠٧ هـ بمرو)

وفي هذا القرن كان وزراء وحكام إيرانيون يديرون شؤون الدولة الإسلامية المترامية الأرجاء باسم خليفة بغداد من أمثال يحيى وجعفر والفضل البرمكيين (المقتول ١٩٣ هـ ق) والفضل بن الربيع السرخسي (توفي بطوس ٢٠٨ هـ ق) .

وقد ظهر أيضاً في القرن الثاني عباقرة وعلماء وشعراء ، من مثل عبد الله بن المقفع (المقتول بالبصرة ١٤٣ هـ ق) والذي ترجم كتاب كلياته ودمنة من اللغة البهلوية إلى العربية ، والف كتباً أخرى ، وهكذا نرى في هذا القرن شاعراً كبيراً مثل بشار بن برد (١٦٧ هـ ق) وأبا نواس (١٩٨ هـ ق) . ومسلم بن الوليد (المتوفى بجرجان ٢٠٨ هـ ق) ، الذين دوت أشعارهم وقصائدهم في أرجاء العالم الإسلامي وقام هؤلاء الكبار الذين ينتمون إلى أصل فارسي بهضبة عظيمة مدوية في الشعر العربي وأدبه .

(٣)

أجمع المؤرخون على أن مولد سيديويه كان في ناحية « بيضاء » في ولاية فارس ، وتقع هذه الناحية في شمال غربي شيراز ، على بعد ٤٢ كيلو متراً ، ومركز هذه الناحية يسمى

الآن « تل بيضا » (١) وأغلب الظن أن هذه القرية المركزية كانت مولد سيويو الإيراني نسباً وعنصراً : كان جده الأعلى اسمه « قنبر »، والظاهر أن هذه الكلمة إيرانية .

وفي قرية بيضاء ولد كثير من العلماء والشخصيات المعروفة من المتقدمين من مثل : حسين بن منصور الحلاج (المقتول ٣٠٦ هـ) وهو من كبار علماء التصوف والعرفان، وقصته معروفة . ومن هناك أيضاً القاضي ناصر الدين أبو سعيد المعروف بالقاضي البيضاوي (المتوفى في تبريز - ٦٩٥ هـ ق) وهو مشاهير الأدب والفقه والتاريخ والتفسير . ولا بأس في أن نشير هنا إلى أن محل « تل بيضاء » الحالية والقرية المجاورة لها المسماة بـ « ملين » هي محل المدينة الأثرية القديمة « آنشان . أو - أنزان » Aushan التي كانت في أواخر الألف الثاني وأواسط الألف الأول، مدينة عظيمة عامرة ومركزاً لمحافظة «بارسوا Parsua فارس قبل حكم الأخمينيين Aeminians في عصر العيلاميين Elamites الذين كان لهم حضارة وحظ في جنوب إيران . وكانوا معاصرين للأشوريين وقد حكموا في جنوب إيران وجنوب العراق، ولكن بعد أن قضى عليهم كورش الكبير وأسس عاصمته بارسا كاد Pasocede فقدت مدينة «آنشان» أهميتها وأصبحت شيئاً فشيئاً قرية صغيرة

تناولها النسيان : وفي عام ١٩٧٢ م عثر العالم الأثري الأميركي الدكتور Dr. Sumner على آثار قديمة للمدينة في أنقاض « ملين » و « تل بيضا » فظهرت مرة أخرى إلى الوجود مدينة آنشان الأثرية . فلا غرو إذن أن نرى سكان هذه المدينة - التي ورثت الحضارة العيلامية - متميزين بتهضة علمية ومقدرة عقلية جبارة، فيظهر من هذا الوسط الحضاري من أمثال سيويو والحلاج والبيضاوي وغيرهم من الأفاضل .

(٤)

وبعد أن بزغت شمس الإسلام، وانقرضت الدولة الساسانية على يد المسلمين العرب (٦٥٠ م) وجالت خيول العرب من الجزيرة العربية على شكل الغزاة المسلمين في جميع إيران وثوران، أقاموا معسكراتهم في منطقتين :

إحداهما في شمال العراق باسم الكوفة والأخرى في الجنوب باسم البصرة، وإن هاتين المنطقتين العسكريتين تطورتا أخيراً إلى مركزى علم وأدب للعرب، وكان المسلمون العرب يحكمون من الكوفة شمال إيران من ما وراء النهر إلى إرميتان (إرمينية) ومن البصرة يحكمون المناطق الجنوبية والشرقية حتى السند والهند، ولما هدأت الأحوال وأخذت الأمور تسير في مجراها في القرن الثاني، واستتب السلام، وتوفرت الفرص

للدراصة والبحث لرجال العلم ، تكونت حينئذ مدرستا الكوفة والبصرة من علماء العرب والفرس ، وأنهال رواة الحديث وطلاب العلم من كل حدب على هاتين المدينتين، وظهر زجال الفكر والثقافة في كل فن من فنون العلم والأدب، وألفت كتب كثيرة في فنون الأدب، كاللغة والنحو والصرف والشعر، وكذلك في علوم الفقه والتفسير والكلام . ففي هذا الوسط الثقافي برز إلى الوجود عالم اشتهر في علم اللغة والأدب والموسيقى، وألف كتباً كثيرة وهو الخليل ابن أحمد (١٧٠ هـ ق) الذي كان يقيم في البصرة، وقد عرف بالأستاذ : ورحل سيبويه الإيراني مع أبيه من فارس إلى البصرة ، وفي هذا الجو المشبع بالعلم والفن عكف أولاً على دراسة الحديث والفقه، ثم على دراسة النحو وتعلم على الخليل بن أحمد، فأخذ عنه اللغة وعلم النحو، إلى أن وصل مرتبة الكمال وهو حدث، وقبيل الشباب حاز على قدر كبير من العلم والفضيلة، وقد أثنى الخليل في إبان دراسته على سيبويه وكان يستقبله الخليل بترحيبته المعروفة : « مرحباً بزاز لا يمل » : وقيل إن الخليل لم يشن على أحد مثله ما أثنى على سيبويه . وقد تتلمذ سيبويه أيضاً على أساتذة آخرين أمثال الأخفش الكبير (عبد الحميد بن عبد الحميد البصري (توفي ١٧٧ هـ ق) . وقد أخذ سيبويه لغته من أبناء البادية أيضاً ، وتعلم على سيبويه

علماء كبار من مثل : الأخفش الأوسط (سعيد بن مسعدة المتوفى ٣١٥ هـ ق) والأخفش الأصغر (علي بن كيسان المتوفى ٣١٥ هـ ق) : وغيرهما .

(٥)

إن أعظم أثر تركه لنا سيبويه كتاب اشتهر به « الكتاب » بصورة مطلقة ، وقد أثنى على « الكتاب » طوال التاريخ الثقافي الإسلامي، ولا يزال مصدراً كبيراً من مصادر الدراسة في علم النحو والعربية، وقد شرح هذا الكتاب وعلق عليه كثير من العلماء : منهم : أبو سعيد السيرافي (٣٦٨ هـ ق) وأبو علي الفارسي المعاصر له، وغيرهما من الشراح (انظر معجم الأدباء لياقوت) وطبع في كلكته والقاهرة وبغروت وباريس وبرلين .

ولاشك أن سيبويه قد أرسى قواعد اللغة العربية، ووضع أصولها في هذا الكتاب . وقد قيل إنه أخذ الأصول من الخليل : واقتبس الفروع والشروح من عيسى بن عمر : ويونس بن حبيب، وغيرهم من علماء البصرة ، فجمع أشنات، واضيعها ورتبها : ولهذا عرف « الكتاب » باسم سيبويه . وهذا كتاب قد شبهوه بالبحر :

(٦)

وعندما شمت صروح الخلافة في بغداد وأخذت في التوسع، وأصبح الوزراء البراءكة

موثلاً ومهجلاً للخاص والعام ، قصد عالمنا الشاب بغداد ليزور يحيى البرمكي ، فجاز في بغداد على مكانة وشهرة واسعتين جداً . وهناك كان الكسائي أبو الحسن علي بن حمزة الكوفي أحد القراء السبعة ومعلم هارون وابنه الأمين (توفي في الري ١٨٩ هـ) ونعلم أنه من رواد مدرسة الكوفة ، وكان في بغداد تفرش له الوسادة ، وله منزلة سامية عند الخليفة حيث عينه معلماً لولده محمد الأمين ، ولما عرف الكسائي مالمسيبويه من منزلة كبيرة في العام حسده ، وخطأه في بعض من المسائل العلمية ، فلما اشتد الخلاف بينهما أمر يحيى البرمكي أن يعقد مجلس بحث ونوقشت القضية المعروفة « بالزنبورية » (والمسألة موجودة في كتب النحو المبسطة أمثال مغنى اللبيب لابن هشام) ولما كان الكسائي محظوظاً لدى جهاز الخلافة تأمر محمد الأمين والكسائي على سيبويه ، وجاءوا بجماعة من أعراب البادية ليحكموا بينهما ، فأوعزوا إليهم أن يخطبوا سيبويه ويقولوا : « الصواب قول الكسائي »

(انظروفيات الأعيان والفهرست)

وبهذه المسرحية المبكية أفحموا سيبويه الفارسي الذي كان ذا لكمة بسيطة في لسانه ، ولكن أسلوبه وطريقته في الكتابة سهلة مرنة جزلة . وبعد هذه الحادثة ، قام يحيى البرمكي الذي أعد هذا البرنامج باستعطاف سيبويه ، وقدم إليه عشرة آلاف درهم . فعاد سيبويه

من بغداد إلى البصرة وقد صمم على أن يذهب إلى طلحة بن طاهر أمير خراسان ، فلما وصل إلى مدينة ساوة اضطره المرض على أن يعدل عن سفره إلى خراسان ، وهو مهموم ومهضم ، فيمهم نحو شيراز قاصداً موطنه الأصلي . فتوفي هناك في الثانية والثلاثين من عمره على قول ، وقيل : في الأربعين من عمره ، ودفن في مقبرة « باهلية » ، وقد نصب عليه رخام أسود ، وقد بقي من تربته هذا الحجر الأسود حتى الآن . واشتهرت المنطقة التي فيها قبر سيبويه بواسطة الرخامة = سنك ، « منطقة » سندسيه « الحجر الأسود (١)

(٧)

قد اختلف المؤرخون وكتاب التراجم في مدفن سيبويه ، فبعضهم قال : إنه دفن في مدينة ساوة ، وقال آخرون دفن في « بيضا » بسقط رأسه . أما أصح الأقوال فهو أن مدفنه في شيراز ، وقد زرت قبره في حي « سندسيه » عليه رخام طوله ٩٤ (م ٩ م ٩) سنتيمتراً وعرضه ٩ سنتيمتراً .

ذكر مؤلف كتاب شد الإزار (المتوفى في ٧٩١ هـ) بأنه لم يتأكد من موضع قبره في « باهلية » ، ولكن ابنه عيسى بن جنيد تعرف على القبر وأشار إلى المحل الذي هو الآن معروف لدى عامة سكان شيراز .

(١) شد الإزار ص ٩٥ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ، الفهرست لابن النديم ط ٥ طهران ج ٥٧ ، فارسنامه ناصري ج ٣

و آثار العجم فرصت شيرازي .

كانت الرخامة سابقاً ذات كتابة ونقوش وقد نحتت عليها أبيات من الشعر ، ولكن مرور الزمن محاً تلك الخطوط وأصبحت الرخامة صافية لمساحة^(١) . ويذكر عيسى ابن جنيد عن سبب لمعان تلك الرخامة : أن المعروف عند عامة الناس في شيراز ، أن من طلاب العلم من إذا أراد أن يصل إلى درجة الكمال يأتي عند قبر سيديوه ويمسح صدره على تلك الرخامة ليكتسب البركة من صاحب القبر ، وقد فشت هذه العادة بين الناس في مدينة شيراز فيأتون بأطفالهم المصابين بمرض السعال الديكي Coquelouche ويسحون رقابهم وصدورهم ذهببت الكتابة وبسبب هذه العقيدة والمسح المستمر على خطوط تلك اللوحة الصخرية بتلك الصخرة وأصبحت شامخة لماعة^(٢) .

(٨)

كما أسلفنا في صدر كلامنا أن تاريخ وفاة سيديوه هو عام ١٩٤ هـ ق على أصبح الأقوال وأن حسن فسائي في فارسنامه قد ذكر تاريخ الوفاة ١٩٥ هـ ق ، ولكن المصادر تدلنا على أن عام ١٩٤ هـ هو أصبح الأقوال بما يلي :

أولاً : أن الحافظ الخطيب البغدادي أبا بكر أحمد بن علي (المتوفى ٤٦٣ هـ ق) ذكر في تاريخ بغداد ، أن وفاة سيديوه كانت في ١٩٤ هـ ، وعمره اثنتان وثلاثون سنة ، فعليه يكون قد ولد عام ١٦٢ هـ ، والخطيب كما نعلم من ثقات المؤرخين ومعتد لدى المؤرخين والأدباء ، وأن القاضي جمال الدين المصري (المتوفى في شيراز ٦٥٣ هـ ق) يؤيد كلام الخطيب^(٣) وأن ابن دريد الأديب اللغوي لي (المتوفى ٣٢٤ هـ ق) والذي أخذ الخطيب عنه كثيراً من مصادره التاريخية ، يقول : إن سيديوه توفي في مدينة شيراز عام ١٩٤ هـ وقبره معروف في هذه المدينة .

ثانياً : بعد دراسة تاريخ المناقشة التي وقعت بين سيديويه وبين الكسائي نعلم أن محمد الأمين الذي كان ينحاز إلى الكسائي ، ويؤازره في المؤامرة المدبرة على سيديويه كان في مرحلة من النضج والإدراك ، بحيث كان يدرك ويتعقل تدبير المؤامرة . ولما كنا نعلم أن ولادته — أي الأمين — كانت في سنة ١٧٤ هـ فيغلب على الظن أن تكون المناظرة قد وقعت حول عام ١٩٠ هـ وأن سيديويه ترك بغداد بعد أربع أو خمس سنوات إلى ساوة ، ومن هناك إلى فارس ، وتوفي بعد مدة قليلة . واعتماداً على هذه الوثائق التاريخية نقطع بأن وفاته كانت عام ١٩٤ هـ وما عدا ذلك ليس بصحيح .

(١) آثار العجم ، فرصت شيرازي (تأليف عام ١٣١٠ هـ ق)

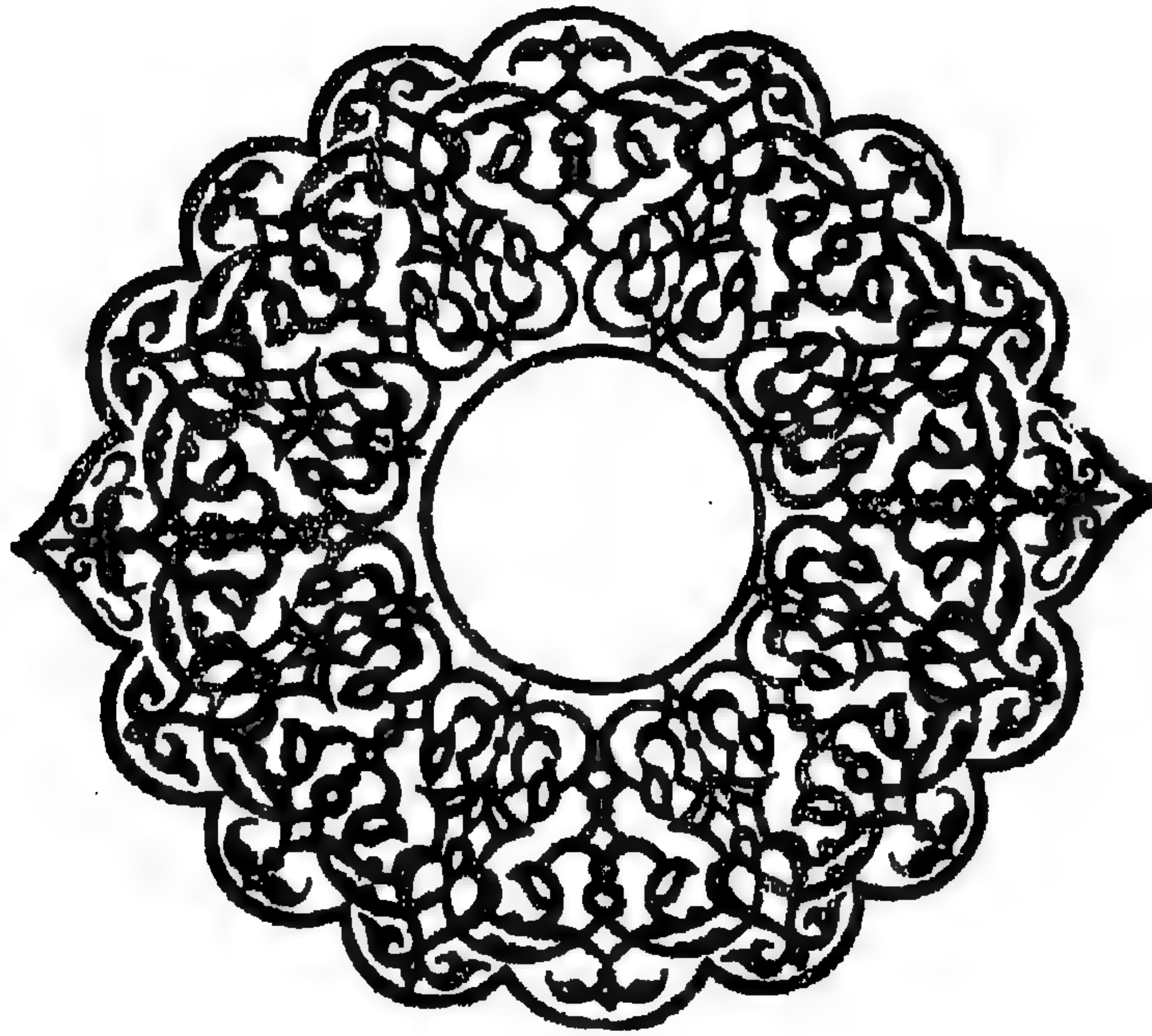
(٢) المزارات عيسى بن جنيد ص ٤٦٥

(٣) شد الإزار ، هاشم ص ٩٨

وفي هذا العام (أى ١٣٠٤ هـ ق = ١٣٥٣ هـ ش) يوافق الذكرى المئوية الثانية عشرة لوفاة سيدويه . قامت جمعية الآثار الوطنية في طهران التي تقوم منذ نصف قرن على حفظ الآثار، وإصلاح المباني والمشاهد والمقابر الأثرية وطبع الكتب والرسائل الكثيرة ونشرها وجهود علمية كبيرة . هذه الجمعية تفكر

الآن بتشييد بناء ضريح يناسب ذلك الإمام الفارسي في شیراز، وهي أيضاً بصدد شراء الدور التي تحيط بالمقبرة في «سند سياه» وتسوية المعابر والشوارع الموصلة إلى المقبرة إن للجمعية الثقافية في فارس وبلدية شیراز الدور الفعال في هذا العمل العظيم . أرجو من الله التوفيق وعليه التكلان :

على اصغر حكمت
طهران - ايران



سيبويه في الميزان

للدكتور أحمد مكي الأنصاري

قبل

أن أخوض في هذا الحديث المستفيض أبادر فأضع بين يديكم مبدأ راسخا .. ينبغي ألا نحيد عنه في دراساتنا لسيبويه العظيم .. ذلك المبدأ هو :

يجب أن نقدر سيبويه كل التقدير .. ولكن ينبغي ألا نقدره أي تقديس .. وفرق كبير بين التقدير والتقديس :

ذلكم هو المبدأ .. وهذا هو المنطق الذي ننطلق منه ، في رحلتنا الطويلة مع سيبويه .. وأظنكم توافقوني على أن تقديس الأشخاص حرام .. حرام قطعا ، شرعا وقانونا ونجوا وصرفا .

والآن نبدأ في وزن سيبويه .. وأشهد أنني لم أجد ميزانا واحدا يتسع لوزن سيبويه الضخم العملاق . وكيف تتسع له الموازين وقد طبقت شهرته الآفاق .. شرقا وغربا ، عربا وعجماء . فكان ملء السمع والبصر والفؤاد .. في القديم وفي الحديث على السواء .

إن سمعة سيبويه العبقري تغزو الآن أوربا .. حتى أن كتابه الفريد يترجم إلى بعض اللغات الحية مثل اللغة الألمانية ،

والإسبانية .. وغيرهما من اللغات . وقدما أنصفوه فأطلقوا عليه (إمام النحاة) .. كما أنهم بالغوا في تقدير كتابه فقالوا : (إنه قرآن النحو) ، وحسبه ذلك تمجيذا وتقديرا : ومن هنا يجد الباحث نفسه أمام عمل ضخم حينما يحاول جاهدا أن يضع (سيبويه في الميزان) . وأشهد أن عبقرية سيبويه تجلت في كتابه الخالد .. فهو كثر هائل ، ومنبع ثر ، كأنه بحر زاخر يملؤه من بعده سبعة أبحر .. فيه من الجوانب الحية النابضة ما يدعو الباحثين إلى التعمق فيها ، وهي مازال أبكارا ، عربا أترابا .. تنتظر الباحثين في كثير من الميادين ، مثل الأصوات ، واللهجات ، والبلاغة ، والنقد .. بالإضافة إلى النحو والصرف واللغة بوجه عام .. وإليك بعض العناوين لتكون بين يديك بمثابة دليل أو معين .

- ١ - سيبويه والأصوات : في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة .

٢ - سيبويه واللهجات :

٣ - شواهد سيبويه على محاك النقد - (ومن ورائها الشواهد النحوية بوجه عام) .

٤ - التداخل بين البلاغة والنحو في كتاب
سيبويه :

٥ - كتاب سيبويه بين النقل والابتكاره .

٦ - القضايا النحوية بين سيبويه والمبرد .

٧ - أخطاء سيبويه في نظر ابن تيمية :

٨ - مشكلات ابن الضائع في كتاب
سيبويه :

٩ - ما أخذ الأخفش على الكتاب .

١٠ - ظاهرة التأويل في كتاب سيبويه :

١١ - وأخيرا وليس آخرا (سيبويه
والقراءات) :

كل هذه الموضوعات أو جلها وغيرها
كثير وكثير ... ما تزال تنتظر البحث :
ومن خلال هذا البحث والدرس العميق
نستطيع أن نزن سيبويه وزنا دقيقا ، لنعرف
حجمه الطبيعي دون تهويل أو تهوين :
ثم نضعه في المكان اللائق به . وما أحسبه إلا
في عنان السماء : بين السماكين أو الفرقدين :
وكم كنا نود أن نزن سيبويه من جميع النواحي ،
ولكن أنى لنا ذلك . والجهد قاصر ، والقضايا
بمتعددة الجوانب : لهذا وذاك سنقصر
حديثنا الآن على قضية واحدة ، فقط وهي
(موقف سيبويه من القراءات) - وقدما
قالوا : « مالا يدرك كله لا يترك كله » ،
« وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق » :
ولذلك البيان :

القضية الكبرى :

هي : موقف سيبويه من ، القراءات
القرآنية .. ومنها تتفرع سائر القضايا الأخرى
وهي :

١ - قضية المعارضة الصريحة للقراءات
عند سيبويه :

٢ - قضية المعارضة الخفية للقراءات عند
سيبويه :

٣ - قضية التأويل للآيات القرآنية عند
معارضتها للقواعد النحوية :

٤ - قضية موافقة الكتاب للكتاب ،
والمراد بها موافقة كتاب سيبويه لكتاب
الله العزيز :

مسالك التفكير عند سيبويه :

يخيل إلى أن مسالك التفكير عند سيبويه
كانت على النحو التالي :

إن سيبويه - رحمه الله - وضع القواعد
النحوية في كفة ، ووضع الآيات القرآنية
في كفة أخرى ، ثم نظر في الآيات القرآنية فما
كان منها موافقا للقواعد البصرية : تقبله
بقبول حسن ، واستشهد به في الكتاب
وتلك هي القضية الرابعة التي أشرنا إليها
آنفا (موافقة الكتاب للكتاب) : أما ما تعارض
من الآيات مع القواعد النحوية البصرية :
فوقف منه مواقف ثلاثة : تتجلى فيما يلي :
قسم منها استطاع أن يخضعه للتأويل
والتقدير : ليتفق مع القواعد البصرية

وتلك هي القضية الثالثة (قضية التأويل للآيات ، وإخضاعها للقواعد) .

أما الباقي من الآيات المتعارضة للقواعد البصرية .. فإنها تأتي الخضوع للتأويل والتقدير :

وحينما استعصت على سيويه وقف منها موقف المعارضة القوية ورمها بالضعف ، والقبح والرداءة .. لالشيء إلا لأنها خالفت القواعد البصرية .. وكأن القواعد النحوية مقدسة أكثر من الآيات القرآنية.

ومهما يكن من أمر فإن المعارضة القوية كان لها مظهران عند سيويه :

المظهر الأول : هي المعارضة الخفية .. وذلك حينما يضع القاعدة النحوية التي تصطدم بالآية اصطداما عنيفا دون أن يذكر نص الآية بصراحة .. وإن كان يذكر كل ما ينطبق عليها ، ويحدد تمام التحديد : وعندما تصل الأمور إلى هذا الحد يستوى فيها التصريح والتلميح : والمظهر الآخر هو المعارضة الصريحة .. وذلك عندما يفلت منه الزمام .. فيذكر نص الآية بصراحة ويذكر معها بعض الصفات التي لا تليق .. كما سيأتي بالتفصيل عما قليل : ولعلك تلاحظ أن المعارضة الصريحة ، والمعارضة الخفية ،

هما وجهان لعملة واحدة : يتعامل بها سيويه مع القراءات التي لا تتفق مع المذهب البصري ، ولا يستطيع إخضاعها للتأويل والتقدير يروهما : لأن القضية الأولى والثانية من القضايا الأربع التي تشمل عليها القضية الكبرى ، وهي (موقف سيويه من القراءات) .

واليسكم بعض النماذج

أولا : نماذج من المعارضة الصريحة^(١) :

قال تعالى في سورة الجاثية^(٢) : «أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون» : جاءت القراءة بنصب كلمة (سواء) ويرفعها كذلك ، وكلتاها قراءة سبعية ، ولكن سيويه يأخذ ما يروق له . وهي قراءة الرفع .. ثم يهاجم قراءة النصب ويصفها بالقبح والرداءة^(٣) مع أنها قراءة سبعية كما ترى .. قرأ بها أكثر من قارئ في السبعية . قرأ بها حفص وحمز والكسائي : وتوجيهها في النحو سهل ميسور .. فلأنها تعرب حالا ، أو مفعولا ثانيا لنجعلهم ، أي نجعلهم سواء في المحيا وفي الممات : إلى غير ذلك من الأعراب التي ذكرها العلماء بالتفصيل ،

(١) انظر تفصيل كل ذلك في كتابنا (سيوية والقراءات) ص ١٦ فما بعدها ، توزيع داد المعارف بمصر

(٢) آية : ٢١

(٣) راجع الكتاب ١ : ٢٣٣ ط بولاق

ولكنها لا تتفق مع مذهب سيبويه ..
ولهذا وصفها بالقبح والرداءة سامحه الله .
وهناك آية أخرى ينطبق عليها وصف سيبويه
بالقبح والرداءة ، وهي قوله تعالى : «سواء
العاكف فيه والباد» وهي قرعة سبعية أيضا^(١) .
ولكن سيبويه لا يحفل بالقراءة السبعية أو غيرها
من القراءات . إذا ما اختلفت مع القواعد
النحوية المصرية بالذات .

ومن النماذج أيضا قراءة آية أخرى وصفها
سيبويه بالضعف والقبح معا^(٢) وهي قوله
تعالى : « ثم آتينا موسى الكتاب تماما على
الذى أحسن » بضم كلمة (أحسن) على
أنها خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير : تماما
على الذى هو أحسن - مثل هذا جائز
مستساغ ، لا غبار عليه عند غير سيبويه
ومن لفظة لفه من البصريين والمتبصرين ..
أولئك الذين هاجموا هذه القراءة ورموها
بالضعف والقبح والشذوذ .. ومن كان
منهم معتدلا بعض الاعتدال وصفها بالقلة
والندور^(٣)

وإن أردت المزيد من النماذج فعليك
بكتاب (سيبويه والقراءات)^(٤) ففيه بعض
الآيات التي عارضها سيبويه معارضة

حريجة ، ومنها قوله تعالى : « وقالوا
يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين »
في قراءة أبي عمرو بن العلاء بالإبدال -
والمراد إبدال الهمزة ياء في (ائتنا) وكان
حقها أن تبدل واوا في نظر سيبويه ؛ لأن
ما قبلها مضموم .. فلما لم تجئ على القاعدة
البصرية رماها بالضعف - سامحه الله .

ثانيا : من نماذج المعارضة الخفية^(٥) :

(أ) قال تعالى في سورة يس :
« إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن
فيكون »^(٦) قرأ بنصيب المضارع (يكون)
قارئان كبيران من القراء السبعة .. هما
الكسائي وابن عامر - وتكررت قراءة
النصب في هذا الحرف من القرآن حين
جاء في سورة النحل كذلك عندهما معا -
كما أن ابن عامر قرأ بالنصب في جميع
المواضع الأخرى التي ورد فيها هذا الحرف
من القرآن الكريم ، باستثناء موضعين اثنين
ومع هذه الكثرة الكاثرة من الآيات القرآنية
المنصوبة .. ومع التوثيق الكامل لقراءة
الكسائي وابن عامر فإن سيبويه رحمه الله
يقرر ضعف النصيب * هذه الحال^(٧) .

(١) راجع كتاب (سيبويه والقراءات) ص ٢٣

(٢) انظر الكتاب ١ - ٢٧٠ ط بولاق

(٣) راجع شراح الألفية في باب الموصول عند قول ابن مالك :

(وبعضهم أعرب مطلقا وفي ... ذا الحذف أيا غير أعرب يقتضى)

(أن يستعمل وصل وإن لم يستعمل ... فالحذف نزر وأبوا أن يختزل)

(٤) ص ٢٥ فما بعدها - (٥) راجع تفصيل كل ذلك في كتاب (سيبويه والقراءات) ص ٤٦ فما بعدها

(٦) آية - ٨٢ (٧) راجع الكتاب ١ - ٢٣٠ ط بولاق

لا لشيء إلا لأنها لا تتفق مع القاعدة النحوية التي وضعوها بأيديهم في مصنع التقيد - وخلاصة القاعدة عندهم أن الفعل المضارع لا ينصب بعد الفاء إلا إذا كان جواباً .

هذه هي القاعدة الناقصة التي أحاطوها بالتقديس أكثر من القراءات القرآنية المحكمة؛ ماذا عليهم لو نسفوا هذه القاعدة من أساسها : و على الأقل يعدلونها ويوسعونها بحيث تشمل هذه القراءات السبعية المتعددة : ويجيزون النصب - دون ضعف - كما يجيزون الرفع وإن كان الرفع أكثر !

ماذا على شيخنا سيديويه - رحمه الله - لو فعل ذلك : وأعنى نفسه من الحرج بوضع قاعدة نحوية تصطدم بالقرآن الكريم في أعلى قراءاته : وهى القراءة السبعية ؟ ليته فعل ... ولكنه لم يفعل مع الأسف الشديد .

(ب) ومن ذاك ^(١) قوله تعالى : «يأياها النبي لم تحرم ما أحل الله لك» ^(٢) وقوله جل شأنه : « أولئك هم خير البرية » ^(٣)

قرأ نافع بتحقيق الهمزة في الكلمتين معا (النبي والبرية) وهو من القراء السبعة وبه بدأ ابن مجاهد حيث كانت قراءته أوثق القراءات

في نظره لأنه قرأ على سبعين من التابعين ه ولكن سيديويه - رحمه الله - لا يبالي بذلك ويصف هذه القراءة بالقاء والرداءة ^(٤) .

هذا إلى أن تحقيق الهمزة وتخفيفها كلاهما لهجة واردة عن العرب الفصحاء . وأكثر من هذا أن التحقيق أدخل في باب اللغة من التخفيف ، وفي هذا يقول العلامة الرضى : « والتحقق هو الأصل كسائر الحروف ، والتخفيف استحسان » .

وإذا لم يكن هذا ولاذاك فالقرآن وحده الحجة البالغة على جميع اللغات . . والقراءة سنة متبعة : . ولولا ذلك ما تكلفت :

قريش نبر الهمزة وتحققها في القرآن الكريم ، وآية ذلك أن الإمام علياً كرم الله وجهه قال : « نزل القرآن بلسان قريش وليسوا بأصحاب نبر ، ولولا أن جبرائيل عليه السلام نزل بالهمزة على النبي صلى الله عليه وسلم ما همزنا » ^(٥)

فانظر إلى الإمام على يقرر نزول الوحي بقراءة الهمزة ويخضع لها مع أنها تخالف لهجته الخاصة . . ثم انظر إلى سيديويه يصفها بالرداءة مع أنه يعلم اليقين أنها واردة وأن القراءة سنة متبعة هذه واحدة : وأخرى سلفت : وهناك أخريات . . وأخريات مما لا أطيل بذكره الآن ^(٦)

(١) انظر ص ٧٠ فما بعدها من كتاب (سيديويه والقراءات) (٢) التحريم

(٣) سورة البينة آية رقم (٧) وقبلها جاءت كلمة (البرية) كذلك في آية رقم (٦) من نفس السورة .

(٤) راجع شرح الشافية ٣٢٠ ٣٢١

(٥) انظر الكتاب ٢ - ١٧٠ - ٢١٣ ط بولاق

(٦) راجع المبحث "بأنى" كذاه ابتداء من ص ٤٠ فما بعدها من كتاب (سيديويه والقراءات) .

ومنها (تاءات البرى) المشهورة عند جميع القراء . وعددها واحد وثلاثون موضعا فى القرآن الكريم : وقد تعرض سيبويه لبعضها فمنعها منعاً باتاً مع أنها جميعاً من القراءات السبعة المحكمة (١) :

ثالثاً : من نماذج التأويل (٢)

(أ) قال تعالى فى سورة النور (٣) : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » . الإعراب الفطرى الذى يتبادر إلى الذهن لأول وهلة هو أن تعرب (الزانية) مبتدأ وخبره جملة (فاجلدوا) . وبه قال بعض العلماء الأجلاء من أمثال المبرد والزجاج والزمخشري وأبى زكريا القزاع :

غير أن سيبويه — رحمه الله — لجأ إلى التأويل البعيد حينما وقفت له الصنعة بالمرصاد فقال : إن خبر (الزانية) محذوف تقديره (فيما يتلى عليك الزانية والزانى — أو فيما يتلى عليكم حكم الزانية والزانى) . أما جملة (فاجلدوا) فأعربها مستأنفه : ولا يصح أن تكون خبراً فى نظره لا لشيء إلا لأنها خالفت القاعدة النحوية البصرية :

فانظر إليه رحمه الله : كيف تتحكم فيه الصنعة فيرفض الإعراب الذى يساير الفطرة كما يساير طبيعة اللغة العربية السميحة .. فإذا كان عليه لو أجاز هذا الإعراب كما أجازوه العلماء الأجلاء من المدارس النحوية الكبرى جميعاً ؟ وما الذى يضيره أو يضير اللغة العربية حينما يوسع هذه القاعدة الناقصة .. فيجعلها تشمل هذا الخبر كما تشمل غيره من الأخبار ؟ لو فعل ذلك لأراح نفسه وأراح الناس من بعده : من أمثال هذا التأويل المتكلف ، وذلك التقدير الذى يفسد الذوق العربى السليم : ولكن هيهات أن يمس القاعدة المقدسة مهما كانت مخالفة للكثير من الآيات القرآنية المماثلة (٤) : ومن الشعر العربى الفصيح (٥)

(ب) ومن التأويل المتكلف ما جاء فى قوله : قوله تعالى : « إذا السماء انشقت » — وقوله جل شأنه : « وان أحد من المشركين استجارك » (٦) إذا أردت الفطرة السليمة فى الإعراب واستلهمت الحس اللغوى المرفه أعربت كلمة (السماء) مبتدأ وما بعدها خبر لها — وكذلك الحال فى الآية الثانية : وبه قال كثير من

(١) انظر ص ٥٣ فما بعدها من نفس المصدر . (٢) راجع ص ١٧٠ فما بعدها من المصدر السابق .

(٣) آية رثم ٢

(٤) من الآيات المماثلة قوله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » المائدة ٣٨ — وقوله عز وجل : « والذان يأتياها منك فاقطعهما » النساء — ١٦ .

(٥) من ذلك قال الشاعر .

وقائلة خولان فالكبح فتاتهم وأكرمة الحيين غلو كاهيا

(٦) التوبة ٦ آية .

العلماء الاجلاء^(١) ولكن سيبويه - رحمه الله - يرفض هذا الإعراب الفطري الحميل ويلجأ إلى التأويل والتقدير، ويتبعه في ذلك سائر البصريين والمتبصرين إلى يومنا هذا في هذا العصر الحديث :- ويقولون : إن كلمة (السماء) فاعل لفعل محذوف تقديره (انشقت) وكذلك كلمة (أحد) فاعل لفعل محذوف تقديره (استجارك) :- وبناء على هذا وذاك يكون التقدير في الآيتين هكذا :- (انشقت السماء انشقت) - (وان استجارك أحد من المشركين استجار) . وأكثر الظن أننا لسنا بحاجة إلى التعقيب على هذا التقدير المتكلف ذلك الذي يخرج الآية الكريمة عن سماحتها وسلاستها .. ويشوه الأسلوب القرآني الرفيع .

ويلاحظ أن باب التأويل داخل في التعارض مع القواعد :- ولكن سيبويه - رحمه الله - يلوى أعناق الآيات :- إلى أن يخضعها للقواعد البصرية :- أما القسم الذي لا يقبل الخضوع للتأويل فإنه يقف منه موقف المعارضة الصريحة ، أو المعارضة الخفية - كما سلف به البيان - غير أن الكل داخل في باب التعارض مع القواعد - كما ترى :

والآن آن لنا أن نقتضب الحديث اقتضاباً ، ونكف عن ذكر النماذج للقضية الرابعة وهي (موافقة الكتاب للكتاب) :- ذلك أن معظم الآيات الواردة^(٢) في كتاب سيبويه من هذا القبيل :- فلا تحتاج إلى بحث أو تنقيب .. ومن أراد شيئاً من النماذج المختارة فعليه بالمبحث الرابع من كتاب (سيبويه والقراءات)^(٣) .

أثر سيبويه في المخالفين :

وكان من الطبيعي أن يتأثر النحاة بما جاء في كتاب سيبويه :- وأن يقتدوا به (حذوك الكف بالكف) .. إلا من رحم ربك .. وقليل ما هم :- ولنا مع هؤلاء النحاة حديث يطول نرجئه إلى حين .. غير أننا نشير إشارة عابرة إلى (المزايدات) التي زادوها على سيبويه في قراءة سبعة محكمات^(٤) وهي قراءة حمزة في سورة النساء: «واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام» بخفض الأرحام ، حيث وصفوها بالقبح والضعف واللعن والخطأ .. وأكثر من هذا وذاك أنهم حرّموا القراءة بها تحريماً قاطعاً .. ولهذا قال المبرد : «لو أني صليت خلف إمام يقرؤها لقطعت صلاتي وحملت نعلي ومضيت» .

(١) من أمثال الأخفش وأبي ذكريا القراء والكوفيين بوجه عام .

(٢) أحصاها بعض الباحثين فوصل بها إلى (٣٧٣) آية ، وهي تمثل جميع القضايا الأربع التي عالجناها في كتابنا

(٣) سيبويه والقراءات (٣) ص ١٨١ فا بعدها . وانظر الكتاب ١ / ٣٧ فا بعدها و ١ / ٤٦ فا بعدها و

٢ / ١٦٥ و ١٢٠ فا بعدها وغيرها كثير وكثير . طبع بولاق .

(٤) انظر تفصيل ذلك في كتابنا (الدفاع عن القرآن) توزيع دار المعارف بمصر .

لا لشيء إلا لأنها خالفت القاعدة النحوية
الناقصة .. ماذا عليهم لو عدلوا هذه القاعدة
كما عدلها الإمام التقي الورع الحصيف .. ابن
مالك الحبانى حيث قال فى الألفية المشهورة :

وعود خافض لدى عطف على
ضمير خفض لازما قد جعلنا

وليس عندى لازما إذ قد أتى
فى النظم والنثر الصحيح مثبتا

حياك الله يا ابن مالك : : حياك الله أيها الإمام
العظيم .. حياك الله أيها النحوى الغيور على
القرآن الكريم ، وقراءاته السبعية المحكمة .

هذا إلى أننى لا أتهم هؤلاء النحاة ..
كما أننى لا أتهم^١ سيويوه فى دين أو خلق .. فقد
كان رحمه الله - مثالا عاليا لهذا وذاك .. ولكنها
العصبية المذهبية . . . والتمسك بالقواعد
النحوية الناقصة .. وكان جديرا به ، وبغيره
من النحاة الأوائل أن يتخذوا القرآن الكريم
منبعهم الذى لا يغيض ، ومصدرهم الأول
فى كل تقعيد .. ومن هنا كانت دعوتنا
الحارة لا تتخاذ الخطوات الجادة فى إخراج
(النحو القرآنى) .. وأكرر وأضغط فى التكرار
على (النحو القرآنى)

نداء ورجاء للإصلاح نحونا الجميل :

لعللى لا أكون متعصبا لتخصصى حين
أقول : إن النحو العربى من ألد العلوم

وأجملها .. ولكن تشويه بعض الشوائب
وليتنا نستطيع أن نخلصه من هذه الشوائب
الدخيلة عليه ، المتطفلة على موائده الشهية
اللذيذة الممتعة .- : وتمثل هذه الشوائب
فى آثار الفلسفية الإغريقية ظنا منهم
أن النحو منطقى دائما وأبدا .. ونسوا -
أوتناسوا - أن اللغة ظاهرة اجتماعية لا تخضع
دائما للمنطق العقلى .. وإنما لها منطقتها الخاص
الذى قد يتفق مع المنطق العقلى ، وقد يختلف
معه فى بعض الأحيان (١)

ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى شيء
من الإصلاح المتعقل .. وإذا كان الإصلاح
الجذرى^(٢) للنحو العربى قد عز علينا .. فإن
يعز علينا - مجتمعين - مثل هذا الإصلاح
الجزئى .. ذلك الذى يتمثل فى (حركة
التنقية والانتقاء) بحيث نبدأ بتنقية النحو
من جميع الشوائب الفلسفية التى علقت
به .. ثم نقوم بحركة الانتقاء ، واختيار
أيسر الآراء على الدارسين والمتعلمين ..
شريطة أن يكون هذا التيسير قائما على أساس
من الأصالة فى اختيار الآراء من أقوال
النحاة القدماء دون تعصب لشخص ..
أو مذهب على مذهب : ونكتفى بهذه الإشارة
الحافظة إلى الإصلاح :

والإصلاح لدينا حديث طويل نرجئه
إلى حين ، ولكن لنا بعض التوصيات .. وإليك
البيان :

(١) باب (عطف النسق)

(٢) انظر تفصيل ذلك فى كتابنا (أبو زكريا الفراء) ص ٤٠٣ فابعدهما - توزيع دار المعارف بمصر ..

(٣) راجع ص ٤٠٩ فابعدهما من المصدر السابق بعنوان (المنهج اللغوى السليم)

التوصيات التي يهدف إليها هذا
البحث تتركز فيما يأتي :

١ - الاقتناع الحقيقي بأن القداسة للشواهد
القرآنية .. وليست للقواعد النحوية :
ويترتب على ذلك :

٢ - تعديل القواعد على أساس الوارد
من الشواهد :

٣ - الإصلاح الجزئي .. إذا تعذر الإصلاح
الكلي الجزئي^(١)

٤ - تضافر الجهود لإخراج (النحو
القرآني) وتعميمه في جميع البلاد العربية
والإسلامية ، والاستعانة في ذلك بكل
الوسائل المتاحة علميا ودينيا واجتماعيا ..
وتتمثل هذه الوسائل فيما يلي :

(١) في المجالس اللغوية المتعددة .

(ب) وفي الجامعات والمعاهد العليا تلك
التي تعنى بالدراسات العربية
والإسلامية .

(ج) وفي جامعة الدول العربية لما لها من
صلات :

(د) وفي المؤتمرات الإسلامية ومراكزها
الفعالة .

(هـ) وفي وسائل الإعلام باختلاف
ألوانها وأنشطتها .

(و) وأخيرا الاستعانة بالحكومات

الإسلامية المؤمنة لتقرير هذا النحو
في مراحل التعليم المختلفة ؛ ليتسنى له

البقاء والخلود .. بعد الظهور إلى

حيز الوجود .. وإلا أصبح حبرا على

ورق ، وضاع في غمار الحياة ..

وكأنه صيحة في واد أو نفخة في

رماد ، ومهما يكن من شيء

فإنني راض عن النتائج .. حيث إنني

شاركت ونهت .. ومازلت أنادي

وأصيح .. أأهل بلغت اللهم فاشهد .

(وبعد) فأود أن تحكموا بيني وبين

سيبويه العظيم .. هل ظلمته .. أو تجنيت
عليه ؟

ما أظن هذا ولا ذاك .. فتلك نتيجة

البحث المنهجي الصرف .. وقد حكمنا

عليه بما رأيناه واستخرجناه من كتابه هو

.. وحملناه أوزار ما صنعت يداه - إن

جاز لنا أن نحمل الباحثين المجتهدين شيئا من

الأوزار - وقدما قالوا في الأمثال العريقة :

«يداك أوكتا وفوك نفخ» :

على أنني لم يكن من أهدافي قط أن أنال

من شيخنا الكبير سيبويه إمام النحاة ..

أو أغض من شأنه في قليل أو كثير .. بل على

العكس - كما يقول أحد الزملاء الفضلاء

العقلاء - أنني بذلك دافعت عن سيبويه

دفاعا مجيدا .. حيث أبعدت عنه شبهة الزندقة

أو الإلحاد .. ونسبت هذا الصنيع في

المعارضات إلى النزعة النحوية من العصبية

المذهبية، والتمسك بالقواعد إلى حد كبير :
والهدف الأساسي عندى هو التنبيه إلى بعض
الثغرات التى نفذ منها الفساد إلى النحو العربى
ثم العمل على سد هذه الثغرات : : ومحاولة
الإصلاح بالقدر المستطاع : : ونتمنى أن
يتحقق شىء من ذلك : : وألا نقول مقالة
الشاعر الأول :

« وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر ؟! »
والآن بعد مئات السنين .. بعد ألف
سنة أو تزيد .. يفكر العالم فى تكريم سيبويه
بإقامة مهرجان له فى إيران .. وإذا أردنا
أن نكرمه حق التكريم ينبغى علينا أن نعكف
على كتابه الخالد، وندرسه دراسة جادة واعية
ناضجة متعمقة .. ونستخرج منه الكنوز
الدفينة التى احتواها .. ثم ننظر إليها فى ضوء
مناهج البحث الحديث .. ونقف منها موقف
الباحث لا موقف المناظر : : وفرق كبير
كبير بين الموقفين كما تعلمون :

هكذا يكون تكريم سيبويه العملاق ..
وهكذا يكون الانتفاع بعلمه الغزير : : فى
كتابه الفريد ، ولا يتأتى ذلك إلا بالتعمق
العميق فى دراسة الكتاب ..

ومعظم الباحثين فى عصرنا الحديث
يهابونه هيبة شديدة ، ولا يكادون يقتربون منه
ولهذا أهمل أو كاد فى كثير من الجامعات
الحديثة :

أما فى العصر القديم فإنهم كانوا يقدرونه
بطريقتهم الخاصة : : ومن بينها الحفاظ
والاستظهار، على نحو ما كان يفعل القدماء
فى المغرب والأندلس : : وعلى رأسهم حمدون
النحوى (١) ذلك الذى قالوا عنه : إنه أول من
حفظ كتاب سيبويه عن ظهر قلب : : من
الغلاف إلى الغلاف ، أو من الألف إلى الياء :
كما يقولون .. فهنيئاً له هذه الأولوية .. وإن
كنا ننظر إليها بنظر آخر، ونقول كما قال
بعض الحكماء : « إن هذا العمل الشاق لم
يُضف إلى النحو جديداً أكثر من أنه زاد
نسخة من نسخ الكتاب : : فأصبح (حمدون)
كتاباً يمشى على قدمين » :

وفى النهاية : أعود فأقول : إننا نقدر
سيبويه كل التقدير .. ولكننا لا نقدره
أى تقديس . وفرق كبير بين التقدير والتقديس :

أحمد مكي الأنصارى

في القرآن والعربية : (٢) الصِّراع بين القُرَّاء والنُّحاة للكُّوِّرِ أحمد علم الدين الجندى

يَتَبَيَّن

لنا من المقال السابق^(١) مكانة القرآن الأقدس في النفوس والقلوب والأرواح، ومكانة القرآن في العالم الإسلامي، والمنهج الصارم الذي أخذ به القراء أنفسهم للمحافظة على النص القرآني، والضوابط والمعايير والمقاييس التي وضعتها الأئمة معياراً يعول عليه، وذلك كله بثابة الجرح والتعديل لقن القراءات. ولهذا كان الكتاب الكريم أعرب وأقوى في الحججة من الشعر^(٢)، وأنه يختار له ولا يختار عليه، وأنه نزل بأفصح لغات العرب، وغير جائز توجيه شيء منه إلى الشاذ من لغاتها وله في الأفصح الأشهر معنى مفهوم ووجه^(٣) معروف « ومن هنا رأى علماء القراءات أن تصحيح قواعد العربية بالقراءة لا أن تصحيح القراءة بقواعد العربية. فكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو، أو كثير منهم، ولم يعتبر إنكارهم، بل أجمع الأئمة المعتمد بهم من السلف قبولها وقد شدد علماء القراءات النكير على هؤلاء

المخالفين ولقد حاول النحاة أن يسيطروا على حقل الدراسات القرآنية فضيقوا وحجروا وأولوا وعابوا على القراء ونسبواهم إلى اللحن والوهم :

وسأقدم بين يدي القارىء منهم جايته على في :

أولاً : موقف النحاة من القراءات التي صورت لهجات قبائل عربية منسوبة : سبعة كانت هذه القراءات أو ما وراء ذلك ثانياً :

موقف النحاة من القراءات التي صورت لهجات قبائل عربية غير منسوبة موضعها مكانها من السبعة أو ما زاد عنها، ويكون ذلك من خلال عرض النصوص الموثقة الأمانة حتى أشرك القارىء معنى فيما أراه، وأميل إليه وأحكم به .

ثالثاً : تغيرات وروايات قرائية أخرى.

رابعاً : مقياس الصواب والخطأ عند كل فريق منهم :

(٢) معاني القراء ١ / ١٤ .

(١) نشر بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة عدد ٣٣ .

(٣) تفسير الطبري ١٢ / ٣٢٢ .

(٤)

أولا : طعنهم في القراءات القرآنية التي تمثل لهجات عربية معزوة :

(١) ففي قوله تعالى : «أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل»^(١) قرأ حمزة بكسر الياء ووافقه الأعمش ، وأبو عمرو بن العلاء وهي لغة^(٢) بني يربوع إذ الكسر عندهم مطرد في الياء المضاف إليها جمع المذكر السالم في حالة الوصل ، وقد قال القاسم بن معن عن هذه القراءة (إنها صواب)^(٣) (وكان معن هذا ثقة بصيرا) وقال عنها الأخفش « ماسمعت

هذا من أحد من العرب ولا من النحويين »^(٤) كما وصفها الزجاج بأنها « عند جميع النحويين رديئة مردولة »^(٥) وأنكرها كذلك أبو حاتم ، ورواها الزمخشري ، بالضعف وزاد في إضعافها وتهوينها بأن الشاهد الشعري عليها لرجل مجهول ، والحق أن الشاهد الأغاب العجلى ورواه أبو شامة في أول ديوانه^(٦) ويرى المعري : إجماع أصحاب العربية على كراهة هذه القراءة كما يرى أن أبا عمرو ما جاز هذه القراءة إلا متهزئا^(٧) ، وكأنه

يشير بذلك إلى ما جاء عن أبي عمرو عندما سئل «إن أصحاب النحو يلحنوننا فيها فقال : هي جائزة»^(٨) أما موقف أبي العباس المبرد فكان صارما عنيفا يصور غضبه هنا

وثورته ما جاء في تفسير القرطبي^(٩) على لسان المبرد من قوله « لو صليت خلف إمام يقرأ (بمصرخي) بالكسر لأخذت نعلي ومضيت » فانظر كيف يحتاج الرجل على سماعه لهجة عربية تواكبها قراءة قرآنية بخروجه عن جماعة المسلمين وإمامهم : ويرى ابن الجزري : أنها قراءة صحيحة اجتمعت فيها الأركان الثلاثة . ثم يقول « وقياسها في النحو صحيح »^(١٠) :

واستنبط من هذا العرض أن البصريين أنكروا هذه القراءة إذ أن الأخفش والزجاج وأبا حاتم والمبرد والزمخشري على مذهب البصريين ، أما القاسم بن معن فهو من رؤساء النحويين الكوفيين ، ولهذا أجاز القراءة بها ، كما أجازها أبو عمرو بن العلاء ، لأنه إمام في القراءة ، والمجيزون على حق ، لأن هذه القراءة صحت سمعا ، كما أنها صحت قياسا ، إذ الياء كسرت اتباعا - للكسرة التي بعدها في (بمصرخي إني) واللسان

(١) إبراهيم آية ٢٢ .

(٢) الخزانة ٢ / ٢٥٨

(٣) البحر المحيط ٥ - ٤١٩

(٤) حاشية يس بن زين الدين على التصريح ٢ / ٦٠

(٥) القرآن : للمعري ٢٣٩ - ٢٤٠ دار المعارف

(٦) إبراز المعاني ٣٧٠ (٧) ٣٠ /

(٣) النشر ٢ / ٢٩٩

(٥) إبراز المعاني ٣٦٩

(١٠) النشر ٢ / ٢٩٩ .

فمما يعمل من موضع واحد ، ووجه واحد ،
ففيها الانسجام وتقريب الأصوات بعضها
من بعض ، وتلك شريعة العربية وسنة فيها متبعة .
وذلك ما ميل إليه البدو أمثال « بنى يربوع »
والعجيب ان ينكر هذه القراءة القرآنية
السابقة شيخ من علماء الكوفة ، ويرى
قارئها بالوهم ، ذاكم هو أبو زكريا الفراء
حيث يقول : حدثني القاسم بن معن عن
الأعمش عن يحيى أنه خفض الياء ،
ولعلها من وهم القراء طبقة يحيى فإنه قل
من سلم منهم من الوهم .^(١)

(ب) كما قرأ أبو جعفر يزيد بن
القعقاع وغيره قوله تعالى : « وإذ
قلنا للملائكة اسجدوا »^(٢) بضم التاء وحيكى
أنها لغة أزد شنوءة .^(٣) وقال عنها الزجاج هذا
غلط من^(٤) أبي جعفر « كما خطأها الفارسي »^(٥)
ولم يجزها الزمخشري «^(٦) لأن حركة الأعراب
عنده لا يصح أن تستهلك لحركة الاتباع .
ولكن أرجح أن العربية تحرص على
الانسجام الصوتي والاتباع حرصها على
على الإعراب ، ولهذا « رواها الكسائي »
ووجهها أن التاء ضمت اتباعاً لحركة الجيم .
ولولم يتبعوا لخرج اللسان من
كسر إلى ضم ، والعرب تكره ذلك .

وأرى من ذلك أن الزجاج ، والفارسي
والزمخشري وكلهم بصريون قصد
غلطوا أبا جعفر أحد القراء المشاهير
الذين أخذوا القرآن عرضاً عن عبد الله
ابن عباس ، ثم هو شيخ نافع بن أبي
نعيم أحد القراء السبعة ، ثم هو لم
ينفرد بهذه القراءة ، بل قرأ بها غيره ،
وشاركه فيها الكسائي الكوفي ، وإذا
ثبتت لهجة عربية فلا ينبغي أن يخطأ بها
بها القارئ أو يغايط .

ومما يتصل بحركة الانسجام هذه ،
قراءة الحسن (الحمد لله) بكسر الدال
واللام ، وقراءة ابن أبي عتبة (الحمد لله) .
بضم الدال واللام ، وهما قراءتان لأهل البدو ، (*)
وقد عزيت القراءة الأولى لتميم وبعض غطفان ،
كما عزيت الثانية لربيعة ، وقد ذهب البصريين
إلى أنهما قراءتان شاذتان في الاستعمال ضعيفتان
في القياس ، كما وسماها الزجاج (البصري)
بقوله « ولا يلتفت إلى هذه اللغة ولا يعبأ
بها »^(٧) .

كما حكى الصفار عن علي بن سليمان (الأخفش)
أنه عقب على تلك القراءة بقوله « لا يجوز من
هذين شيء عند البصريين ، يقصد « الحمد
لله » : « الحمد لله »^(٨) .

(١) معاني الفراء ٢ / ٧٥ . ويقرر الفراء وهم القراء : بأنهم ظنوا أن الباء في (صرخي) خاصة للحرف والياء
من المتكلم خارجة من ذلك .

(٢) سورة البقرة آية ٣٤ . !

(٤) البحر ١ / ١٥٢ .

(٦) النشر ٢ / ٢١١ .

(*) المقصود لقراءة أهل البادية ما يقرؤه بعضهم من غير مراعاة للرواية ، وكثيراً ما ربط علماء العربية بين
الفصاحة والبداوة . والحق أن سمة الفصاحة لم يستأثر بها البدو وحدهم . يقول ابن بسام : إنه كثيراً ما سمع من الأعراب
ألفاظاً مستكرهة قبيحة : العربية ١٦٣ فوك . (٧) اللسان ٤ / ١٣٣ (٨) نزهة الألباء : ٣٦٤

والحق أن هذه الحركات المنسجمة وإن تعارضت مع الإعراب في حالة كسر الدال إلا أن لها وجهها مقبولا، إذ أن هذا التركيب لما كثر تداوله عند العرب جعل هذا التركيب مثل الكلمة الواحدة، ولا شك أن الكلمة الواحدة يستقل فيها الانتقال من ضمة يتلوها كسرة و العكس، فأثروا الكسرتين حيناً، مع أن الحمد مبتدأ مرفوع، كما ضموا اللام اتباعاً للدال في القراءة الثانية. وقد اجتهد الكوفيون في توثيق هاتين القراءتين، لاسيما قد نسبنا لحجة لبعض القبائل.

(ج) كما وردت عدة قراءات لآيات كريمة، وكلها تنفيذ التقاء الساكنين على غير حدة منها:

- ١ - قوله تعالى «أمن لا يهدى إلا أن يهدى»^(١)
 - ٢ - قوله تعالى «إن الله نعماً يعظكم به»^(٢)
 - ٣ - قوله تعالى «إن تبدوا الصدقات فنعماً هي»^(٣)
 - ٤ - «تأخذهم وهم يخصمون»^(٤)
 - ٥ - «لاتعدوا في السبت»^(٥) بتشديد الدال.
 - ٦ - كما ورد في الأثر: نعماً المال الصالح.
- فقد قرأ أهل المدينة بتسكين الهاء وتشديد الدال، فجمعوا بين ساكنين في الآية

الأولى كما ذكر الشمس ابن الجزري أن أن العراقيين والمشرقيين قدروا الإسكان أى إسكان العين مع تشديد الميم في الآيتين الثانية والثالثة. وبهذا قرأ أبو جعفر أيضاً في الآية الرابعة بإسكان الهاء وتشديد الصاد وإسكان العين مع تشديد الدال في الآية الخامسة.

ولقد ساق أبو شامة ما يفيد بأن التقاء الساكنين في مثل ذلك إنما هو لغة النبي صلى الله عليه وسلم، كما أيد ذلك صاحب البحر «والتقاء الساكنين على غير حدة أجازوه الكوفيون» ومن الواضح أن تلك القراءات التي ثبتت التقاء الساكنين إنما وردت عن طريق القراء موصولة بسندها، فإذا نظرنا إلى جانب النحاة البصريين فسرى اتهامات شنيعة لتلك القراءة منها:

- ١ - ماساقه ابن منظور من أن الزجاج اتهم القراءة مرة بقوله «ليست بمضبوطة»^(٦) وأخرى بأنها «شاذة»^(٧) وقال عنها ثالثة بأنها رديئة^(٨)

- ٢ - وعقب أبو علي على من قرأ بها «بأن قوله لم يكن مستقيماً عند النحويين، لأنه جمع بين ساكنين، الأول منهما ليس بدولين»^(٩)

(٢) سورة النساء آية ٥٨

(٤) سورة يس آية ٤٩

(٦) اللسان ١٦ - ٦٧

(٨) البحر المحيط ٢ - ٣٢٤

(١) سورة يونس آية ٣٥

(٣) سورة البقرة ٢٧١

(٥) سورة النساء آية ١٥٤

(٧) اللسان ٢٠ - ٢٣٠

(٩) ابراز المفاتيح ٢٦٢

٣ - كما وصف محمد بن يزيد أحد مؤيديها بقوله « وهو من عجيب اختباره » وجمع هؤلاء الطاعنين فيها من نحوي البصرة ، أما الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام فقد أيدها وهو كوفي ، كما أيدها الفراء ، ومنهم اللداني بقوله « إن الإخفاء أقيس . والإسكان أثر »^(١)

وإنما أثرت لهجة النبي صلى الله عليه وسلم وقريش التقاء الساكنين لأن التقاءهما دليل على الأداء الكامل وإعطاء الصوت حقه دون أن يطغى عليه مجاوره بالحذف أو التأثير وتلك صفة من صفات الخضر الممثلين في قريش . والحق أن تتبع كتب القراءات توقفنا على كثير من القراءات القرآنية التي تمثل لهجات عربية تلك التي تجهل لها البصريون وغيرهم من النحاة ، ووقفوا منها موقف المعارضة لأنها خالفت أصولهم وقواعدهم ، فحاولوا تأويلها أو رفضها ، ولهذا كان استقراؤهم ناقصا حين اعتمدوا في الأخذ عن القبائل المشهورة فقط ، واصطدمت بقراءات القرآن تلك التي تمثل لهجات عربية مشهورة ومغمورة ، وموقف النحاة هذا الموقف من القراءات وهي تستند على ما بين اللهجات من خلاف ، وانحراف عن المنهج السليم ، لأنهم ضيعوا علينا كثير من الدراسات في الجانب اللغوي ، وحججوا واسعا وضيقوا ، وماذا عليهم

لو جعلوا قواعدهم مرنة تتقبل المأثور المروى من القراءات أو عدلوها واتخذوا شواهد لها من القراءات على أن إجماع النحاة ليس حجة مع مخالفة القراء لهم ، لأن من القراء جماعة من أكابر النحويين ، ثم ولو قدر أن القراء ليس فيهم نحوي ، فإنهم ناقلون لهذه اللغة وهم مشاركون للنحويين في نقل اللغة ، فلا يكون إجماع النحويين حجة دونهم ، والقراء أولى ، لأن القراءة متواترة ومأثورة النحويون آحاد .

(د) تميل القبائل الخضرية إلى تخفيف النون في الصيغ الآتية :

- ١ - اللذان ٢ - الذين ٣ - هذان ٤ - هاتان

فحركة النون حقيقة على لهجة قريش والحجاز^(٢) على حين تميل بعض القبائل البدوية إلى تشديد هذه النون ، وقد وردت قراءات على الصيغتين : التخفيف والتشديد فمنها :

١ - قوله تعالى : « واللذان يأتيانها منكم فآذوهما »^(٣)

٢ - وقوله جل شأنه : « هذان خصمان »^(٤)

٣ - وقول عز وجل : « فذانك برهانان من ربك »^(٥)

٤ - وقوله سبحانه وتعالى : « إحدى ابنتي هاتين »^(٦)

(١) الإتحاف ١٩٦ ، النشر ٢ - ٢٥٣ .

(٢) ارتشاف الضرب لأبي حيان ١ - ١٣٦ مصور بدار الكتب رقم (٥٦١٥٦)

(٤) سورة الحج آية ١٩

(٦) سورة القصص آية ٢٧

(٣) سورة النساء آية ١٦

(٥) سورة القصص آية ٣٢ .

٥- وقوله عز شأنه «ربنا أرنا اللذين أضلانا»^(١)
فابن كثير قرأ بتشديد النون فيها كماها^(٢)
وقرأ باقي السبعة بتخفيفها^(٣) ولقد حدد صاحب
التصريح القبائل التي تميل إلى تشديد النون ،
وهي : تميم وقيس وهما من القبائل الضاربة
في البداوة .

ولكن البصريين^(٤) كما روى عنهم
أبو حيان^(٥) لا يجيزون التشديد في حالتي
النصب والجر . ولكن ورود هذا التشديد
في القراءات القرآنية حمجة عليهم . ويمكن
أن يحتاج لكلتا اللهجتين ، بأن من شدد فكأنه
جعل التشديد عوضاً عن الياء المحذوفة في
(الذي) إذ كان مقتضى القياس : اللذان
واللتان ، كما تقول : القاضيان ، ويمكن
أن يكون هذا التشديد تأكيداً للفرق بين
ثنية المبني والمعرب . وهو مارآه صاحب
التصريح . وأما من خفف فحمجته أن العرب
قد تحذف طلباً للتخفيف من غير تعريض

(هـ) من الثابت في العربية أن الحركات
والسكنات يتعاقبان على الصيغة ويتقاصفان
عليها فيؤلفان نمطاً منسجماً يتوأكب مع
المعاني الوظيفية للكلمة . فقد كثر عن العرب
مثلاً في مجيء المصدر على فعل ساكن العين ،

واسم المفعول منه على فعل مفتوحها :
كالنفض والنفض والحبط والحبط :^(٦)
وتلك لعمري شغافية من العربية في لحظ
هذه الظلال الدقيقة بين السكون والفتح .
ولهذا كثر التفريع في (فعل) بكسر العين ،
وضمها . أما صيغة (فعل) بفتح الفاء
والعين فلا تفريع فيها عند النحاة . لأن
الفتح ضعيف فلا داعي للخروج عنه :
يقول سيبويه^(٧) «وأما ما توالى فيه الفتحان
فلأنهم لا يسكنون منه ، فلا يقولون في جمل
(بفتح الميم) جمل (بسكونها) » .

وفي ركاب سيبويه يسير السيراني^(٨)
وابن جني في محتسبه حيث يقول معلقاً على
قراءة أبي السمال وأبي المتوكل وأبي الحوزاء
(حتى يابج الحمل)^(٩) : وأما الحمل
بالسكون فبعيد أن يكون مخففاً من المفتوح
لخفة الفتحة .

وأرى أن كلا من سيبويه ومن تبعه
في مذهبه قد جانبهم الصواب لورود ذلك
في القرآن المعجز . ومن ذلك :

١- قراءة جمع من القراء « حتى يلج
الحمل » بسكون الميم ، وذلك تخفيف من الفتح

(٢) اتخاف فضلاء البشر : ١٨٧

(٤) شرح التصريح ١ - ١٣٢

(١) سورة فصلت آية ٢٩

(٣) البحر الحيط ٧ - ١١٨ !

(٥) البحر ٧ - ٤٩٥٩

(٦) المحتسب لابن جني ٢ - ٦٢ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية : تحقيق الأستاذ على النجدي ، والدكتور

عبد الفتاح شلبي .

(٨) في شرحه على سيبويه ٥ - ٤١٦

(٧) الكتاب ٢ - ٢٥٨ ، ٢ - ٢٨١

(٩) سورة الأعراف ٤٠ وانظر المحتسب في نفس السورة والآية .

٢ - وقراءة أبي عمرو بن العلاء التميمي
أحد القراء السبعة «ويدعوننا رغبا ورهبا»^(١)
بالإسكان .

٣ - كما خففت الجماعة المفتوح
في (كانتا رتقا)^(٢) .

٤ - ومن تخفيف المفتوح ما في البديع
لابن خالوية : «ومن يقتل مؤمنا متعمدا»^(٣)
ساكنة التاء وقد حكم النحاة على تلك
القراءة بأنها في غاية الشذوذ والوهن .
٥ - وقراءة أبي عمرو «في قلوبهم مرض»^(٤)
ساكنة الراء .

٦ - وقراءة ابن محيصن (أمنة نعاسا)^(٥)
ساكنة الميم .

ولأدري لم رمى النحاة هذه القراءات
الموثقة بالشذوذ والوهن ، إلا أن تكون قد
خالفت قواعدهم التي حكموها في حقل
العربية حتى جعلوه ضيقا حرجا ، على الرغم
من أنها تمثل لهجات قبائل : تميم وبكر
ابن وائل ، وقبائل ربيعة وأكثر قبائل
أسد ، وعامة قبائل قيس المتاخمة لتميم ،
وذلك لأنهم يملون جميعا إلى السرعة

في النطق حيث يحذفون الحركات وفي ذلك
تيسير واقتصاد في الجهد العضلي . وذلك
ما يهدف إليه الأعراب والبداءة الحفافة^(٦) .

(و) الحركة الإعرابية بين النحاة
والقراء .

(أ) يرى بعض النحاة - جواز حذفها
مطلقا - وعلى هذا ابن مالك .

(ب) ويرى كثير منهم عدم حذفها
مطلقا في الشعر ، ومن هؤلاء المبرد وأضرابه .

(ج) جواز حذفها في الشعر ، ومنع
هذا الحذف في الاختيار ، وهذا رأى
جمهور النحاة^(٧) .

أما القراء فقد روى عنهم حذف الحركة
الإعرابية .

أولا : في الفعل المضارع :
في قوله تعالى «ينصركم»^(٨) و«يأمركم»
و«يأمرهم» و«تأمرهم» و«يشعركم»
و«ويعلمهم» . فقد أسكن
أبو عمرو بن العلاء في هذه المواضع
كلها .^(٩)

(٢) الأنبياء ٣٠

(١) سورة الأنبياء آية ٩٠

(٣) سورة النساء آية ٩٢

(٤) سورة البقرة ١٠ وانظر المختص ١ - ٥٣

(٥) سورة آل عمران ١٥٤ والمختص ١ - ٢٧٣ .

(٦) انظر مقالنا في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة جزء ٢٩ .

(٧) حاشية عبادة على الشذوذ ٢ - ٣١

(٨) في آل عمران والملك .

(٩) إبراز المعاني ٢٣١

ثانيا : فى الأسماء : يدل لذلك قراءة مسلمة بن محارب « وبعولتهن أحق بردهن^(١) بسكون التاء . وقراءة أبى عمرو « فتوبوا إلى بارئكم » بسكون الحمزة^(٢) . « ورسلنا لديهم » بضياء حركة الإعراب^(٣)

وقراءة حمزة « استكبارا فى الأرض ومكر السيئ ولا يخفى المكر السيئ إلا بأهله^(٤) » بإسكان (السيئ الأولى) المجردة : ولكن المؤسف حقا أن نرى موقف الكثير من النحاة ، حيث أنكروا الإسكان .

(أ) فسيبويه والمبرد والسيرافى والفارسي وابن جنى والزجاج ينكرون الإسكان فيحمل سيبويه ظاهرة الإسكان فى قراءة أبى عمرو على الاختلاس ، والمبرد يسم قراءة أبى عمرو باللحن^(٥) وابن جنى حين نكر الظاهرة يشنع على القراء فيقول^(٦)

ولم يؤت القوم (يقصد القراء) فى ذلك من ضعف أمانة . ولكن أوتوا من ضعف دراية « والسيرافى يذهب مذهب سيبويه ويسم تلك الظاهرة بالضرورة .^(٧)

ولا أدرى كيف يكون حذف الحركة . الإعرابية ضرورة مع ورود القرآن به

ثالثا : أنماط أخرى من حذف الحركة منها :

(أ) تسكين الياء المنصوبة فى الآخر فى قراءة طلحة بن سليمان « أن يحيى الموتى »^(٨) ساكنة^(٩)

(ب) وقراءة « ثانى اثنين »^(١٠)

(ج) وقراءة السلمى^(١١) « ألم تر أن الله » وقراءة أبى عبد الرحمن : « ألم تركيف »^(١٢)

(د) وقراءة « أو يعفو الذى بيده^(١٣) » بالسكون^(١٤)

(١) سورة البقرة ٢٢٨ وانظر النشر ٢ - ٢١٤

(٢) المحتسب ١ - ١١٤ مخطوط بالتيمورية .

(٣) البحر ٢ - ١٨٨ .

(٥) البحر ٢٠٦

(٧) شرح السيرافى ١ - ٣٢ مخطوط برقم ١٣٧ دار الكتب .

(٧) سورة القيامة ٥٠

(٨) المحتسب ٢ - ٣٤٢ ط المجلس الأعلى للثنون الإسلامية .

(٩) سورة التوبة آية ٤٠

(١٠) سورة إبراهيم آية ١٥ والمحتسب ١ - ٣٦٠ ط المجلس الأعلى

(١١) سورة انفيل آية ١ وانظر المحتسب ٢ - ٣٧٣ ط المجلس الأعلى .

(١٢) سورة البقرة آية ٣٣٧

(١٤) المبع ١ - ٥٣

رابعاً : حذف الحركة الإعرابية في
الشعر ذلك كثير :

(أ) ما جاء في شرح السيراني من قول
الأقيشر الأسدي :

رحث وفي رجليك ما فيهما
وقد بدا هتكتك من المنزر
بسكون النون . (١)

(ب) وما أنشده أبو علي لحرير :

سيروا بني العم فالأهواز منزل لكم
ونهر تبرى فما تعرفكم العرب (٢)

وهناك روايات أخرى في الشعر كثيرة
حذفت فيها الحركة الإعرابية (٣) ، ولكن
النحاة عز عليهم ضياع الحركة الإعرابية
في هذه الشواهد وغيرها فرووا لها روايات
أخرى لإسكان فيها حتى تسلم لهم قواعدهم
ومقاييسهم ، وحتى لا يروا ذهاب حركة
الإعراب لغير ما سبب .

وظاهرة الإسكان التي أفكرها النحاة
وأبدها القرآن والنثر والشعر على السواء
هي لهجات لقبائل عربية : كتميم ، وأسد
وبعض نجد ، وبكر بن وائل وبعض
قيس . (٤)

أما قبائل الحجاز فكانت تحافظ على حركة
الإعراب (٥) . ويظهر أن ظاهرة الإسكان
بدأت تنازل الحركة الإعرابية ، وتستولي
على أمكنتها ، وتزحف على أراضيها ،
وتسيطر على بقاعها .

ومما يؤيد ذلك ما قرأ به محمد ابن
عبد الرحمن بن محيىصن ، وهو من قراء
مكة : بإسكان لام الفعل في كل من هذه
الأفعال وغيرها نحو « يعلمهم ونحشرهم »
وتفسير هذا أن ظاهرة الإسكان زحفت
من تميم وقبائلها في شرق الجزيرة حتى
اقتحمت دوائر الحجاز في غربها .

والحق أن حركة الإعراب ضاعت في
ظواهر كثيرة من اللغة :
ضاعت في الوقف ، كما ضاعت في
الإدغام طلباً للتيسير والخفة .

فذهاب الحركة الإعرابية لا يخالف
العربية - لاسيما قد أيدتها قراءات قرآنية
موثقة ، والقراء متبعون لا مبتدعون . وإذا
كان كذلك - أصبحت القراءة حجة
على النحاة والطعن على تلك القراءات
مردود ، ورمى القراء بالغفلة والوهن
وعدم الضبط ظلم وحيف .

(١) شرح السيراني ١ - ٢٦٧ مخطوط - تيمور .

(٢) شرح السيراني ١ - ٢٦٨ غ الخصاص ٢ - ٣٤٠

(٣) اللهجات العربية لصاحب المقال ٦٣٨ .

(٤) انظر الإتخاف ١٣٦ ، وإبراز المادى ٢٣١ ، النثر ٢ - ٢١٢ ، البهر ١ - ٢٠٦ .

(٥) المحتسب ١ - ١١٤ مخطوط .

ثم إن الحركة الإعرابية التي عز على النحاة ضياعها في بعض القراءات والشواهد ليست هي القرينة الوحيدة الدلالة على المعنى فهي واحدة من القرائن التي تتظاهر لكشف اللبس عن المعنى ، واطراح إحدى هذه القرائن - والعلامة الإعرابية واحدة منها - غير محذور ولا منكر مادام لن يؤدي إلى ليس أو غموض (١)

على أن النحاة ليسوا بأوثق أمانة ، وأول عهدا ، وأرعى ذمة ، واطيب نفسا من القراء ، فضلا عن أن تخطئة النحاة للقراء في هذه الظاهرة مظهر من مظاهر المعيارية المرفوضة ، واتجاه بعيد عن الصواب والحادثة لأنهم لم يلتزموا بالأصل العام [الذي قرروه لأنفسهم من الاحتجاج بالقرآن وقراءاته

(ز) - روى أبو عبيدة عن يونس أن : أهل مكة يخالفون غيرهم من العرب فيهمزون النبي عليه السلام والبربة والذرية (٢) وينقل صاحب اللسان (٣) عن سيبويه أنه قال : والهمز في النبي لغة رديئة ، والنبي قد يكون أصله من النبأ - بمعنى أنه أنبأ عن الله فأصله على هذا الهمز ، وقد يكون أصله من النبوة والنباوة ، وهي الارتفاع عن الأرض فكأنه أشرف على سائر الخلق ، فأصله على هذا غير الهمز -

والمعروف أن بيئة الحجاز تنفر من الهمز في لهجاتها ، والشذوذ لهجة مكة حين نطقوا بالهمز فيما سبق ، كمن أن يعلى بأن اللهجات ليس من شأنها أن تلنزم حالة واحدة كشأن القوانين الطبيعية في الكون ، وعلى كل فصنيع أهل مكة في الكلمات التي همزت ، ومخالفتهم للعرب جميعا حيث يسهلون ذلك تدعونا إلى أن منطقة مكة في هذه الألفاظ أشبه بالجزيرة اللغوية Speech Island لأن خصائصها في هذا متميزة بخالف ما يشيع عند العرب :

ومما هو جدير بالذكر ما روى أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا نبي الله - بالهمز فقال له : لا تنبر باسمي . أي لا تهمز (٤) . ومثله ما جاء في الحديث عن أبي ذر الغفاري وهو ما أخرجه الحاكم المستدرک : أن أعرابيا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله ، فقال لست نبي ، ولكن نبي الله وسند هذا الحديث ضعيف ، ومما يقوى ضعفه ما جاء في تفسير القرطبي ١ - ٤٣١ أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أنشد :

يا خاتم النبلاء . إنك مرسل بالحق كل هدى السبيل هداكا بالهمز : "جمع نبي" - ولم يعترض على هذا

(١) الخصائص ١ - ٣٣٤ وما بعدها ، وانظر الضرورة الشعرية في النحو العربي محمد حماسة . مخطوط مكتبة دار العلوم ورقة ٤٠٣ .

(٢) إصلاح المطلق ١٥٩ ، وانظر اللسان : ١ - ٢٢ والنهاية لابن الأثير ٤ - ١٢٠ .

(٣) ١ - ١٥٧ . (٤) اللسان ٧ - ٤٠ .

واری انه من المحال أن يكلف النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً بأن ينتقل من لهجته الى لهجة أخرى لما ذلك من العنف والمشقة - وهو بالموثمن روؤف رحيم :

وقد يكون الرسول صلى الله عليه وسلم إنكاره (النبيء) بالهمزة ، لأنه قد قد يتوهم أنه من (نبأ من أرض الى أرض) أى خرج منها ، فقد يحمله بعض من يضمم السوء - على خروجه من مكة إلى المدينة على غير وجه التكریم

ويهمنا هنا أن نناقش سيبويه - وهو رائد النحاة المتقدمين في قوله عن (النبيء) بالهمز - « وذلك قليل ردىء » ^(١) مع أن ابن سيده في المخصص ^(٢) ينقل عن سيبويه قوله « وليس أحد من العرب إلا وهو يقول : « تنبأ مسيلمة » وإذا كان سيبويه يرى بأن أصلها الهمز فأم استردأها ؟

ويمكن الدفاع عن سيبويه بأنه استردأها بالهمز ، لشذوذه عن الاستعمال ، وإن كان مطرداً في القياس ، فقلة استعمالها بالهمز هو الذى جعل سيبويه يقول برداءتها.

ولكن على الرغم من هذا الدفاع عن سيبويه ومن جاء بعده من النحاة فما زالت التهمة متمسكة بأثوابه ، لأنه عرض بقراءة نافع ، ونافع أحد القراء السبعة وقد حقق ذلك في قراءته ، فقرأ (النبيء) بالهمز في القرآن ، كما قرأ هو وابن ذكوان « أولئك هم خير البرية » بالهمز. ^(٣)

وما كان لسيبويه أن يحكم عليها بالرداءة لأن أئمة القراء لا تعمل في شئ من حروف القرآن على الأفشى في اللغة ، والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر ، والأصح في النقل والرواية - إذا ثبت عنهم لم يردوها قياس عربية ولا فشو لغة ، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها : ^(٤)

فاذا أضفنا إلى ذلك أن النبيء بالهمز لهجة عربية مكية ، وأنها قراءة نافع ^(٥) ابن أبي نعيم الذى يصفه ابن الجزرى بأنه : أحد القراء السبعة والأعلام ثقة صالح ، كما قرأ على سبعين من التابعين . وفيه يقول أنس ابن مالك :

قراءة أهل المدينة سنة ، قيل له قراءة نافع ؟ قال : نعم : ويصفه قالون : بأنه

(١) الكتاب سيبويه ٢ - ١٧٠

(٢) سقر ١٤ - ٧٥

(٣) الإتحاف ٤٤٢

(٤) منجد المقرئين ومرشد الطالبين : للإمام شمس الدين محمد بن الجزرى ٦٥ نشرة مكتبة القدسي ١٣٥٠ هـ

(٥) غاية النهاية ٢ - ٢٣٠ لما بعدها .

من أظهر الناس مخلقا ، ومن أحسن الناس الناس قراءة وكان زاهدا جوادا صلى في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ستين سنة.

وحسبك بعد هذا الثناء العاطر ، والعطاء المتجدد من شيخ القراء أنه لما حضرته الوفاة قال له أبنائه : أوصنا . قال : اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين .

ولهذا كله كانت التهمة محيطة بالنحاة وعلى رأسهم سيبويه حيث استردأ قراءة متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعلماء النحو بعامة مولعون بتخطئة هذا القارئ الثابت : نافع بن أبي نعيم . وما دامنا في قضية (الهمز) وبطلانها : نافع القارئ وسيبويه النحوي فاليلك ، وذكراً من أحكامهم ومقاييسهم في قضايا الهمز - التي إن دلت فإنما تدل على مدى صلفهم وغطرسهم .

قال أبو عثمان المازني : « فأما قراءة من قرأ من أهل المدينة (معاش) ^(١) بالهمز فهي خطأ ، فلا يلتفت إليها ، وإنما أخذت عن نافع بن أبي نعيم ، ولم يكن يدرى ما العربية ، وله أحرف يقرؤها لنا نحواً من هذا

وفي كتاب ^(٢) ابن مجاهد أن خارجة ابن مصعب هو الذي روى القراءة السابقة ^(٣) عن

نافع ، ويحكم أبو بكر بن مجاهد في كتابه السابق على القراءة : بالغلط

أما ابن جني فيسير في ركاب المازني فيقول : « وإنما كان همزها خطأ عنده ، لأنها لا تخلو من أن تكون جمع (معاش) أو معيشة أو معيش فقد قال رؤبه :

(إليك أشكو شدة المعيش)

يريد (المعاش) وكل واحد من هذه فعينه متحركة في الأصل ، فأصل : معاش : مَعِيشَ ، وأصل معيشة : مَعِيشَتَ ، أو مَعِيشَتَه على مذهب الخليل :

وأصل معيش : مَعِيشَ مكسور العين ليس بغير ، ليس في الاتحاد اسم على مفعول بضم العين :

ثم قال : وإذا كان الأمر كذلك فحق : معاش ، معيش ومعيشة ، ألا تهمز في الجمع ، لأنه قد كانت عينه متحركة في الأصل ، فإذا احتاج إلى حركتها في الجمع حركتها ولم يقلعها واحتملت الحركة ، لأنها قوية وهي من الأصل ، وقد كانت متحركة في الواحد ، وإنما يهمز في الجمع حروف المد واللين التي لاحظ لها في الحركة في الواحد نحو ألف « رسالة » وياء : « صحيفة » وواو : عجوز ، إذا قلت : رسائل ، وصحائف ، وعجائز ^(٤)

(١) سورة الأعراف آية ١٠

(٢) المنصف مرجح أبي الفتح عثمان بن جني الكتاب التعريف لأبي عثمان المازني النحوي البصري ١ - ٣٠٧ فا

(٣) السبعة في الثمرات ط دار المعارف لابن مجاهد تحقيق د . شوقي ضيف ٢٧٨ .

(٤) المنصف ١ - ٣٠٨ فا بعدها .

ويسير المبرد مع أستاذه المازني فيقول
« فأما قراءة من قرأ (معائش) فهمز فانه
غلط ، وإنما هذه القراءة منسوبة إلى نافع
ابن أبي نعيم ولم يكن له علم بالعربية وله في
القرآن حروف قد وقف عليها »^(١)

وابن خالويه يقول : من همز هذه الياء
فقد لحن ، وقد روى خارجة عن نافع همزه
وهو غلط ^(٢)

ويقول عنها الزجاج « جميع نحاة البصرة
تزعم أن همزها خطأ ، ولا ينبغي التعويل على
هذه القراءة » ^(٣)

ولم يرو نافع وحده هذه القراءة فقد
رويت عن الأعرج ، وزيد بن علي ،
والأعمش وابن عامر ، وكلهم ثقات : ابن
عامر — وهو عربي صراح وقد أخذ القرآن
عن عثمان قبل ظهور اللحن ، والأعرج :
وهو من كبار قراء التابعين ، وزيد بن علي :
وهو من الفصاحة والعلم بالمكان الذي قل أن

يدانيه في ذلك أحد ، والأعمش : وهو من
الضبط والإتقان والحفظ والثقة ، كان ،
ونافع : وهو قد قرأ على سبعين من
التابعين وهم من الفصاحة والضبط والثقة
بالحل الذي لا يجهل يقول أبو حيان « فوجب »^(٤)
قبول ما نقلوه إلينا ، ولا مبالاة بخالفة نحاة
البصرة في مثل هذا »

ومن الإنصاف أن نشير إلى موقف نحوي
كوفي تخرج من أن يدلى بدلوه مع النحويين
فيقول « فرمما همزت العرب هذا وشبهه ،
يتوهمون أنها فعيلة لشبهها بوزنها في اللفظ
وعدة الحروف وقد همزت العرب
(المصائب) وواحدتها مصيبه ، شبهت
بفعيلة لكثرتها في الكلام »^(٥). فالقراءة السابقة
وإن كانت شاذة إلا أن لها وجهها في العربية ،
ونقلت عن طبقة بعد طبقة من القراء
الفصحاء — وهم في الضبط والتحرى والأمانة
بالمكان الذي لا يجارى :

أحمد علم الدين الجندی

(١) المقتضب للمبرد ١ - ١١٢ من المقدمة تحقيق الأستاذ عبد الخالق عضيمة .

(٢) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص ٢٩ لابن خالويه ط دار الكتب المصرية .

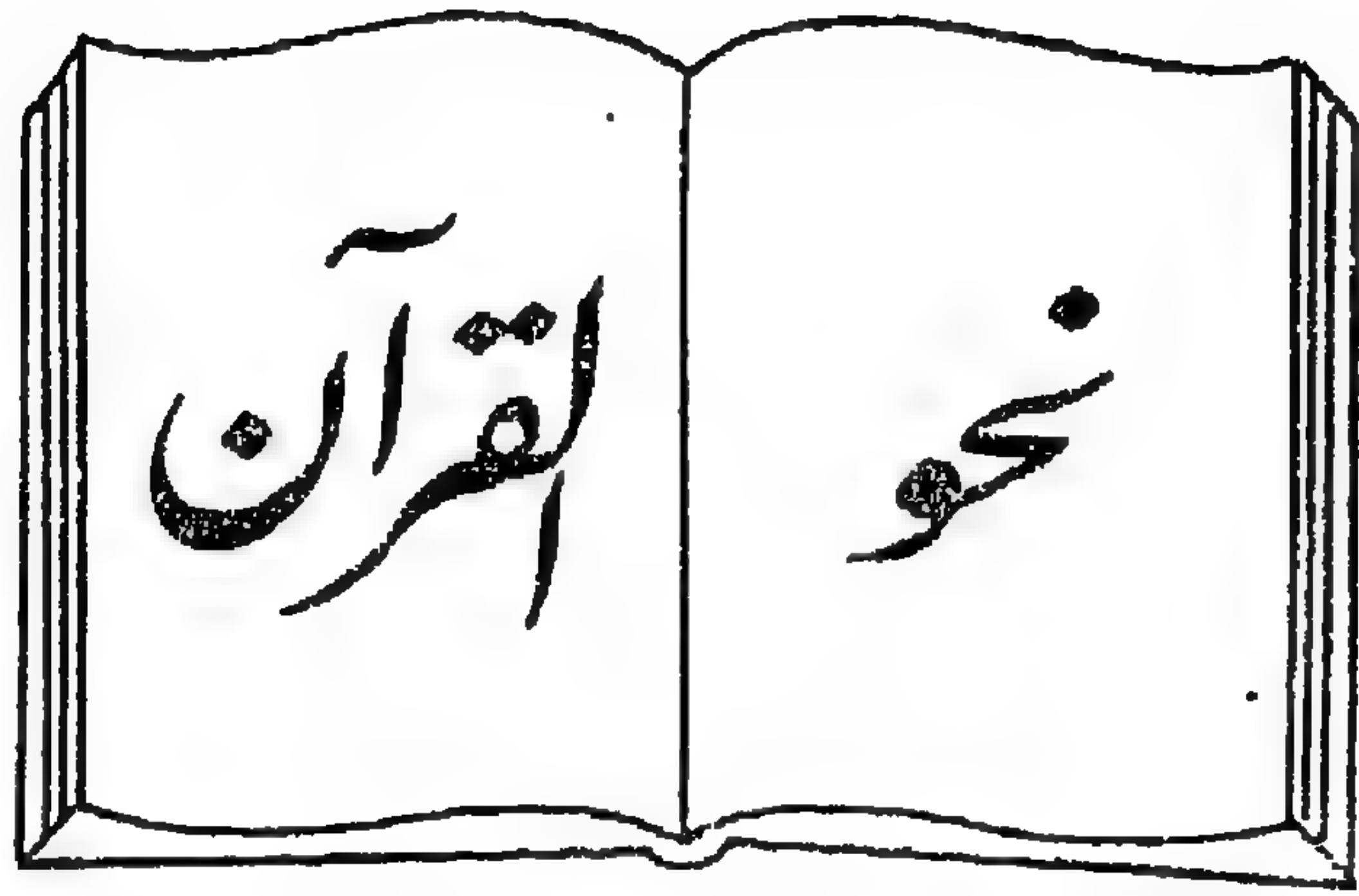
(٣) البحر ٤ - ٢٧١

(٤) البحر ٤ - ٢٧١

(٥) معاني القرآن للقراء ١ - ٣٧٣ .



للكثرة
أحمد عبد الستار الجوارى



تقديم ونقد الأستاذ على النجدي ماصف

وأيا ما يكن معنى المؤلف من عنوان كتابه ، وأية أيا يكن بين العنوان والكتاب من وفاق أو خلاف ، فالذى لاخلاف عليه أن الكتاب يشهد لصاحبه باجتهاد الرأى ، وحرية الفكر ، وحب العربية والغيرة عليها ، والرغبة فى تقويم نحوها ، واستنقاذه مما بداله أنه صناعة بغيضة ، وتكلف مردول .

والكتاب يمقت التأويل والتقدير ، ويضيق بهما ، ويوشك أن يدير القول كله عليهما . ولا أدري فيم مقتهما والضيق بهما ، وهما أمران لاغنى عنهما فى كثير من أساليب العربية ؟ فالكلام منه محكم قاطع الدلالة على معناه ، وآخر متشابه يمكن أن يفهم عنه غير وجه من المعانى ، فيحتاج القارئ أو السامع إلى تبين المعنى المراد به على التعيين سؤالا عنه ، أو نظرا فيه ،

كتاب ألفه الأستاذ الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى ، ونشره المجمع العلمى العراق فيما ينشر من مطبوعات . وأكبر الظن أن كلمة « نحو » فى عنوان الكتاب معناها جهة ، وأن السيد المؤلف أراد بالاسم المختار أن يدعو إلى الاتجاه نحو القرآن فى دراسة علم النحو .

وبعيد أن يكون مراده أن الكتاب يتعاطى بالدراسة والبحث نحو القرآن ، لأن هذا يعنى أنه قد اتخذ القرآن مصدرا للدراسة جديدة تتبع فيها مسائل النحو كما تتمثل فى القرآن ، وإلا كان اسم الكتاب على شىء من الخلاف مع شكله ومضمونه ، فشكله أصغر حجما وأقل صفحات من أن يحيط بالنحو كله ، ومضمونه مجرد نماذج متفرقة من الملاحظات على بعض قضايا النحو ، يعرضها الأستاذ المؤلف على نور من البيان القرآنى الرفيع .

واستخراجا للمستكنه ، وترجيحا لوجه على وجه ،
استثناسا بالمقام وقرائن الأحوال .

وقد أنزل الله القرآن على هذا السنن ،
وذكر التأويل فيه وأسنده إليه - جل
وعلا - وجعل الراسخين في العلم أهلاله ،
وشركاء فيه ، على أحد وجهي تفسير قوله
تعالى : (هو الذي أنزل عليك الكتاب
منه آيات مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ
وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ
الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ
إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ
آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا)^(١)

« وكان التمرس بالتأويل والاقتدار عليه
من المطالب العزيزة ، والسمات الشريفة ،
سألها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
لابن عباس ، فقال : « اللهم فقه في
الدين ، وعلمه التأويل »^(٢) واقتران الفقه
في الدين بعلم التأويل يوحى بأنهما
أمران لا يفترقان .

وقد أخذ الرسول - صلوات الله
عليه - بالتأويل حين قال : « من حوسب
عُذِبَ » ، فقد سألت عائشة حين سمعت
الحديث فقالت : : أوليس الله يقول
(فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ
حِسَابًا يَسِيرًا ؟) فقال عليه السلام :
ذاك العرض ، ولكن من نوقش الحساب
يهلك^(٣) « فأول الرسول الحساب في الآية
بالعرض ، وفي الحديث بمناقشة الحساب .
وإذا أمكن أن يستغنى عن التأويل في
لغة ما فلاغنى عنه في العربية ، لأنها لغة
قوم عرفوا بصفاء القريحة وثقوب الذهن ،
تكفيهم الإشارة الدالة ، والإيماء الموحية
في كثير من المواطن ، ولذا أكثر والحذف
ونوعوه ، وامتدحوا الأخذ به والفهم
عنه^(٤) .

والتأويل في أصل معناه الإرجاع ،
ومنه قولهم في الدعاء لمن فقد شيئا :
أول الله عليك ضالتك ، أي أرجعها ،
ومنه كان تأويل الكلام وتأويل الرؤيا

(١) سورة آل عمران : ٧

(٢) البداية والنهاية ٨ : ٢٩٦ ، ٢٩٧

(٣) فتح الباري : ١ ، ١٥٩ ، والآية في سورة الانشقاق : ٧ ، ٨

(٤) من قضايا اللغة النحو : ٨٥

أى تفسيرهما ، وبيان ما ينطويان عليه من غموض ، ليرجع كلاهما إلى أصل المعنى المراد فالتأويل والتقدير إذا ليسا تقولا ولا افتعالا ، ولكنهما انظروا وتوضيح وهدى فيما يحتمل أن يضل الفهم فيه . والنحويون إذ يذكرون المحذوف ، أو يظهرون المضمرة إنما يرجعون فيه إلى اللغة ، يستلهمونها ، ويأخذون منها للنظائر والأشباه ، ثم هم حين يقدرونه لا يقولون بذكره في الأسلوب وإدخاله في تأليفه .

على أن العرب كانت تعرف التقدير وتلاحظ معنى المحذوف في فهم المراد ، وهذا سببويه يقول بعد أن أورد ضروباً من الحذف في الكلام : « وهذه حجج سمعت من العرب ومن يوثق به ، يزعم أنه سمعها من العرب . من ذلك قول العرب في مثل من أمثالهم : اللهم ضبعا وذئبا إذا كان يدعون بذلك على غنم رجل ، وإذا سألتهم ما يعنون ؟ قالوا : اللهم اجمع أو اجعل فيها

ضبعا وذئبا ، وكلهم يفسر ما ينوى ، وإنما سهل تفسيره عندهم ، لأن المضمرة قد استعملت في هذا الموضوع عندهم بإظهار^(١)

ولا أدري لماذا يحرم على النحاة أن يتناولوا أساليب الكلام عند الحاجة بالبحث والتحليل ، والاستعانة بالمذكور على فهم المحذوف ، ثم يباح للناقد الأدبي أن يقول عن النص ما لم يقل ، ويعزو إليه ضروباً من الدلالات ، يسميها حيناً الطائف وإشارات ، وحيناً رهوزاً وإيحاءات ، لاتعدو أن تكون رؤى له ، وخواطر من عنده ؟

وفي القرآن الكريم آيات شتى لا يفهمها القارئ أو السامع على وجهها إذا هو قنع منها بالنظر في ظاهرها ، ولم يحاول النفاذ إلى غورها ، ليطالع ما هناك من حذف فيأتى به ، ويقدره في التفسير والتأويل

من ذلك قول الله تعالى : (وآتيناهم الناقة البصيرة^(٢)) فظاهر الآية ، والمذكور من كلماتها يشيران إلى أن

(١) الكتاب ١ : ١٢٩

(٢) سورة الإسراء : ٥٩

« مبصرة » وصف للناقة لفظا ومعنى ،
 وإذا يكون المراد أن الناقة التي آتاها الله
 ثمود لم تكن عمياء ، وهى على هذه
 الصفة لاتعد آية من آيات الله للأنبياء ،
 فما هى معها إلا ناقة من عموم النوق
 التي برئت من العمى . وقد قال الله تعالى
 في موطن آخر : (هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ^(١))
 وقال في موطن ثالث : (وجعلنا الليلَ
 والنهارَ آيَتَيْنِ ، فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ
 وجعلنا آيةَ النهارِ مُبْصِرَةً ^(٢)) إذا لانفهم
 الآية حق الفهم إلا بتقدير كلمة آية
 قبل مبصرة ، ليكون تأويل الآية :
 وآتيننا ثمود الناقة آية مبصرة .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : (السماء
 مُنْقَطِرَةٌ بِهِ ^(٣)) ، وظاهر الآية يجعل السماء
 خلقا مذكرا ، وهى فى سائر الآيات
 التي ذكرت فيها وفى العربية عامة خلق
 مؤنث . فهل نقف عند ظاهر الآية
 لانعدوه بحثا وتنقيبا ، ونحكم بأن
 السماء خلق يأتى مؤنثا كثيرا ، وأتى

مذكرا مرة فى القرآن ، أو أن نرجع
 إلى الآيات الأخر التي ذكرت السماء
 فيها لعلمنا واجدون هناك نورا يهذى
 إلى الحق ، ويكشف عن سر من أسرار
 البيان القرآنى الرفيع ؟

إن المقرر تجربة وأثرا أن القرآن
 كل متماسك : يفسر بعضه بعضا ،
 ويكمل بعضه بعضا ، فالخير إذا أن
 نجشم أنفسنا طلب الآيات الأخر التي
 للسماء فيها أو صاف مميزة وصفها الله
 بها شاهدا على القدرة وإحكام التكوين .
 قال تعالى : (أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ
 السَّمَاءُ بَنَاهَا ^(٤)) ، وقال : (والسَّماءُ وما بَنَاهَا) ^(٥)

وقال : (أَفَأَنْتُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ
 كَيْفَ بَنَيْنَاهَا ^(٦)) وقال : (وَبَنَيْنَا
 فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ^(٧)) ، فالله - جلّت قدرته
 يجعل السماء مفردة والسموات جملة بناء
 محكما لافطور فيه ، متماسكا ينجذب
 بعضه إلى بعض ، تبارك الله أحسن
 الخالقين .

(١) سورة الأعراف : ٧٣

(٢) سورة الإسراء : ١٢

(٣) سورة المزمل : ١٨

(٤) سورة النازعات : ٢٧

(٥) سورة الشمس : ٥

(٦) سورة ق : ٦

(٧) سورة النبا : ١٢

وآية (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) تصف حدثاً من أحداث يوم القيامة ، فهو يوم تشيب فيه الولدان ، وينفطر بناء السماء المحكم الوثيق . وكأن المعنى حينئذ - والله أعلم - : وبناء السماء منفطر في هذا اليوم ، وإذا لا تخالف بين الموصوف والصفة أو الخبر والمبتدأ ، كما لا يخفى .

وآيات أخرى على شبه من هاتين الآيتين ، أذكرها ولا أعلق عليها آية فآية ، فمفتاحها كلها واحد ، وهو ملاحظة فعل متدار يلائم معناها ويكملها . قال تعالى : (كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ، قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ^(١)) وقال : (قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا ^(٢)) . وقال : « لَا تَهْدِنَا عَيْنُكَ إِلَى مَا نَشْعُنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » ^(٣) .

(فحالة) في الآية الأولى ينصبها فعل محذوف ، هو الذي يوجه إعرابها ،

ويدل على معنى الآية ، وتقديره (نتبع) وكان معنى (كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى) : اتبعوا ملة موسى أو عيسى ، والجواب الذي تجاب به هذه الدعوة يجب أن يكون : بل نتبع . . .

ونخلص من هنا للنظر في القضايا التي أثارها « نحو القرآن » ، والأمثلة التي أقامها شواهد تلك القضايا :

يرى الكتاب أن من العبث التأويل الذي أول به قوله تعالى : (وَمَالَنَا إِلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا) ^(٤) ، وقوله : (فَمَا لَكُمْ فِي لُتَمَفِّقِينَ فِثَتَيْنِ) ^(٥) ، ولكنه لم يبين لنا هذا العبث : ماهو ؟ ، ولا لماذا عدّه عبثاً لا حكمة له ؟ .

والمعروف من صنيع النحاة للآية الأولى أنهم نظروا فيها كما نظروا في غيرها من الآيات التي عرضوا لها بالبحث لكن سبيل الفهم تفرقت بهم : فمنهم من فهمها على معنى : مالنا لانتوكل على

(١) سورة البقرة : ١٣٥

(٣) سورة الحجر : ٨٨

(٥) سورة النساء : ٨٨

(٢) سورة الأنعام : ١٦١

(٤) سورة إبراهيم : ١٢

الله ؟ ، إنكارا لعدولهم عن الأخذ
بالتوكل ، ووجد أن العبارة مفهومة
المعنى بغير (أن) ، فقضى بأنها زائدة ،
وأنها مع ذلك عاملة للنصب في الفعل
بعدها .

وفهمها آخرون على معنى : أى نفع ،
أو داع لنا إلى أن نترك التوكل على الله ،
نفيا لعدم التوكل أن يكون فيه نفع
أوله داع ، فقصوا بأن (أن) ليست
زائدة ، وأنها لذلك ناصبة للفعل . فهل
هذا البحث واختلاف الفهم في معنى
الآية هما هذا العبث ؟ وإذا ما كان عليهم
أن يعملوا غير ما عملوا ؟ وما حيلتهم
في اتقاء الخلاف في الرأي إذا كان أمارة
من آمارات الرأي الحر ، والتفكير
المستقل ؟

أما الآية الثانية فقد عاد الكتاب
إليها في ص : ٩٤ ، وهناك نعى على النحاة
تأويلها ، ونقل قول الفراء فيها ، وقول
محققى كتابه « معانى القرآن » لتوضيح
المراد . وتأويل الآية على ما يقوله الفراء
ومحققا كتابه هو : ماذا حدث لكم

في الحكم على المنافقين الذين تعنيهم
الآية ، فاختلستم فيهم فئتتين ؟

وهو كلام قوي لا عوج فيه ، يؤدى
المعنى أداء بينا ، وإن كان لا يدانى الآية
في براعة النظم ، ومثله كمثل نشر الشعر
إذ يلتزم صاحبه الأصل ، ويتحرى الدقة
في التعبير عنه ، فهو حينئذ باسترساله ،
وتجرده من إيقاع النغم لا يبلغ مبلغ
الشعر من البلاغة والتأثير ، ولا سيما أن
القارئ يقرؤه ، وهو مازال مأخوذا بحلاوة
الموسيقا : وتساقق الأنغام .

وينكر الكتاب في فصل المبتدأ والخبر
تقدير مبتدأ في آيات : منها : (وإن
كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ
مَقْبُوضَةٌ ^(١) » . وهذه الآية تدعو مع
آيات قبلها إلى كتابة الدين عند المداينة ؛
لضمان أدائه في موعده ، فإن لم يوجد
ثمة كاتب فالضامن رهن يقدمه المدين .
والقارئ أو السامع إذ يصل إلى (فرهان)
لا يملك أن يرد ذهنه عن إدراك المحذوف ،
وأنه الضمان الذى يحل محل الكتاب

ويغنى عنه ، لأنه المحور الذي يدور عليه
معنى الآيات .

ثم هو قد عهد ذكر المبتدأ في آيات
أخر تشبه هذه الآية في نظم الأسلوب ،
مثل : (وَإِنْ تُخَفُّوْهَا وَتُوْتُوْهَا النَّمُتْرَاءُ
فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ)^(١) ، ومثل : (وَمَنْ يَمْتَثِلْ
مُؤْمِنًا مَّتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ)^(٢) .
ومن شأن الشبيه أن يذكر بشبيهه ،
فذكر المحذوف لا يعدو أن يكون إظهارا
لما في ذهن القارئ أو السامع .

ومنها آية : (وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ)^(٣) ،
وهي آية تصف حال قوم كانوا إذا
أمرهم الرسول يقولون : (طاعة) فإذا
انصرفوا بيّت طائفة منهم غير الذي
تقول . فالمبتدأ مفهوم من المقام ، وحذفه
لا يذهب به من الذهن أو يلبسه عليه .
والنحويون إذ يقولون : إن التقدير :
أدرك طاعة لا يقولونه من هواء ، وهم
لا يستوحون فيه المقام وكفى ، ولكنهم
أيضا يرددون ما تقوله العرب حين

تصرح به ، كما في قول عمر بن
أبي ربيعة :

فقلت : على اسم الله أمرك طاعة
وإن كنت قد كلفت ما لم أعود^(٤)

ومنها آية : (فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً)^(٥) . والآية تنهى أهل
الكتاب أن يغلوا في دينهم ، ويقولوا
على الله غير الحق ، فيشركوا به غيره ،
ويجعلوا الآلهة ثلاثة . فالمبتدأ - وهو
الآلهة - مفهوم من المقام ، أيضا لا يعزب
علمه عن السامع أو القارئ .

ثم إن العرب تعمل القول في الجمل
وما في معناها ، ولا تعمله في غير ذلك .
فإذا لم يتدر مبتدأ في الآية فهل يكون
لفظ (ثلاثة) هو وحده مقول القول ؟
ولماذا لم ينصب حينئذ ؟ ويمضي الكتاب
فيذكر ما شاء من الآيات التي تشبه تلك
التي تحدثنا عنها .

(٢) سورة النساء : ٩٣

(٤) ديوان الشاعر : ١٥٤

(١) سورة البقرة : ٢٧١

(٣) سورة النساء : ٧

(٥) سورة النساء : ١٧١

ثم يقول الكتاب عن الأخذ في التقدير بقاعدة أن الكلام لابد أن يتألف من ركنين : « قاعدة تقوم على المنطق ، ولا تعباً بالأصل العلمي الذي لايجوز له أن يفترض في مادة البحث مهما كانت ما ليس موجودا » .

ويعنيها مما تنطوي عليه هذه العبارة أن نقرر أن النحويين - كما يعلم الناس - لايفترضون التقديرات افتراضا ، ولكنهم يأتون بها نقلا عن أساليب مشابهة لاتقدير فيها ، أو يستنبطونها استنباطا من فحوى الكلام ، معاونة على الفهم ، وإرشادا إلى الصواب كما سبق .

ويذكر في فصل الفعل آية : (أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)^(١) ، ثم ينقل قول الزمخشري في إعرابها : « بربك في موضع الرفع على أنه فاعل كفى ، وأنه على كل شيء شهيد بدل منه ، تقديره : أو لم يكفهم أن ربك على كل شيء شهيد » . ثم يعقب على ذلك ، فيقول : « وأنت ترى البون البعيد

بين هذه العبارة والنص القرآني ، حيث يتجه الإسناد إلى (بربك) فيه ، ويتجه في عبارة الزمخشري إلى مايتعلق به » وظاهر أن إعراب الزمخشري مطابق لقول نحوي القرآن : « إن الإسناد في الآية

يتجه إلى (ربك) » ، وأما قوله بتقديره « أو لم يكفهم الخ » . فليس عدولا عن توجيه الإسناد وجهته ، ولكنه بيان لما يدل البدل عليه في الأساليب العربية ، وتوضيح لموقع (أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) من الآية ، ولصلتها بما قبلها ، فالمقرر أن البدل يذكر على نية تكرار العامل ، بدليل قوله تعالى : (تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا)^(٢)

ويذكر أن الفعل قد وقع موقع الفاعل في آية : (ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنتَهُ)^(٣) وهو بموقع الفاعل حقا ، ولكنه ليس به كما يفهم من كلام الكتاب ، ولوقلنا : إنه يمكن أن يستعمل الفعل كما

(١) سورة فصلت : ٥٣

(٢) سورة المائدة : ١١٤

(٣) سورة يوسف : ٣٥

يستعمل الاسم . لا يمنع من ذلك دلالة على الزمن لكان لفظ (ليسجننه) فاعل (بدا) ، وهذا غير الواقع . ولو أن الذين بدالهم أن يسجنوا يوسف سئلوا عن هذا الذي بدالهم فيه لقالوا : السجن ، ولم يقولوا : ليسجنن .

والسجن هو الذي جعله الزمخشري في إعراب الآية مفسرا للفاعل الذي قدره : ببداء ، وليس ثمة خلاف بين المفسر والمفسر ، كما يقول الكتاب ، فالعرب تقول : بد لي في هذا الأمر بداء : أي ظهر لي فيه رأي ، فالبداء الملحوظ في الآية معناه الرأي ، وهو كلمة ذات عموم ، لكن يخصصها السجن المفهوم من (ليسجننه) .

فوضح أنه لاخلاف بين المفسر والمفسر كما يقول الكتاب ، ولكن الذي بينهما أن في الأول عموما وفي الآخر خصوصا يحد من هذا العموم .

ويرى الكتاب أن الفعل يذكر فاعلا للأفعال الناسخة حين لا يذكر

في الكلام خبر لها ، فالفعل (يزيغ) في قوله تعالى : (مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ^(١)) فاعل (كاد) ، ومثله بقية الأفعال التي ذكرها الكتاب في آيات أخرى .

ومعلوم أن كاد معناها قرب ، وإذا يكون معنى الآية : قرب يزيغ قلوب فريق منهم . فالفعل (يزيغ) هو الذي فعل القرب ، ولا أدري كيف يفعل الفعل الفعل ، وأين هذا من جعل اسم كاد ضمير الشأن . وجملة (يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ خَبْرًا لَهَا ؟) أليس ضمير الشأن حقيقية لغوية ، وليس له مرجع في الكلام ، ولكن يفسره ما بعده كما في قوله تعالى : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ^(٢)) ؟

ويعد الكتاب من قبيل حكاية القول دون ذكره عبارة : (أَنْ يَأْمُوسَى) في آية : (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ^(٣)) . والواقع أن الفعل (نُودِيَ) من قبيل القول ، فالنداء ضرب منه

(١) سورة التوبة : ١١٧

(٢) سورة القصص : ٣٠

(٢) سورة الإخلاص : ١

ولا يكون إلا به . وإذا لا يكون
القول في الآية محذوفا .

وشيوخ حذف القول في القرآن
لا ينقض الحكاية ومقول القول كما يقرر
الكتاب ، وهو يذكر هنا فيما يذكر
من الآيات : (وَإِذَا يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ
مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ، رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا)
ويقول النحويون : إن التقدير فيها :
يقولان : ربنا . وقد أظهره عبد الله
ابن مسعود في قراءته^(١) ، وأخذ النحويون
[في تقريرهم له بهذه القراءة .

ويقول الكتاب :^(٢) « إن فيما يسبق
القول المحكى من الكلام ما يوحى به » ،
وهو قول لا خلاف فيه ، ولهذا جاز
حذفه حينئذ . وهو إذ يقدر لا يكون
تقديره من فراغ ، وليس يعدو
تقديره أن يكون تعبيرا عما في الذهن
تلقياً من فحوى الكلام .

ويذكر أن في القرآن إيجازا لا تحيط
به قواعد النحو ، ويضرب مثالين لذلك ،

الأول : « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وإن
أسأتم فلها »^(٣) والآخر : (حَافِظُوا عَلَى
الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ، وَقُومُوا لِلَّهِ
قَانِتِينَ . فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا)^(٤) .
والذي تقوله قواعد النحو أن ما قبل
المحذوف يدل عليه حين يكون الحذف
جائزا كما في المثالين .

والكلام في المثال الأول عن الإحسان
وعاقبته ، والأوساة وعاقبتها ، غير أن
الأسلوب إذ يذكر الإحسان يجعل فعلى
الشرط والجواب من لفظه ، وإذا ذكر الإساءة
يجعل الشرط وحده من مادتها ، ويحل
محلها في الجواب بيان من تقع عليه
عاقبتها . وإذا يكون التأويل : وإن
أسأتم فإساءتكم ، بدلا من أسأتم لأنفسكم .
ويكون التأويل في الآية الأخرى : فإن
خفتم فصلوا رجلا أو ركبانا ، لأن الحديث
عن الصلاة . وإذا لم يمتنع على قواعد النحو
أن تحيط بإيجاز الآيتين كما يقول الكتابات

وبنكر الكتاب في فصل الاستثناء
أن يكون سوى بمعنى غير ، ويقول :

(١) الكشاف : ١ : ٧٤

(٢) سورة الإمراء : ٧

(٣) سورة البقرة : ٢٣٨ ، ٢٣٩

«فمادتها اللغوية تدل على أن معناها
نقيض معنى غير»، لكنه لم يبين كيف؟
والذى فى اللسان : «سوى بالقصر
يكون بمعنىين، يكون بمعنى نفس الشيء،
ويكون بمعنى غير... وفى الحديث :
سألت ربى ألا يسلط على أمتى عدوا من
سواء أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، أى من
غير أهل دينهم . وقال الفيند الزماني :
ولم يبق سوى العدو
ن دناهم كما دانوا »

وروى الكتاب هذا البيت ، ثم تركه
لا يعقب عليه بشيء ، وإن كان لصريحا
فى دلالة سوى على معنى غير . ثم نقل
كلام الفراء عن قوله تعالى : «غير
المغضوب عليهم ولا الضالين»^(١) حيث يقول :
« وأما قوله تعالى : «ولا الضالين» فإن
معنى «غير» معنى «لا» ، فلذلك ردت عليها .
هذا كما تقول : فلان غير محسن ولا مجمل
فإذا كانت «غير» بمعنى «سوى» لم يجوز
أن تكرر عليها «لا...» ، ثم يقول الكتاب :

«وواضح أن الفراء يلحظ الفرق بين «غير»
وسوى ، وينكر ما يذهبون إليه من استعما لهما
بمعنى واحد .

والواضح حقا أنهم إذ يذكرون «سوى»
مع «غير» فى باب الاستثناء ، ويتحدثون
عنهما بما يدل على اتفاقهما معنى - إنما
يريدون أن «سوى» تعجىء بمعنى غير حين
نكون للاستثناء. وليس يمنع من ذلك أن
يكون فى «غير» من معنى النفي فى بعض
الأساليب ، لاشتقاقها من المغيرة .
وقول الفراء نفسه : «فإذا كانت «غير»
بمعنى «سوى» لم يجوز أن تكرر عليها
«لا» ... - يدل على أن «سوى» عنده
تكون بمعنى «غير» ، كما أن «غير»
تكون بمعنى «سوى» . ثم ما رأى فى الحديث
الشريف وبيت النقد الزماني اللذين ذكرناهما
آنفا ، وكلاهما شاهد على أن «سوى»
معناها معنى «غير» ؟

ويصنع الكتاب بقولتين للزمخشري
مثل ما صنع بقولة الفراء الآتية ، قال

الزمخشري في قوله تعالى : (إنما أنت مُنذِرٌ من يخشاها ^(١)) : وقرى (منذر) بالتنوين ، وهو الأصل ، والإضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فإذا أريد المضي فليس الإضافة ، كقولك : هو منذر زيد أمس .

وهو كلام صريح الدلالة يمنع تنوين اسم الفاعل الماضي إذا خلاص لزمته . وقال الزمخشري في قوله تعالى : (ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابدٌ ما عبدتم ^(٢)) : « أي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه ، يعني لم تعبد منى عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى منى في الإسلام ؟ »

وهذا أيضا كلام صريح الدلالة كالذي قبله ، ينفي عن الرسول عبادة الأصنام في الماضي ، وينفيها عنه نفيا أشد في الحاضر . فاسم الفاعل (عابد) منفي المعنى مضيا وحضورا ، أي أنه ليس خالص الدلالة على

الزمن الماضي كالمثال الذي ذكره الزمخشري : هو منذر زيد أمس . ولكن الكتاب برغم ذلك يقول : « وهذا يدل على أن اسم الفاعل المنون يرد لمعنى المضي خلافا لما يدعون » . على أن هذا القول ليس بالجديد . فالكسائي وجماعة معه يجيزون إعمال اسم الفاعل الماضي الزمن ، أجزا بظاهر قوله تعالى : (وكَلِّبُهُمْ بِاسْمِطَ ذُرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ) ^(٣) .

ولا يرى الكتاب أن إضافة اسم الفاعل من قبيل الإضافة اللفظية ، فيقول : « ولا عبرة بدعواهم أنها إضافة لفظية ، لا يكتسب بها الاسم المضاف تعريفا ولا تخصيصا » .

ولا ندري ماذا يرى الكتاب إذا في وصف النكرة به وهو مضاف إلى معرفة في قوله تعالى : (يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بِالْغِ كَعْبَةِ) ^(٤) ، ووقوعه حالا في قوله أيضا : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ

(١) سورة النازعات : ٤٥

(٢) سورة الكافرون : ٣ ، ٤

(٤) سورة المائدة : ٩٥

(٣) سورة الكهف : ١٨

ولا هُدى ولا كتاب مُنير^(١) ، ثانی
عطفه^(١) . وهو بعد يعزّو إلى
النحويين أن إضافة الصفة المشبهة
عندهم من الإضافة المحضة ، والحق
أنها عندهم لفظية ، وهم يحتجون
لذلك بقول أبي ذؤيب يصف تأبط
شرا :

فأتيت به حوشن الفؤاد مبطننا
سُهّدا إذا ما نام ليل الهوجل
فقد وقعت فيه « حوشن » حالا ،
مع إضافتها إلى « الفؤاد » .

ويورد الكتاب في فصل جملة
النفي طائفة من الآيات الكريمة ،
زيدت « من » في بعضها ، و « الباء »
في بعضها الآخر ، ثم هولا يرى أنهما
زائدتان . ولا ندرى ماذا يرى في
قوله تعالى : « هل من خالق غير
الله يرزقكم^(٢) » ، فقد ذكرت فيه
(خالق) مجرورة بمن الزائدة ، وذكرت
(غير) مرفوعة وفاقا لمحلّه ، لا
مجرورة وفاقا للفظه . وهل يعنى

هذا إلا أن « من » زائدة ، وأن
(خالق) بعدها معرب في واقع الأمر
بما كان يعرب به حين لا تذكر
« من » قبله ؟

وينكر الكتاب أن يكون للزمن
مدخل في جملة الحال حين تكون

فعلية فعلها ماض مشبّت ، ويرتب
على ذلك ألا تقدر قبلها « قد » ،
إذا لم تكن مذكورة . فأما ألا تقدر
« قد » قبلها حينئذ فرأى يراه
الأنخفش ، وهو إذا ليس بالجديد .
وأما ألا يكون للزمن فيها مدخل فلا ،
لأن الحال أياما كانت وصف لصاحبها
مقارن لزمان العامل فيها . ولناخذ
مثلا لبيان ذلك الآية التي استشهد
بها ، وهى : (أو جاءوكم حصيرت
صدورهم^(٣)) ، فضيق الصدور الذى
تدل عليه جملة (حصيرت صدورهم)
كان صفة قائمة بالقوم حين جاءوا
الرسول عليه السلام ، لا له ولا عليه

(١) سورة الحج : ٩

(٢) سورة طاهر : ٣

(٣) سورة النساء : ٩

ولم يلدنوا لكتاب من نهايته يذكر
أن في القرآن صورا للتعجب لا تعرفها
كتب النحو ، ولا قواعد النحاة ،
ويورد مثالين متشابهين : أولهما
قول الله تعالى : (إنه فكّر وقدّر ،
فقتل كيف قدّر ^(١))

والحق أن النحاة لم يعرضوا
لأساليب التعجب بالاستقراء والحصر
ومن قولهم في ذلك : « التعجب له
عبارات كثيرة واردة في الكتاب
والسنة وكلام العرب . . . والمبوب
له في النحو صيغتان : إحداهما
ما أفعله ، والأخرى أفعال به ، لأنهما
الصيغتان اللتان وضعتا له ، واللذان
يمكن أن ترسم لهما حدود ، وتوضع
قواعد . أما غيرهما فضرور من
الأساليب لها معان أصيلة تؤديها ،
ولنما التعجب طارئ عليها ، ومفهوم
منها عرضا .

ويرى الكتاب أن التعجب في
الآية التي نقلناها عنه . وفي الآية
الأخرى التي تركناها إنما هو في كلمة

(قُتِل) ، وينقل لتعزيز رأيه قول
الزمخشري : « تعجب من تقديره .
وإصابته فيه المحز . . . ومعنى
قول القائل : قتل الله ما أشجع !
وأخزاه الله ما أشعده ! - الإشعار بأن
قد بلغ المبلغ الذي هو تحقيق بيان
يحسد عليه ، ويدعو عليه حاسده
بذلك » .

وكلام الزمخشري غني عن التفسير ،
فقله فيه أولا : « تعجب من
تقديره » ، وقوله بعد : « تحقيق بيان
يدعو عليه حاسده » - يد لان في غير
لبس على أن التعجب إنما يكمن في
الاستفهام بكيف ، لأنها التي ذكر
بعدها التقدير الذي يستحق التعجب ،
ولأن دعاء الحاسد على صاحب
هذا التقدير العجيب إنما هو بكل
من : « قتل الله » ، وأخزاه » ،
فكلاهما فعل يراد به الدعاء لا الإخبار .

والكتاب بعد هذا يتناول النحاة
حين ينقلهم بما يمكن أن يعد انتقاصا
لهم وزرابة عليهم ، لا يفرق بينهم ،

(١) سورة المدثر : ١٨ ، ١٩

ولا يستثنى منهم . وإلا فماذا نقول
عن وصفهم جميعا بالشبوط ، والتخليط
وهزال الرواية ، وخيانة الحسن والذوق
اللغوى ، ثم وصف كثير ممن أسسوا
قواعد النحو ، وأحكموا مغاليتها
بتقصير الفهم وضيق الأفق .

والسابقون الأولون من النحاة ،
خاصة هم أئمة العربية ، وحفظة
تراثها ، أخذوها سماعا من أهلها ،
إما تلقيا عن الوافدين منهم
إلى الحاضرة ، وإما نفورا إلى البادية ،
يعيشون بينهم ، ويشافهونهم ،
ويروون عنهم ، ويدركون معنائهم
بما يقولون في التصريح والتلميح ،
وحين الأفراد والتأليف . ومنهم
بعد ذلك من ذكر بين أئمة القراء .
فإذا لم تؤخذ العربية عنهم ، ولم
يكونوا هم أصحاب الرأي فيها فمن
يكون ؟

وما أريد بذلك أن أسموهم بهم عن
النقد والملاحظة ، ولكن الذى أريده
أن يعرف فضلهم ، وأن يدور القول
معهم على الحقائق ، يوردها من

يشاء ، معززة بشواهدا وحججها ،
ويدع لها هى الفصل وإصدار الأحكام .

وينكر الكتاب فيما ينكر من أمر
النحاة أنهم «اعتمدوا فى وضع قواعد
النحو على ما بلغهم من كلام

العرب : شعره ورجزه ومثله ،
أو آثروا جانب المنطق ، فتصوروا
القاعدة قبل استقراء المادة اللغوية » .

والشطر الأول من هذه الفقرة
يمكن أن يعد من المدح بما يشبهه الذم
فماذا كان يراد منهم أن يعتمدوا
عليه فى وضع النحو أكثر مما جاءهم
من نصوص الكلام العربى على اختلافها ؟
أكان يراد منهم مثلا أن يحددوا
إقامة القبائل ، كل فى ديارها
لاتبرحها حتى يَمروا بها قبيلة
قبيلة ، فيستوعبوا كل ما قال
أهلها فردا فردا ، لا يفلت منهم
قائل ولا يند عنهم لفظ ؟ أم المراد
أنهم أكثروا الاعتماد على كلام العرب
ما لم يكثروا مثله على القرآن الكريم ؟

إن يكن ذلك هو المراد فذلك مالم
يكن لهم منه بد ، لأنه الأمر الذى يقضى

به الواقع ، فالقرآن من العربية ،
وليست العربية من القرآن ، هي أكثر
مادة ، وأساليبها أشد تنوعا وتعقيدا ،
لأنه القرآن وكفى ، ولأن للنثر سعته
وسماحته ، وللشعر مآزقه وتشدده .

والمهم أنهم لم يقصروا في الرجوع إلى
القرآن والتعويل عليه مادعت داعية ،
قد فعلوا . فعدة شواهد سيبيويه من
القرآن الكريم ٣٧٣ ، ومن الشعر
والرجز ١٠٦١^(١) ثم هم لم يقصروا في تفسيره
ودراسته على نور من النحو ومسائله ،
فتصدي كثير منهم لإعرابه والاحتجاج
لقراءاته ، حتى القراءات الشاذة .

أما تصورهم « القاعدة قبل استقراء
المادة » فقول مرسل ، لا يصحبه مثال
ولا بينة . وإن يكن من ذلك شيء فلا
نكران له إلا إذا أسفر الاستقراء اللغوي
عن قصور القاعدة بما يجعلها غير مستوعبة
لجمهرة ما تنطبق عليه من النصوص .
فالمعول عليه أن تكون القاعدة صحيحة
وصالحة ، وليكن مأثاها ما يكون .

هذا ، ولم أتبين للكتاب رسالة
يؤمن بها ، ويدعو إليها . على أني رأيت

يكرر القول في التأويل والتقدير ،
ويكثر التنديد بهما . فهل يمكن أن
نفهم أنه يدعو إلى الوصفية في النحو
وينهى عن المعيارية فيه كما يفعل
بعض الباحثين من المعاصرين ؟

فإن تكن تلك رسالته فهل يريد لها
وصفية في القرآن خاصة ، أو فيه وفي
غيره من نصوص العربية ؟ فإن تكن
الأولى فماله سكت عن بقية أبواب
النحو لم يدرسها في القرآن كما صنع
بالأبواب التي ذكرها ؟ وإن تكن الأخرى
فما باله لزم القرآن في دراسته لا يعدوه ؟

وبعد ، فتد مررت بهنوات لغوية
ونحوية في عبارة الكتاب ، لعلها
تسللت إليها على حين غفلة لشيوع
تداولها في لغة العصر ، وهي :

(١) ذكر متعلق الجار والمجرور مع
أنه كون عام في قوله ص ٢١ : « وليس
موجودا فيها » ، ولا يخفى أن حذفه هنا
واجب ، وقد ذكر الكتاب وجوب حذفه
في : ص ٣٤ ، ٤٨

(٢) قلب ياء . افتيات « همزة

في قوله ص ٢٩ : « وذلك لعمري

افتئات » : ولا وجه لهذا القلب ،

فالافتيات مصدر افتات : والمادة اللغوية

للكلمة هي « الفتوت » ، فأصلها :

افتوات ، قلبت الواو ياء لا همزة .

(٣) زيادة الباء في مفعول « قَبِلَ »

في قوله ص ٣٦ : « وأنى لهم أن يقبلوا

به ؟ » ، والمراد أنه بعيد أن يقبلوه .

والفعل بهذا المعنى ينصب مفعوله بنفسه

وإنما يعمل إليه بالباء إذا كان بمعنى كفل
وأضمن ، فيقال حينئذ : قبل به .

(٤) استعمال « بينما » في أثناء

الكلام في قوله ص ٨٢ : « يغلب فيها

شبه الفعل ، بينما الإضافة امتزاج » ،

فبينما في العبارة تتعلق بيغلب قبلها .

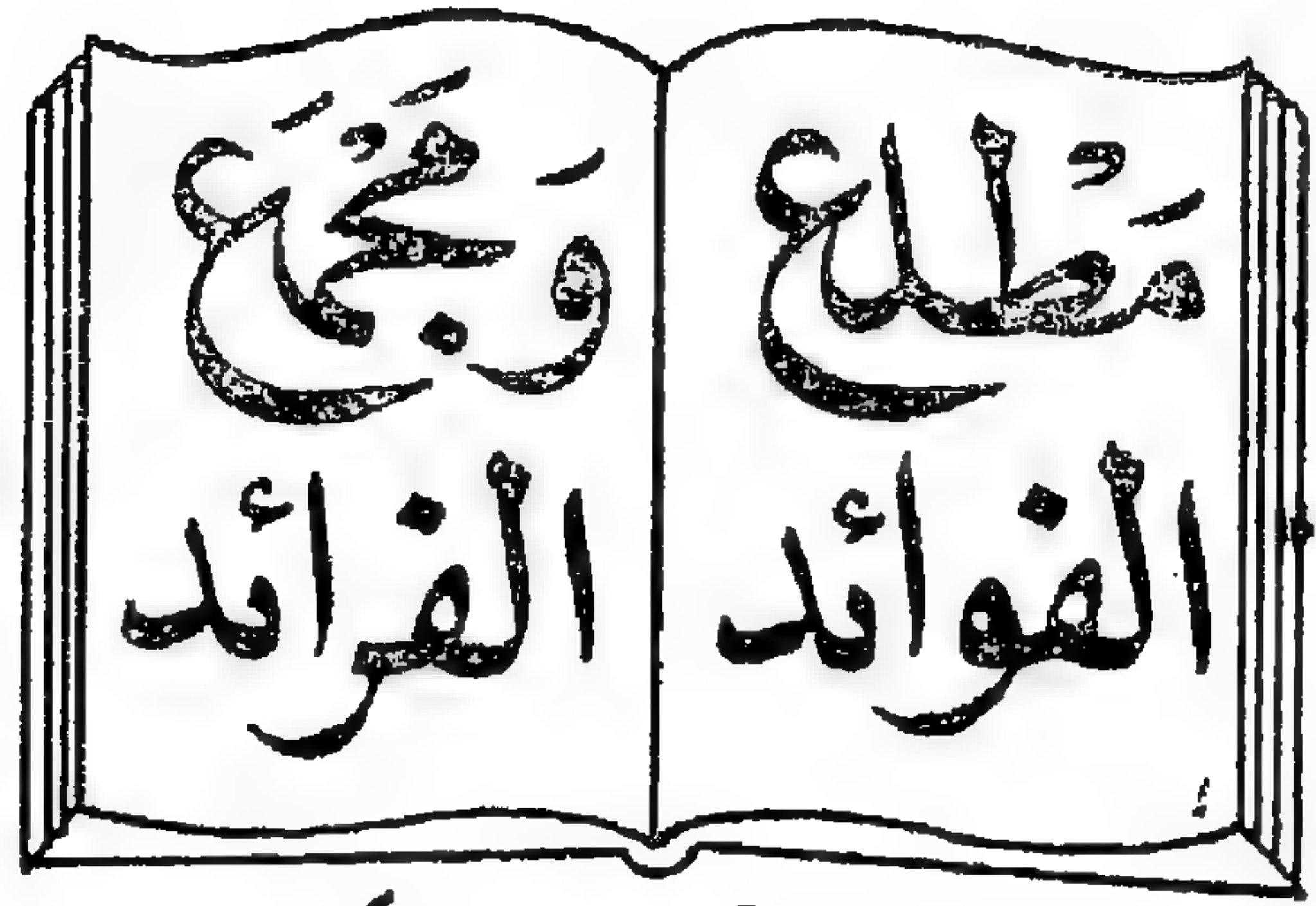
وتذكر كتب اللغة أن « بينما » مماله الابتداء ،

فالها صدر الكلام ، كاشباهها من أسماء

الشرط والاستفهام .

على الجندی ناصف

عضو المجمع



لجمال الدين بن نباتة المصري

تحقيق الدكتور عمر موسى باشا
تصريف ونقد الأستاذ محمد عبد الغني حسن

من أهمية أو مع كونه من أجود كتب ابن
نباتة إن لم يكن أجودها على الإطلاق

وصاحبنا جمال الدين بن نباتة هذا هو
حفيد ابن نباتة الفارقي الخطيب ، وولد
شمس الدين المحدث ، وبهذا النسب النباني
الزاكي افتخر شاعرنا جمال الدين بقوله :
ورثت اللفظ عن سلفي وأكرم
بآل نباتة الغر السراة

فلا عجب للفظي حين يحلو
فهذا القطر من ذاك النبات
ولم تصف الحياة لابن نباتة أول الأمر في
أرض مولده : مصر ، فقد أتى في معاشه
نصيبا ورهقا ، ورزق كثرة من الأولاد
ضاق به رزقهم ، وأصبحت مطالب أفواههم
وبطونهم تقتضيه السعي بلا جدوى ومن هنا بدأنا
نسمع في شعره نغمات الشكوى من مثل قوله :
لقد أصبحت ذا عمر عجيب
أقضى فيه بالأنكاد وقى
من الأولاد خمس حول أم
فواخرياه من خمسين وست

ذكرنا اسم
« ابن نباتة »
خطر على البال

إذا

أسماء أربعة من الأدباء والعلماء اشتهروا
بهذا الاسم سواء أكانوا من أسرة واحدة
أم من أسر مختلفة

وأول هؤلاء : ابن نباتة الفارقي خطيب حلب
والمتوفى بها سنة ٣٧٤ هـ وثانيهم
ابن نباتة السعدي الشاعر الذي اشتهر بصلاته
بسيف الدولة بن حمدان ، واسمه عبد العزيز
ابن نباتة وقد توفي ببغداد سنة ٤٠٥ هـ
وثالثهم : شمس الدين بن نباتة المحدث
والمتوفى بدمشق سنة ٧٥٠ هـ .
ورابعهم : جمال الدين بن نباتة المصري .

الذي شرح الرسالة الهزلية لابن زيدون
الأندلسي ، وقد حققها أنيسرا الأستاذ محمد
أبو الفضل إبراهيم . وهو صاحب كتاب
« مطلع الفوائد » الذي نترجم هنا بالتعاقب
عليه ، وهو ينشر لأول مرة عن نسخ خطية
اعتمدها المحقق . ومن العجيب أن يتأخر
نشر هذا الكتاب إلى زماننا هذا مع ناله

ونلاحظ في هذين البيتين أن النورية الحلوة
لا تفوت شاعرنا حتى في ساعات يأسه ، فقد
ورى في لفظة « ست » بن ست الدالة على
العدد المقابل لخمسة ، وبين ست ،
بمعنى : سيدة ، وقد شاع استعمالها في
الأدب المكتوب أوفى لغة الخطاب منذ زمن بعيد

ولما كان المقام على الضيق والهوان مما
لا يابق بالكرام أفقد أثر ابن نباتة أن يهجر
مصر ويحرب حظه في أرض أخرى فسافر
إلى دمشق سنة ٧١٦ هـ وقد أوفت سنه على
الثلاثين فأقام بها بعض الوقت في رعاية
والده المحدث شمس الدين الذي كان يتولى
تدريس الحديث في دار الحديث النورية
بالعاصمة السورية ، ثم بداله أن يترك دمشق
إلى مدينة حماة حيث كان ملكا عليها الملك
المؤيد أبو الفداء أحد البقية الكريمة من ملوك
بنى أيوب . وكان في الملك المؤيد ميل إلى
الأدباء والشعراء والعلماء ورعاية لهم وعطف
عليهم . وقد سبق ابن نباتة إليه الشعراء
الأديبان صفي الدين الحلي ، والشهاب
محمود الحلبي وغيرهما .

وهنا حظى ابن نباتة بتقدير الملك المؤيد
وحسن رعايته ، حتى كاد ينسى مصر ونيلها ،
فما يفصح عنه قوله :

ألم تر أننا قد سلونا بأرضه
مرادا لنا في أرض مصر ومربعا

إذا ابن تقي الدين جاد نباته

علينا فلا مدت يد النيل أصبعا

وهنا في « حماة » بدل عسر شاعرنا يسرا .
وانجابت عنه الضائقة التي من أجلها هجر
وطنه مصر وأصبح يتقلب في أعطاف النعمة
عند ذلك الملك الأديب الكريم .

وإذا كانت الله تفتح الله كما يقول
المثل العربي أفان أعطيات الملك المؤيد لابن
نباتة قد فتحت لهاته بشعر المديح الجيد يقوله في
هذا الملك المعطاء ، حتى لقد بلغت مدائحه
فيه قدرا من الشعر والقصائد سميت « المؤيديات »
يقول في إحداها :

ملك باهر المكارم يروى
وجه لقياه عن عطاء وبشر
زرت أبوابه فقرب شخصي
ومحا عسرتي ، ونوه ذكرى
ونحا لي من المكارم نحوا
صانني عن لقاء زيد وعمرو
ويقول في أخرى :

يأيها الملك النأي
رد الحقائق شاكره
وسما بهمته على
غمر النجوم الزاهره
حتى انتقى من زهرها

هذي الخال الباهره
سقيا لدهرك إنه
دهر الأيادي الوافرة
ويقول في ثالثة :

يامليكا أحيا الشنا والعطايا
فجلبنا لسوقه الأشعارا
أسأل الله أن يزيدك فضلا
وسموا على الورى وفخارا

صمتني عن أذى الزمان وقدحا
ول حربي واستكبر استكبارا

وانبرى غيثك الهتون مجدوى
علمتني مدايح لا تبارى

ولما مات الملك المؤيد سنة ٧٣٢ هـ طوى
بساط أخضر كان يمشى عليه ابن نباتة في
رحابه ، وإن كان قد اتصل بالملك الأفضل
ابن المؤيد - بعد أن سار إليه مهتبا ومعزيا
بقصيدته المشهورة التي يقول فيها :
هنا محامدا ذاك العزاء المقدما

فما عيس الحزون حتى تبسما

ثغور ابتسام في ثغور مدامع

شبهان لا يمتاز ذو السبق منهما

وهي من القصائد الجيدة التي جمعت

بين مواقف التهتهة والتعزية ، وهو موقف

قد يزل فيه الفحول ، ولا يقوى عليه إلا

القادرون . . .

ولما مات الملك الأفضل سنة ٧٤٢ هـ

انتهت بموته حياة الأسرة الأيوبية في حماة ،

وانقطعت صلاة ابن نباتة بمن يفرج كربته ،

ويصله بالعطاء . وهنا عاد العسر إلى حياة

صاحبنا من جديد ، وترك حماة إلى دمشق ،

وانعزل عن الناس . وهنا ابتلاه الله بفقدان

الولدة ، ويروى الصفدي في كتابه أنه دفن

قريبا من ستة عشر ولدا (كلهم إذا ترعرع

وبلغ خمسا أو ستا أو سبعا يتوفاه الله ، فيجد

لذلك الآلام المبرحة ، ويرثيهم بالأشعار

الرائقة الرقيقة) .

ولم تكفه وظيفة ناظر القيامة بالقدس
الشريف التي قرر لها له صاحب أمين الدين
في موسم كل عام من زيارة النصارى لها :
ولم تسله وظيفة أخرى في ديوان التوقيع
بدمشق ، وكان خلال ذلك الوقت دائم
الشوق والحنين إلى مصر ومعالمها وآثارها
وتيلها وهرمها ، فأطال في ذلك الباب
شعره الذي يقول في بعضه :

ياسارى البرق في آفاق مصر لقد

أذكرتني من زمان النيل ما عنديا

حدث عن البحر أو دمعى ، ولا حرج

وانقل عن النار أو قابى ولا كذبا

واندب على الهرم الغربى لى عمرا

فحينما هرم فارقته وصبا

ويقول في بعضه الآخر :

أها لمصر ، وأين مصر ؟ وكيف لى

بديار مصر مراتعا وملاعبا ؟ !

حيث الشبية ، والحبيبة ، والوفا

فى الأعربين مشاربا وأصحابا

والطرف يركع فى مشاهد أوجه

عقدت بها أطرر الشعور محاربا

والدهر سلم كيفما حاولته

لا مثل دهري فى دمشق محاربا

وفى سنة ٧٦١ هـ كان بمصر السلطان

الناصر حسن بن قلاوون ؛ فبدأ ابن نباتة

يرسل إليه المدايح حتى أمر السلطان باستدعائه

وجعله إلى مصر وأجزل له العطاء ، وجعل له

راتبا معلوما يصرف إليه كل شهر ؛ وإن كان هذا الراتب لم يصل إليه بصورة منتظمة تبعا لأهواء المتصرفين .

وظل كذلك إلى أن توفي سنة ٧٦٨ هـ عن عمر يناهز اثنين وثمانين عاما .

هذا هو ابن نباتة الأديب الشاعر الذي كان يعد أمير الشعر في عصره في القرن الثامن الهجري . وصاحب كتاب « مطلع الفوائد ومجمع الفرائد » الذي أحسن مجمع اللغة العربية في دمشق ينشره بعد أن ظل مطويا في خبار السنين ، بضعة من القرون .

وإذا كانت رسالة ابن زيدون الجدية قد تولى « الصفدى » شرحها والتعليق عليها ، وأسماها « تمام المثنون » فإن ابن نباتة قد تولى شرح الرسالة الهزلية لابن زيدون المسماة « سرح العيون » . وقد كشف هذا الشرح الجميل عن أدب ابن نباتة ، وكثرة معارفه ، واتساع دائرة أخباره الأدبية ، وإحاطته بأشعار العرب وأمثالهم ومحاضراتهم ومسامراتهم ، وإشاراتهم التاريخية التي تشمل عليها تلك الرسالة .

وقد تحمّلنا الرغبة في توضيح المقاصد على الاستطراد إلى ذكر الباعث لابن زيدون على إنشاء تلك الرسالة الهزلية المملوءة هزوا وسخرية . فقد كان كلنا بولادة بنت المستكفي — وهى امرأة من بنات الخلفاء الأمويين بالأندلس فيها ظرف وأدب ولها نوادر ونظم رقيق — وسمع الوزير الأندلسي

« ابن عبدوس » بولادة ، فأرسل إليها امرأة من جهته تستميلها إليه ، وتذكر لها محاسنه ومناقبه ، وترغبها في التفرد بمواصلته ؛ وبلغ ذلك ابن زيدون وهو من هو غراما بها وتلها فيها ، فثار غضبه ، وأنشأ يكتب رسالة جوابا له عن لسانها تتضمن غرائب من سب ابن عبدوس ، والتهكم به ، والسخرية منه ، وجعل الرسالة جوابا له على لسان ولادة ... وأرسلها إليه ، فبلغت منه كل مبلغ ، وذاعت في الآفاق ، وحفظها الناس ، وتنادروا بها ، مما جعل ابن عبدوس يتضاعل ، وتصغر نفسه ، ويمسك عن التعرض لولادة .

ولم يدع ابن نباتة في شرحه لرسالة ابن زيدون مثالا إلا ذكر مضربه ، ولاخبرا إلا فصل القول فيه ، ولا علما من الأعلام إلا ترجم له ، وذكر من أخباره ما لا نجد في كتاب آخر . ومن الأعلام الذين ترجم لهم : الأحنف بن قيس ، وأبو الأسود الدؤلى ، وأكثم بن صيفى ، وأمرؤ القيس ، وبشار بن برد ، وأبو تمام ، والجاحظ ، وحاتم الطائي ، والحجاج بن يوسف ، ودريد بن الصمة ، والزباء ، وزيد الخيل ، وطويس المغنى ، وعبد الحميد الكاتب ، وعبد الله بن معاوية الهاشمي ، وعبد الحميد الكاتب ، وأبو العتاهية ، وعمر بن أبي ربيعة ، وعمر بن هند ، والفرزدق ، ومالك بن أنس إمام دار الهجرة ، ومجنون ليلى ، والمهلب بن أبي صفرة ، والنعمان بن المنذر ، والنظام وغيرهم .

وكتاب «مطلع الفوائد ومجمع الفرائد»
 قسمه مؤلفه ابن نباتة إلى ثلاثة أقسام كبار .
 فالقسم الأول يشتمل على ثلاثة فصول :
 أولها في بعض قضايا من غرائب الحديث
 النبوي ، وثانيها في ذكر غرائب الأساليب
 العربية ، وثالثها في بعض أبيات المعاني المشكلة
 القديمة والمحدثة :

وقد بلغ مجموع أبيات هذه المعاني في
 هذا الفصل اثنين وأربعين بيتا ، موزعة بين
 المدح والوصف والغزل والمرثي والهجاء ،
 والاستعطاف .

والقسم الثاني من الكتاب تناول فيه ابن
 نباتة مبتدعات الشعراء ومخترعاتهم ، بدءا
 من الشاعر مسلم بن الوليد ، وانتهاء بابن
 نباتة نفسه ، الذي رأى أن لا ينسى نفسه وهو
 في موقف الاختيار من مبتدعات الشعراء ،
 وقد بلغ عدد الشعراء الذين اختار لهم روائع ،
 وعثر عندهم على بدائع ، خمسة عشر شاعرا
 هم على الترتيب الزمني : مسلم بن الوليد ،
 أبو نواس ، أبو تمام ، البحتري ، ابن الرومي ،
 ابن المعتز ، المتنبى ، ابن نباتة السعدي ،
 الشريف الرضي ، التهامي ، أبو العلاء المعري ،
 ابن سنان الخفاجي ، ابن قلاقس الأسكندري ،
 ابن سناء الملك ، ابن نباتة المصري .

ولم يرجع ابن نباتة باختياره لمخترعات
 الأشعار إلى ما قبل الشاعر مسلم بن الوليد ،
 ولم يسقط على العصر الجاهلي وصدر الإسلام
 وبني أمية . وهو يرى أن مسلم بن الوليد هو
 (الأول الذي أرق معاني الشعر و الكبير

الذي علم أهل هذه الصناعة السحر : .)
 وقد حصر المؤلف الأبواب التي أجاد
 فيها هؤلاء الشعراء الخمسة عشر في المدح ،
 والوصف ، والنسيب ، والثناء و الأغراض
 المختلفة . ففي باب المديح يأتي بمخترعات كل
 شاعر على حسب ترتيبهم الزمني ، مبتدئا بمسلم
 ابن الوليد ، ومنتهيا بنفسه . وكذلك يفعل في
 بقية فنون الشعر التي اختارها . ومعنى هذا
 أن الشاعر المختار له يتكرر ورود اسمه خمس
 مرات ، في خمسة أبواب من الشعر .

ويذكر لنا ابن نباتة في خطبة كتابه ماالذي
 يعنيه بالاختراع والمعاني المخترعة في الشعر
 فيقول : (وعنيت بالاختراع من ولد معنى
 جليلا وجلاه ، وكلمة واستوفاه ، فصار من
 سواه أحق به ، وأولى بانبثائه ونسبه ، ولم
 أذكر من أين خطفه وقطفه ، لأن ذلك مما
 يقتضي ملل الفكر الطامع ، ويوقع فيما
 عتبه من اختلاط السانح بالبارح . وأغنيت
 به عن تفتيش الكتب المسهبة ، والأسفار
 المنصبة ، والدواوين ومناقشة حسابها ،
 والمؤلفات والوقوف على أبوابها) .

والقسم الثالث من الكتاب يتناول معاني
 الكتاب المتبعة . وقد حصر عدد الكتاب
 المختار لهم في ثمانية أولهم بديع الزمان الهمداني ،
 وآخرهم ابن نباتة نفسه . وقد رأى المؤلف في
 هذا القسم المنشور أن لا ينسى نفسه ، فاختار
 لشخصه فيما اختار من مخترعات المنشور ،
 ورأى أن يسلك نفسه في عقد ثمانية من الكتاب
 اعتقد أن كتاباتهم تمثل نماذج رائعة في فن

الكتابة العربية : وهؤلاء الكتاب هم : بديع الزمان الهمداني ، وأبو القاسم الحسين بن علي المعروف بالمغربي ، وأبو الحسن بن بسام ، والقاضي الفاضل ، وهبة الله بن سناء الملك ، وضياء الدين بن الأثير الجزري ، ومحيي الدين بن عبد الظاهر ، والمؤلف جمال الدين ابن نباتة المصري .

وكان ابن نباتة كثير الإعجاب بالقاضي الفاضل وطريقته في الكتابة ، فجعله معلما من معالم الطريق ، وذكر بدائع المتقدمين عليه ، والمتأخرين عن زمانه .

وإذا كان ابن نباتة في باب مخترعات الشعر اعجزى بالبيت الواحد أو البيتين أو بضعة الأبيات عن أيراد القصيدة كلها للشاعر المختار له فإنه في باب مخترعات الكتاب اعجزى بالعبارة الواحدة عن أيراد الرسالة كلها ، لأنه يصدد الوقوع على معان مفردة مخترعة لا بصدد التسجيل لآثار نثرية كاماة . وقد يكون هذا جائزا ومقبولا في الشعر ، لأن البيت أو البيتين أو حتى بضعة الأبيات قد تكون وحدة قائمة بذاتها ، على أن السطر أو السطرين من الرسالة النثرية قد تبتر أوصالها فلا يعرف القارئ أين هو منها .

ويبدو في الكتاب استقلال المؤلف بشخصه وظهور شخصيته في الآراء . فهو ليس مجرد ناقل ، ولكنه ينخل الآراء ويعاق عليها ويبدى رأيه فيها ، كأن يقول : (وهذا أقرب الأقوال إلى الحقيقة) أو يقول : (وهذا معنى بعيد . وما

أعتقد أنه أراد بالماءين غير عيني الناقة ، وأنه أغارهما من الكلال وجهد السير ، وهذا القول كثير في أشعارهم) ، أو يقول : (وهذا قول ساقط لا يخفى على من عنده أدنى فهم بالمعاني ، فإن المراد بالأسود العرب ، والحسن لهم ، وأقبح ما يكون القبح في البيض ، أو يقول : (وهذا نقل غريب لم أجده في أكثر الكتب في اللغة ، فإن صح ، فيكون هذا الوجه أقرب الوجوه ، على أن قول أبي عبيدة أمكنها .) .

وإذا كان ابن نباتة في شرحه لرسالة ابن زيدون الهزلية قد وقف عند كثير من الأشارات الأدبية والتاريخية فجلاها ، وفصل الكلام فيها ، فإنه كان كذلك في كتاب « مطلع الفوائد ومجمع الفرائد » أنه يستطرد وينتقل من غرض إلى غرض ، ويجره الحديث عن شيء إلى الحديث عن شيء آخر ، فانه في خلال حديثه عن العرفج - وهو النبات الذي تسرع النار فيه إذا أوقد - استطرد إلى ذكر نيران العرب ، فقال : (وعلى ذكر النار فأنا أجري شيئا من ذكر نيران العرب لا تخلو معرفتها من فائدة ، كانت لهم من النيران :

نار الخلف ، وهي النار التي كانوا لا يعتمدون حلفهم إلا عندها ، ويذكرون منافعها ويدعون الله بالحرمان من منافعها على من نقض العهد . وربما دنوا منها حتى تكاد تحرقهم ، يهلون بذلك على من يخاف غدره .

ونار الحرب ، كانوا يوقدون بها إذا أرادوا حربا وتوقعوا جيشا ، ليبلغ الخبر أصحابهم

وإذا كان الاختيار من الشعر أو النثر يدل على ذوق خاص عند الشخص المختار، فإن الاختيارات تبعا لهذا تتغير من شخص إلى آخر، ولا ينتظر أن نلقى عند أبي تمام مثلاً في مختاراته ما نلقاه عند البحري، أو عند صاحب الحماسة البصرية، أو عند محمود سامي البارودي في مختاراته، أو عند الشاعر جميل صدقي الزهاوي فيما اختاره من عيون الشعرة: إن الأذواق تتفاوت. وقد تكون أبيات تشترك هنا وهناك عند واحد من أصحاب المختارات الشعرية: ولكن الغالب أن يستعمل كل صاحب اختيار بذوق خاص، وطعم خاص: ومن هنا نجد فيما اختاره ابن نباتة من مخترعات الشعراء ومبتكراتهم ما لا نجده عند غيره من أصحاب الاختيار: وقد وقع في الحق عند من اختارهم على معان جياذ لا ترى أن نزحم المكان هنا بإيراد بعضها، ولكننا يجب أن نشير إلى أنه قد أمدنا بأشعار

ويظهر أن ديوان ابن الرومي لم يصل إلينا كاملاً وأن هناك نسخة خطية منه تزيد على ما في أيدينا من النسخ بألف بيت: ويؤكد هذه الحقيقة ما ذكره ابن خلكان وهو يتحدث عن ابن الرومي وعن ديوانه قائلاً : (وجمعه أبو الطيب وراق ابن عبدوس من جميع الشيخ ، وزاد على

كل نسخة ما هو على الحروف وغيرها
نحو ألف بيت)

وكذلك الشأن في الأبيات النونية التي
رواها ابن نباتة لابن الرومي في مدح
إسماعيل بن بلبل المعروف بأبي الصقر ،
وهي :

قالوا: أبو الصقر من شيبان قلت لهم
كلا لعمري ولكن منه شيبان
وكم أب قد علا بابن ذرا شرف
كما علت برسول الله عدنان
ولم وأقصر بشيبان التي بلغت

بها المبالغ أعراق وأغصان
صانوا النفوس عن الفحشاء وابتذلوا
منهن في سبل العلياء ما صانوا
المنعمون ، وما منوا على أحد

يوما بنعمي ، ولو منوا لما منوا
فقد علق المحقق الفاضل على هذه الأبيات
بأنه لم يعثر عليها في ديوان ابن الرومي .
وهذا حق : ولكن الأبيات من القصيدة
النونية التي تبلغ عدتها مائتي بيت . وقد أورد
الحصري القيرواني في « زهر الآداب »
هذه الأبيات الضائعة صفحة ٢٧٢ ، كما
أوردها البارودي في مختاراته . وليس ابن
الرومي هو الشاعر الوحيد الذي لم تدخل بعض
أشعاره في ديوانه ، فهناك الشاعر المتنبي
الذي يصرح ابن نباتة في « سرح العيون
في شرح رسالة ابن زيدون » بأن له
أشعارا لم تدخل في ديوانه . وقد
استكمل الأستاذ العلامة عبد العزيز
الميمني الراجكوتي هذه الأشعار الضائعة

في كتاب « زيادات ديوان المتنبي »
المطبوع في المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٦ هـ

وإذا كان ابن نباتة قد قصد من كتابه
« مطلع الفوائد ومجمع الفرائد » أن يتقرب به
إلى الملك المؤيد صاحب حماة وأن ينال
به الحظوة عنده والقربى لديه حينما وجه
قصده إليه بعد هجرته من مصر ، فإنه
من ناحية أخرى أراد أن يجمع في كتابه
هذا طرائف المعاني وأبكارها عند بضعة
عشر شاعرا رأى أنهم أحق بالأخذ منهم ،
والنقل عنهم ، وأن يجمع فيه أيضا طائفة
من مبتكرات المعاني في أقوال البغاء من
الكتاب ، ليجمع في هذا بين الجيد من قطاف
الشعر والنثر . وقدعه هنا يعبر بنص عبارته
المسجوعة عن هذا القصد بقوله : (وحيث
كانت غاية هذا الفن المشهورة وآيته الماثورة
النظر في دقائق المعاني التي هي الأرواح
وغيرها الجسوم ، والسكان وما سواها
الرسوم ، والاطلاع على أقوال العلماء
في البحث عن فنونها الغامضة ، ومبتدعات
الشعراء والكتاب التي هي للأفكار جد
رائضة ، ليكون ذلك عوناً للمبتدئ على
تلقيح ذهنه ، وللمنتهي على تجديد العهد
الصالح بفنه ، جعلت هذا الكتاب موضوعا
على ذكر ماتناهت أفكار العلماء في تنقيحه ،
وأذهان الشعراء والكتاب في ترشيحه وترجيحه ،
من المعاني الدقيقة أثرا ، الجليلة خطرا . . .)

وإذا كان لنا من كلمة في طريقة اختيار
ابن نباتة في هذا الكتاب ، فإنه في الحق

على الرغم من ذوقه البالغ وحسه المرهف
في الاختيار - قد ضيق على نفسه الباب
من ناحيتين : الأولى حيث حصر نفسه
في نطاق خمسة عشر شاعرا ، وثمانية كتاب
لا يتعداهم إلى غيرهم : وبهذا قيد نفسه
بقيد لا يستطيع الفكك منه ولا الخروج عنه :
والثانية أنه قيد نفسه في أبواب الشعر ومعانيه
بخمسة هي المدح والوصف والنسيب والثناء
والأغراض المختلفة ، وهذا ضيق لديه مجال
الاختيار ، ولم يتسع كما اتسع مثلا لدى أبي
هلال العسكري في كتابه «ديوان المعاني»
الذي يعد رائدا في هذا الباب :

وبعد : فائق وفق مجمع اللغة العربية
بدمشق في جعل هذا الكتاب من سلسلة
مطبوعاته الثمينة التي يصدرها والتي يثرى
بها المكتبة العربية بما تحمله دائماً من حسن الاختيار
ودقة التحقيق ، وجمال الإخراج : ولا شك
أن «مطلع الفوائد» ومجمع الفرائد»
كان من الاختيارات الحسنة للكتب المخطوطة
التي يرى نشرها . وقد كان حريا بالنشر
من زمن بعيد . ولاندرى ما الذي عوق
نشره إلى وقتنا هذا ، ولولا أن اجتمع له
عزم المحقق ، وإرادة المجمع ما ظفرنا به
في هذه الحلة الأنيقة الرقيقة .

والحق أن جهد المحقق الفاضل هنا وفي
هذا الكتاب واضح ، ويستحق عليه الشكر
ويستوجب التهئة ، لولا بعض مسائل نود
أن نناقشه فيها ليتجلى وجه الصواب :

* في صفحة ٢٩٦ ورد البيت الآتي للشاعر
عبد الله بن المعتز في باب النسيب ، هكذا
كيف لا يخضر شاربه

ومياه الحسن تشقيه
ولا محل للشقاء هنا ولا معنى له ، وإنما
هو : (تسقيه) بالسين المهملة غير المعجمة ،
وهذا بالطبع من أخطاء الطبع . وقد كان
في النية أن لا أذكره ، لولا أن المحقق لم
يصححه في فهرس التصويبات والمستدركات
بآخر الكتاب ، مما يوهم أنه ليس خطأ
مطبوعيا ، وأنه ما ند عن المحقق .

* وفي صفحة ٢٤٥ ، ورد البيت الآتي
من شعر ابن المعتز في وصف الديك مضبوطا
بشكل على هذه الصورة :

وقام أعلى الجدار مشرف
كمثل طرف علاه أسوار

بفتح الطاء من كلمة « طرف » ، وهو
خطأ صوابه : طرف بكسر الطاء ،
والطرف هو الجواد أو الفرس ، والأسوار
هو الفارس الذي يركب الحصان :
* وفي صفحة ٢٢٣ ، جاء البيتان الآتيان
من شعر ابن نباتة في المديح هكذا :

الله جارك مأبر أنا ملا
تملى بدائع وصفها فتقول

لو أثر التقبيل في يد ماجد
لحا براجم كفك التقبيل
كأن كلمة « براجم » مكونة من حرف
الجر : الباء ، ومن اسم الفاعل : راجم ،

بدليل كسر الميم من لفظة براجم ، كأنه مجرور بالباء . وليس هذا بالذى يريدہ الشاعر ، وإنما يقصد الشاعر بالبراجم أنها جمع « برجمة » وهى مفصل الأصبع من اليد . ومعنى البيت كله على هذا أنه لو كان التقيل يؤثر فى يد ماجد لبلغ من كثرة مقبلى يدك أن التقيل الكثير يمحو براجم الأصابع : والمراد هنا براجم الأصابع لا الراجم ...

• وفى صفحة ١٨٥ ، ورد البيت الآتى من شعر ابن الرومى فى المديح مضبوطا بالشكل هكذا :

أزمانه بنداہ الغمر أشية
وإن غدت بجناء الحلو أصيافا
بضم الراء من لفظة « الغمر » والواو من لفظة « الحلو » ولا وجه لرفع الكلمتين ، وأما هما مجروران لأن كلا منهما نعت لما قبلها ، فالغمر نعت لنداہ وهى مجرورة بالباء والحلو نعت لجناء وهى مجرورة بالباء أيضا . وصواب البيت أن يضبط هكذا
أزمانه بنداہ الغمر أشية

وإن غدت بجناء الحلو أصيافا
• وفى صفحة ٢٢٧ ، ورد البيت الآتى من شعر ابن نباتة فى المديح هكذا :

يفوح فى الطرس من أمداحهم أرج
كأنا النفس فى طرس دخان كبا
ولا معنى لإضافة دخان إلى طرس ، فليس هناك (طرس دخان) حتى يضاف أحدهما إلى صاحبه . والصواب أن يضبط

البيت بالشكل هكذا :

يفوح فى الطرس من أمداحهم أرج

كأنا النفس فى طرس دخان كبا
أى كأن النفس — أو المداد — فى الطرس هو دخان غود الكباء : وقد قصر الشاعر لفظة كباء بدلا من مدها . وعلى هذا تكون لفظة : دخان ، مرفوعة لأنها خبر كأننا ، وليست مضافه إلى طرس .

• وفى صفحة ٢٨٦ أورد البيت الآتى من شعر أبى نواس هكذا :

كل اللباس عليها منظر حسن
وكلما تتغنى فهو مقترح
بوصل « ما » فى « كل » فى الشطر الثانى ، والصواب وكل ما تتغنى فهو مقترح
أى كل الذى تتغنى به فهو مقترح . فما هنا اسم موصول معنى الذى :

وفى صفحة ٣٣٠ ، ورد البيت الآتى لأبى تمام فى الرثاء على هذه الصورة :

ألم تريا الأيام كيف فجعتنا
به ، ثم قد شاركنا فى المآثم

يلحاق تاء التأنيث بالفعل : شاركنا ، والصواب أتهانون النسوة العائدة على الأيام ، كنون النسوة فى الفعل الذى قبله : فجعتنا .

• وفى صفحة ٢٩٠ ، ضبطت كلمة « يمنع » فى البيت الآتى بالضم هكذا :

ألمت بنا بعد الهدوء فساحت
بوصل متى تطلبه فى الجدد يمنع

والصواب ضبطها بالكسر ، لأن القافية
كلها مكسورة ، بدليل البيت الذى بعده
وهو :

وولت كأن الليل يخرج شخصها
أوان تولت من حشاي وأضلعي

« وفى صفحة ٤١٤ ، وردت هذه العبارة
من نثر القاضى الفاضل هكذا :

(فدعونا من بعلبك الأعسر ، وشتائه
العذاب الأكبر) : وهنا مأخذان : الأول
لفظة فدعونا كأنها فعل ماض ، والصواب
أنها فدعونا ، هي فعل أمر ، أى اتركونا

واتركوا ذكر بعلبك : والمأخذ الثانى هو
ضبط كلمة العذاب بالفتح ، والصواب
كسرها لأنها صفة لكلمة شتاء وهي مجرورة
بـن .

وبعد : فهذا هو كتاب «مطلع الفوائد»
ومجمع الفرائد» للشاعر المصرى جمال الدين
ابن نباتة، عرضناه وعرضنا طرفا من سيرته
مؤلفه، كما عرضنا جهده المحقق الفاضل فيه .
وهو جهد نرجو أن يبلغ التمام فى المستقبل من
الكتب :

وبالله التوفيق

محمد عبد الغنى حسن





● كلمة الأستاذ زكي المهندس نائب الرئيس

في حفل استقبال الأعضاء الأربعة الجدد
الذي أقيم بدار المجمع بالجيزة صباح الأربعاء
١٧ من أبريل ١٩٧٤

وكفاية : سيبدلون كل هذا في تحقيق رسالة
المجمع ، ولأنهم لفاعلون إن شاء الله :

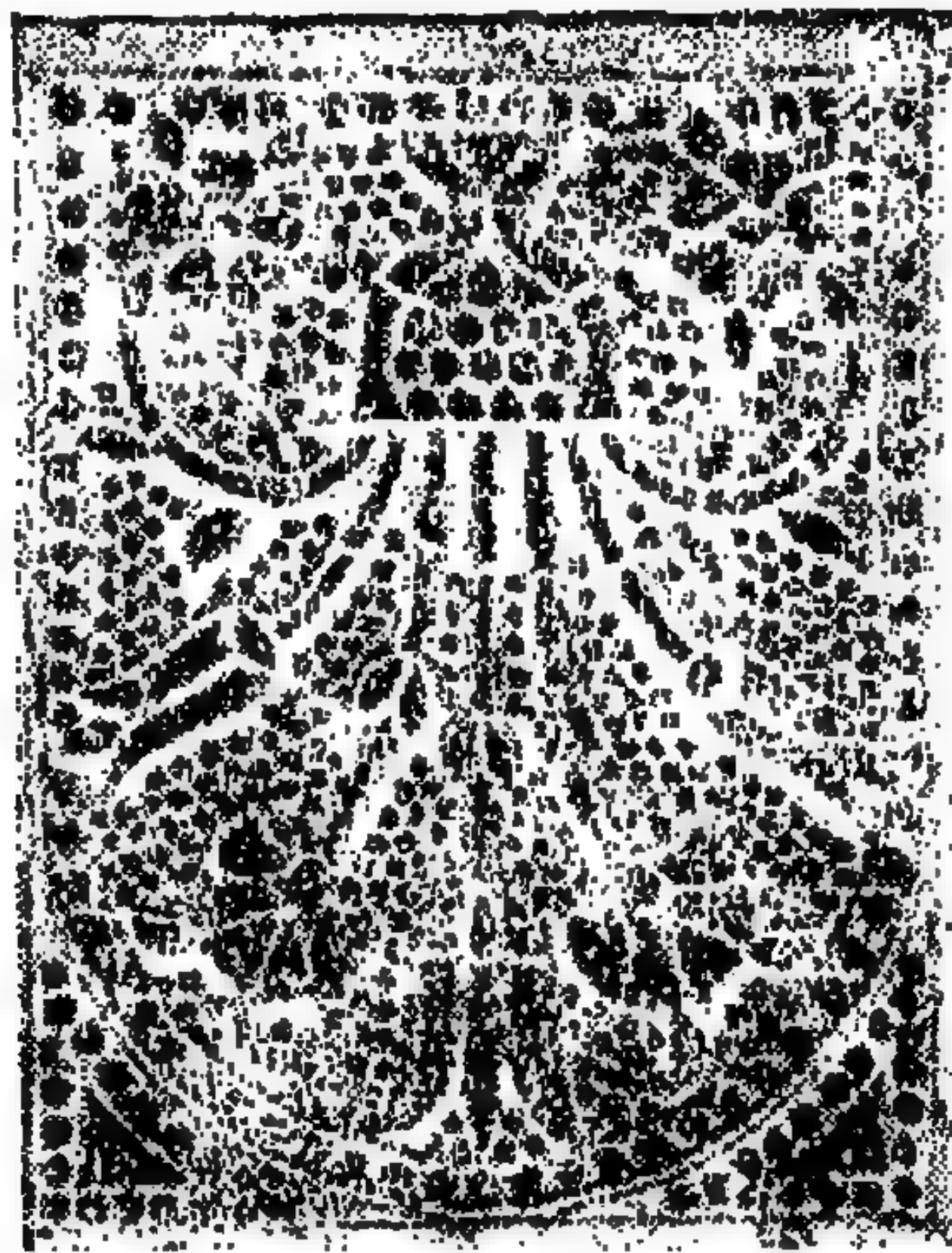
أما الآن أيها السيدات والسادة فسيتولى
استقبال الزملاء الأربعة ، الزميل الدكتور
محمد مهدي علام ، وقد كان من المقرر
أن يستقبل هؤلاء الزملاء الزميل الأستاذ
الحليل عبد الحميد حسن ، ولكنه اعتذر
لوعكة أصابته ، فباسم المجمع وباسمكم
جميعا نرسل له أخلص تحياتنا ، وأطيب
أمانينا له بالشفاء العاجل .

وليتفضل الدكتور محمد مهدي علام
مشكورا بإلقاء كلمة الاستقبال ، وسيحدثكم
بعده كل من الزملاء الأربعة بكلمة يتحدث
فيها عن سلفه .

زملائي ، سيداتي ، وسادتي :

إنه ليسر المجمع كل السرور أن يستقبل
اليوم أربعة من أعضائه العاملين الجدد ،
وهم الأساتذة : الأستاذ علي النجدي ناصف
والأستاذ محمد شوقي أمين ، والدكتور
أحمد عز الدين عبد الله ، والدكتور عثمان
أمين :

وقد اختارهم المجمع لعلمهم وكفائتهم
وإنتاجهم ، وقد كان المجمع ولا يزال
وسيطلا دائما مثابة للكفاءات العالية ،
وملتقى للثقافات الممتازة ، والمجمع إذ ينهئ
الزملاء الأربعة بما نالوا من ثقة وتقدير ،
ليثق كل الثقة بأنهم سيبدلون كل جهودهم
وكل طاقاتهم ، بما آتاهم الله من علم



• • كلمة الأستاذ عبد الحميد حسن في استقبال الأعضاء الأربعة

(ألقاها الدكتور محمد مهدي علام عضو المجمع)

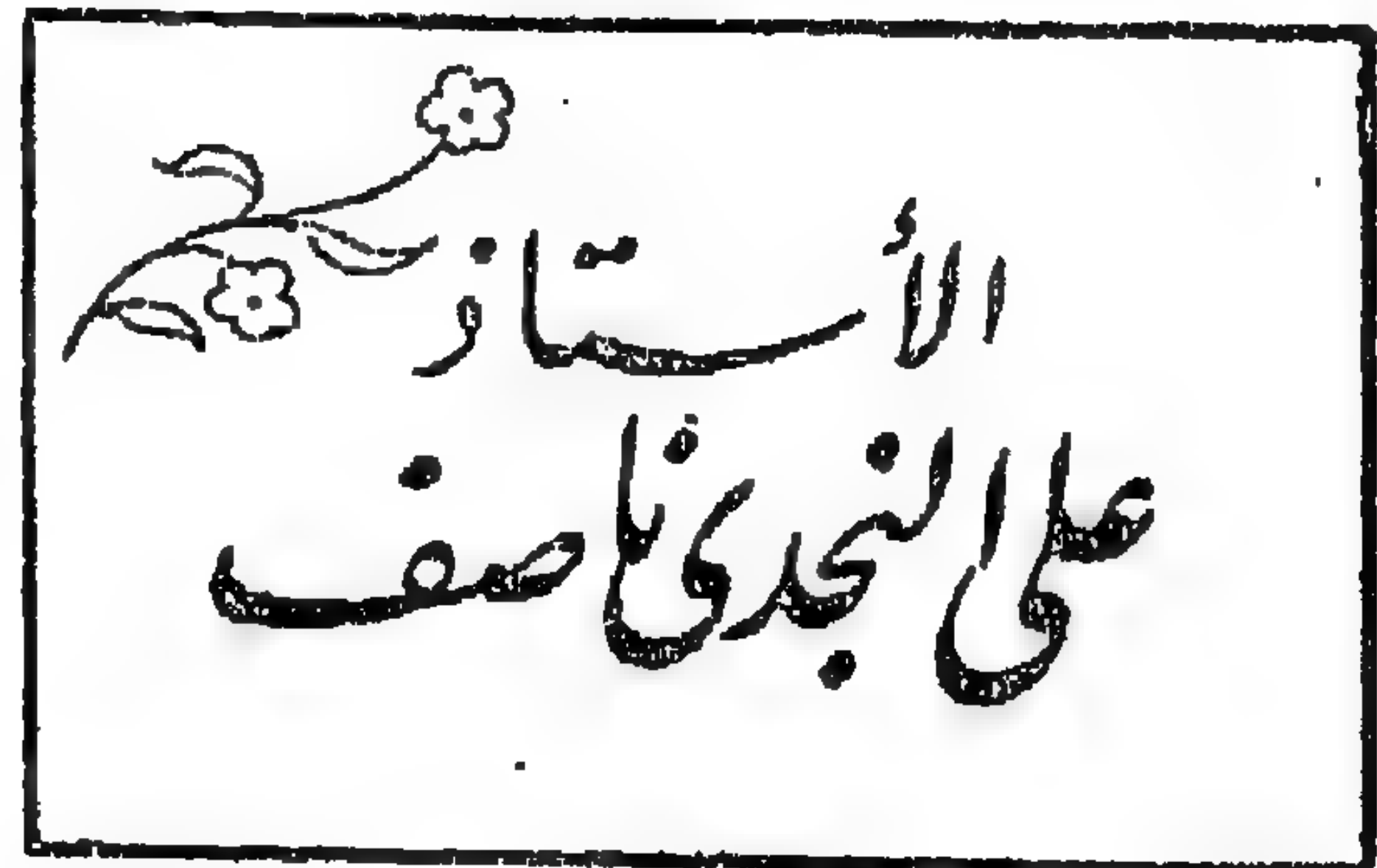
سنة ١٩٤٣ م ، ثم رقي أستاذا مساعدا
ثم أستاذا للنحو والصرف والعروض وفي أثناء
ذلك اختير وكيلا لكلية دار العلوم ، وحين
بلغ السن القانونية عين أستاذا غير متفرغ
بالكلية ، ولا يزال كذلك إلى الآن .

وأول لقاء بالزميل الكريم كان في
إحدى مدارس المعلمين الأولية ، وكانت
هذه المدارس معقد الآمال وموطن الرجاء
لتخريج المعلمين الذين يتولون إعداد الجيل
الراشد العامل في ميادين النشاط الحيوي
وكان عددها خمسا وعشرين مدرسة ،
منتشرة في أنحاء القطر المصري من أسوان
إلى شواطئ البحر المتوسط وكان من حظي
أول عهدي بالتفتيش ، أو التوجيه كما
يسمى الآن ، زيارة هذه المدارس جميعا ،
وكان القائمون على أمر التعليم الأوفى يختارون
لها الأفذاذ من معلمى اللغة العربية وغيرها
من المواد .

وفي مدرسة دسوق للمعلمين حظيت
بزيارة الأستاذ على النجدى وكان يلقي
درسا يعد من أدق الدروس وأدناها على
مقدرة العلم ومهارته في مادته وطريقته
وهو درس التعبير أو الإنشاء الشفهي ،

• سيدى الرئيس : باسم المجمع وعن
لسان الأستاذ عبد الحميد حسن ، أتشرف
باستقبال زملاء الأربعة : الأساتذة :
على النجدى ناصف ، ومحمد شوقي أمين ،
وأحمد عز الدين عبد الله ، وعثمان أمين ،
وأرحب بهم بيننا في هذا المجمع الموقر :
• سيدى الرئيس : سادتي أعضاء المجمع ،
سيداتي ، سادتي

يسعدنى أن أنوب عن المجمع في استقبال
الأعضاء الأربعة الذين حظى بهم هذا
المجمع في الانتخابات الأخيرة وهم
جميعا ممن يستحقون الإكبار والإعظام
لما لهم من مكانة مرموقة وآثار لها جليل
النشأ :



تخرج في دار العلوم سنة ١٩٢١ م واشتغل
بالتدريس ثم بالتفتيش في وزارة المعارف ،
ثم اختير مدرسا في دار العلوم .

وكان موضوع الدرس من مشاهدات البيئة المحلية، وهو «دسوق يوم السوق» . وكان في أدائه وإلقائه وحواره نموذجاً للمعلم القدير والمربي الماهر الذي يتخذ من درسه وما يعالج من حقائق وسيلة لبناء العقول وإنشاء الانفس ، وكان بذلك محققاً لقول شاعرنا شوقي :

أرأيت أعظم أو أجل من الذي
يبنى وينشئ أنفساً وعقولا
رأيت كل هذا من الزميل الكريم فامتلاً
قلبي وسمعي وبصري إجلالاً له وتقديراً .
ثم مرت الأيام وإذا به يصل إلى الذروة التي كانت مطمح أنظار معلمى اللغة العربية وهي «دار العلوم» ذلك المعهد الذى كانت تحيا فيه اللغة العربية بفروعها الأدبية واللغوية وما يتصل بذلك من ألوان الثقافة الإسلامية . وقد سار الأستاذ النجدي في دار العلوم يصحبه التوفيق حتى وصل إلى درجة الأستاذية ، ولم تنحسر عنه هذه الصفة حتى بعد بلوغ سن التقاعد فهو مازال أستاذاً غير متفرغ يقوم برسالته على أكمل الوجوه وأتمها .

وكان في جميع أدوار حياته مثالا للجد والنشاط عاكفا على الدرس والبحث ، ومن آثاره الأدبية واللغوية كتب مؤلفة وأخرى محققة وطائفة من المقالات والبحوث (الكتب المؤلفة)

١ - سيوية إمام النحاة : ويتضمن مقدمة في تطور النحو تم دراسة تحليلية ونقدية لكتابه العظيم .

٢ - من قضايا اللغة والنحو : دراسة لحوانب ومشكلات ذات بال ، مثل قوالب التعبير ، والإعراب وعلاقته بالمعنى ، والتأويل والتقدير في اللغة ، والفصحى والعامية .

٣ - أبو الأسود الدؤلى : وصف لعصره ولحياته ، وبيان لآثاره العلمية والأدبية ، وعرض لأولية النحو بالمناقشة والتحليل .
٤ - الدين والأخلاق في شعر شوقي دراسة مستفيضة قوامها العرض والتحليل والموازنة والنقد .

٥ - دراسة في حماسة أبي تمام : تستهل بمقدمة مسهبة عن الاختيار في الشعر وتطوره مع دراسة نماذج من الحماسيات تقوم على التحليل والموازنة والنقد .
٦ - ابن قيس الرقيات شاعر السياسة والغزل :

ترجمة ودراسة لفنون شعره :
(الكتب المحققة) .

١ - الجزء العشرون من كتاب الأغاني
٢ - الجزء الثالث من لسان العرب
٣ - الحجة في القراءات السبع للفارسي
٤ - مراجعة تحقيق الجزء الثالث من معاني القرآن للقراء
(المقالات والبحوث) :

وتبلغ نحو خمسين مقالا وبحثا في اللغة والأدب والنقد ، نشرت في مجلة مجمع اللغة العربية وفي مجلات وصحف أخرى . هذا هو الزميل الحبيب الأستاذ على النجدي ناصف نرحب به في مجمعنا الموقر .

الأستاذ محمد شوقي أمين

إن الحديث عن الزميل الكريم محمد شوقي أمين وعن ثقافته وعن معلوماته الشاملة الوافية ، حديث طريف ، متع . فشعاره الذى كان يسعى إلى تحقيقه فى جميع أدوار حياته هو « أن الحكمة ضالة الباحث يلتقطها أنى وجدها » ، وقد عكف على التحصيل بطرق إليه كل باب ، ويتتبع كل مورد عذب فينهل منه ما يروى ظمأه واستمر ينقب ويبحث ويختزن فى ذاكرته اللامعة وذهنه الحضب وقرينته الوقادة حتى صار بحراً تتلاطم أمواجه ويحتفظ فى قعره المكين بدرر من طرائف اللغة والأدب وشوارد الحقائق ، التى تتطلب بحثاً عميقاً وتوفراً على الاطلاع .

وقد التحق السيد شوقي أمين فى مبدأ حياته بالقسم الابتدائى بالأزهر ثم انتقل إلى القسم الثانوى به وكان هذا القسم قد بدأ يسير على النظام الحديث وأدخل فى منهجه العلوم الحديثة مثل الحساب والجبر والهندسة والرسم والطبيعة وغير ذلك من العلوم التى كانت تدرس فى المدارس التابعة لوزارة المعارف . ولكن شوقي أمين كان الميل الذى يتغلغل فى نفسه ويملك عليه حواسه ومشاعره هو دراسة الأدب واللغة فانصرف

عن متابعة دروس القسم الثانوى بالأزهر وتابع الخطا للتوفر على ما يميل إليه فكان يذهب إلى دار الكتب المصرية يستعير منها أمهات الكتب ويعكف على دراستها ، وبذلك صقل فكره وأرهم قلمه وبدأ يكتب فى الصحف اليومية فنشرت له صحيفة الأهرام سنة ١٩٣٢ قبل إنشاء مجمع اللغة العربية مقالات متوالية فى التوطئة لإنشاء المجمع ، منها منها مقالات بعنوان « المجمع اللغوى لماذا يراد » وعنوان « المجمع اللغوى كيف يراد » ومنها مقالات « اللغويون قديماً وحديثاً » . ونشرت له المحلات والصحف - كالمجلة والثقافة والأهرام والبلاغ وكوكب الشرق - عشرات المقالات فى اللغة والأدب والنقد وخصصت له مجلة الهلال باباً شهرياً حرره خلال السنوات العشر من سنة ١٩٥٢ إلى سنة ١٩٦١ اشتمل على توجيهات لغوية ونظرات نقدية وتصويبات للألفاظ والتراكيب . واشترك أيضاً فى تحقيق مخطوطة من ديوان «بشار بن برد» خرجت فى ثلاثة أجزاء وبعدها فى جزء رابع فى مستدرك شعر بشار . هذه الإمامة عن نشأته قبل أن ينضم إلى مجمع اللغة العربية .

أما نشاطه فى مجمع اللغة العربية فقد كان حافلاً بالإنتاج الغزير ولا يزال كذلك إلى الآن .

وفى خلال عمله بالمجمع قامت فى سبيله عقبة إزاء وضعه فى المرتب الذى يمنحه

والدرجة المالية التي توائم ثقافته وتحصيله ذلك أن القوانين المالية كانت تشترط للتعيين في أولى الدرجات المالية ثم متابعة الترقى أن يكون الموظف حاصلًا على الشهادات الرسمية لكي يتسنى له التمتع بالرقى المالى المتتابع، وعلاجًا لهذا الوضع كتب رئيس مجلس الوزراء إذ ذاك مذكرة عرضها على مجلس الوزراء في هذا الشأن سنة ١٩٤٦ جاء فيها «إنه على جانب كبير من الثقافة الأدبية واللغوية وله من سعة الاطلاع ما يقوم مقام الشهادات العلمية وقد استطاع أن يقوم بأعمال فنية بكفاية وإخلاص وجدارة وامتياز».

ولهذه المذكرة قصة طريفة وقد سمعتها من الأستاذ شوقي يرويها من ذاكرته الجيدة الواعية اللامعة، وهي تنطوي على اهتمام ولاية الأمور المختصين من الوزراء وكبار شيوخ الأزهر وأعضاء هذا المجمع بالزميل شوقي أمين وبإعطائه ما يستحقه.

وللزميل شوقي إلى جانب ذلك نشاط آخر في جهات ثلاث وهي :

مجمع اللغة العربية ، ولجنة الدراسات الأدبية بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، ولجنة نشر المؤلفات التيمورية .

١ - أما نشاطه في المجمع فيتمجلى في ناحيتين : الأولى : لجنة الأصول ، ومهمتها ، كما جاء في قانون المجمع ، هي «النظر في قواعد اللغة وضوابطها لتوسيع أقيستها وتيسير نحوها

وصرفها وإملائها ، ودراسة ما ينبغي استعماله أو تجنبه من ألفاظها وتراكيبها» : وللزميل شوقي في هذه اللجنة نشاط شامل في جميع ما أصدرته من آراء : وقد كتب مذكرات كثيرة في مختلف المسائل اللغوية تشهد له بعمق البحث وسعة الاطلاع وهي مدونة في محاضر هذه اللجنة :

والثانية : اشتراكه مع الزميل الكريم والعالم الحليل والباحث المدقق الأستاذ محمد خلف الله أحمد عضو المجمع في إعداد الكتابين اللذين أصدرهما المجمع محتويين على القرارات الجمعية من دورته الأولى حتى الدورة الرابعة والثلاثين بعنوان (مجموعة القرارات العلمية) وبالعنوان (في أصول اللغة) وهما سجلان في المنزلة الأولى دقة وعرضا .

٢ - لجنة الدراسات الادبية وقد أختير الزميل شوقي عضوا فيها واشترك في العمل العظيم الذي وضعت اللجنة خطة لإصداره وهو (سجل الأدباء) الذي يحوى تعريفًا بالأدباء والمفكرين في القرن العشرين بمصر.

ولقد كان الزميل شوقي بذاكرته القوية عونًا في إبداء الرأى في معظم الأدباء الذين تعرضت اللجنة أسماءهم فيذكر المعلومات الدقيقة الوافية التي تدل على اطلاعه الشامل على أدباء الجيل الحديث .

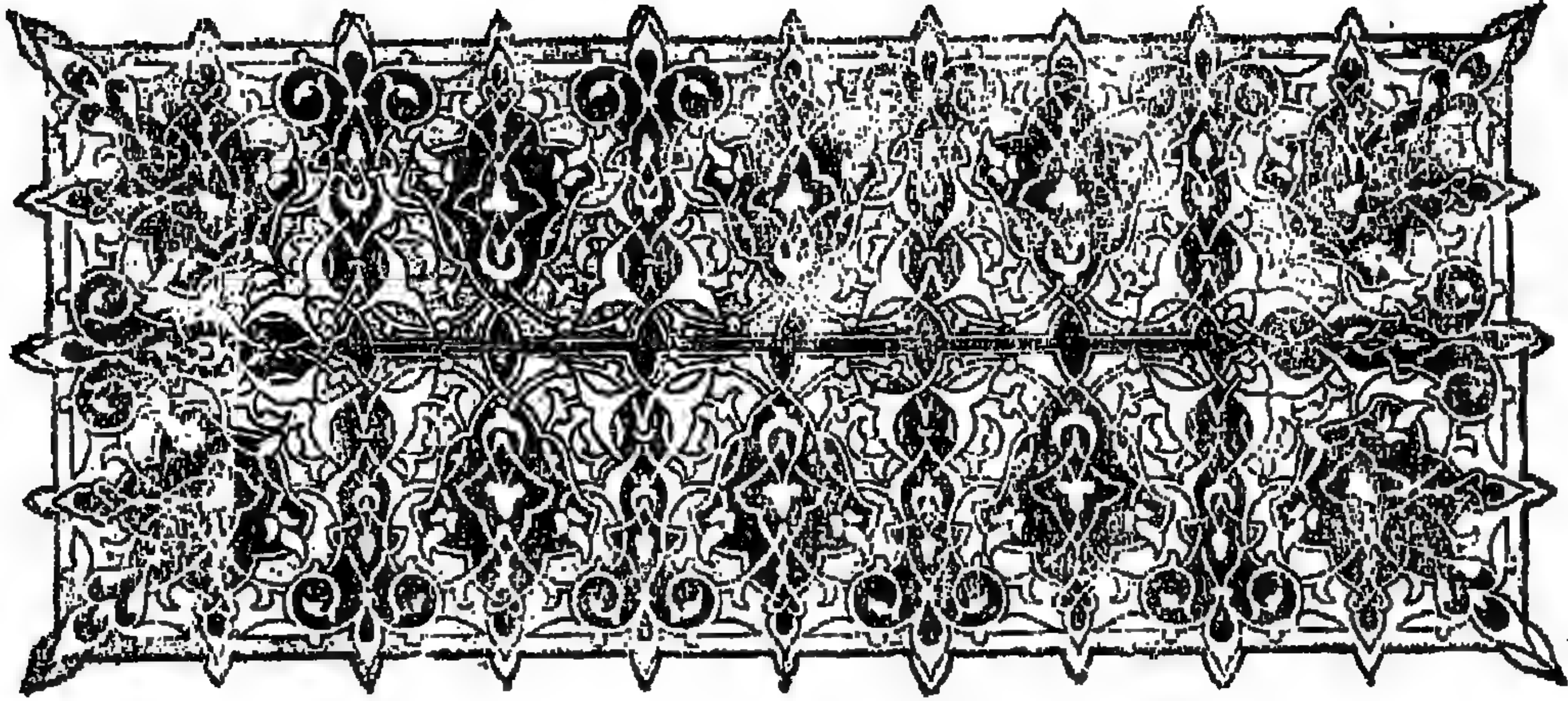
٣ - حقق جملة ١٤ أخرجه لجنة نشر المؤلفات التيمورية من مؤلفات العالم الحليل (أحمد تيمور) ومنها : التذكرة التيمورية والسماع

والقياس ، وأسرار العربية ، وأعلام الفكر
الإسلامي ، ومحمد صلى الله عليه وسلم .

واختاره كذلك معهد الإدارة والسكرتارية
للفتيات لإلقاء محاضرات في اللغة العربية .

وإلى جانب هذا النشاط في هذه النواحي
الثلاث قد اختاره معهد البحوث والدراسات
العربية بجامعة الدول العربية للاشتراك في
حلقة البحث بقسم الدراسات اللغوية والأدبية
واختاره معهد الخدمة الاجتماعية للفتيات
لإلقاء محاضرات في الشريعة الإسلامية
وتنسيقها للمجتمع .

هذه نحة عابرة عن الزميل الكريم شوقي
وعن نشاطه في مختلف النواحي ، وإنه لنشاط
يدل على علم غزير وأفق واسع وإطلاع
شامل في شتى النواحي الأدبية واللغوية
والإسلامية وإن انضمامه إلى عضوية مجمع
اللغة العربية كسب عظيم ، ونحن نكرر
تهنئته ونرحب به ونرجو له تمام التوفيق .



والإعجاب لما له من شأن في شتى النواحي
القانونية وللمكان المرموق الذي سما إليه عن
جدارة واستحقاق :

ويرجع ذلك إلى عوامل خمسة وهي :

١ - الدرجات العلمية التي نالها :

٢ - الوظائف التي شغلها :

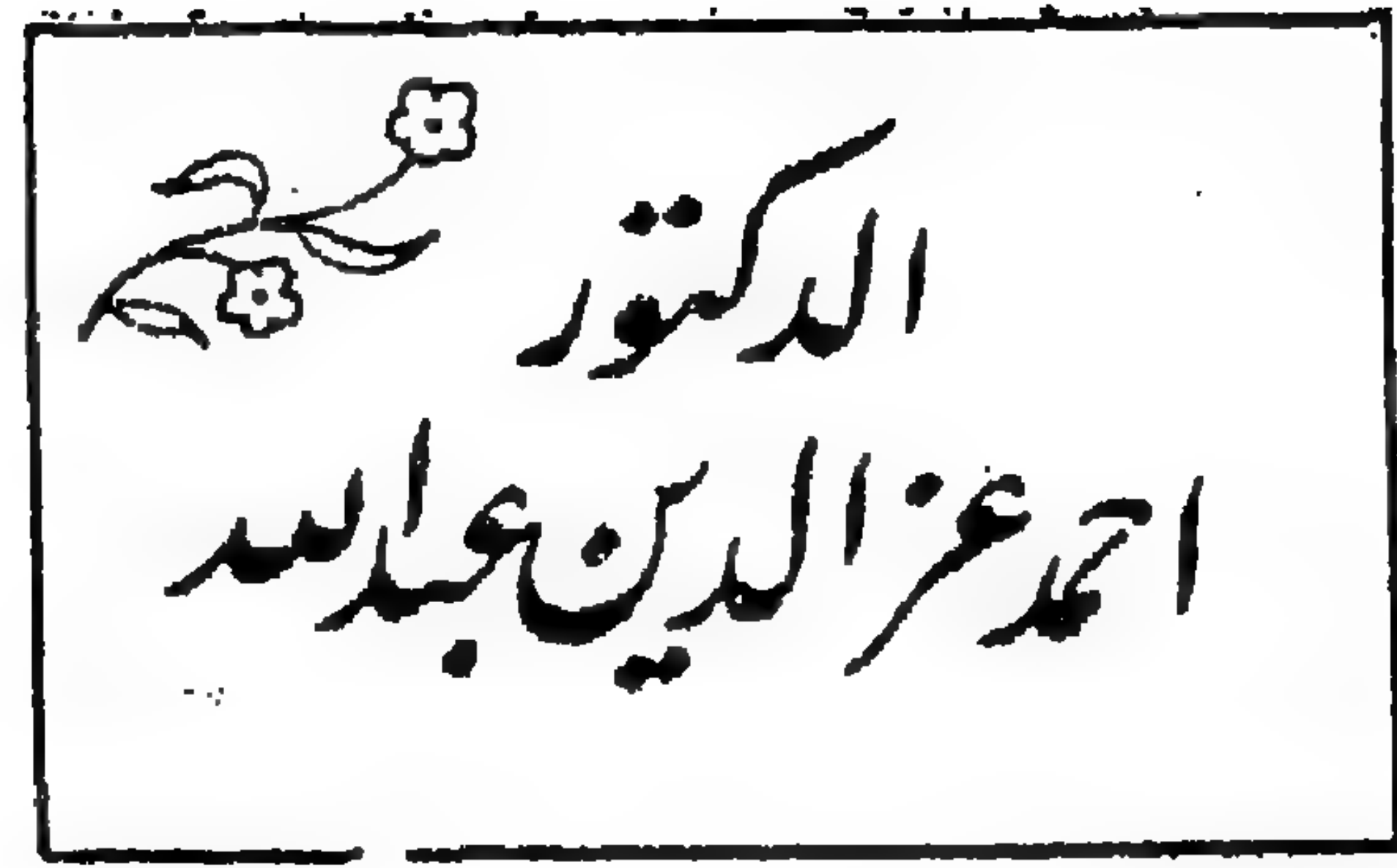
٣ - النقابات والهيئات العلمية التي هو
عضو فيها :

٤ - التدريس بالجامعات العربية والأجنبية :

٥ - المؤلفات والبحوث العلمية التي كتبها :

١ - أما الدرجات العلمية التي نالها من
جامعة القاهرة فأولها الليسانس في الحقوق
سنة ١٩٣٣ ثم دبلوم الدراسة العليا في القانون
الخاص ثم دبلوم الدراسة العليا في القانون
العام ثم يتوج كل ذلك بدرجة الدكتوراه في
القانون وقد كتب المرحوم القانوني الكبير
الدكتور عبد الرزاق السنهوري مقدمة لهذه
الرسالة أشاد فيها بمقدرة الدكتور عز الدين
عبد الله وأثنى عليه الثناء المستطاب ، ومما
قاله « إني أرى الرسالة قد غاصت في أعماق
المسائل التي تعرض لها الكاتب ثم انبسطت على
جميع تفصيلاتها فلم تترك شاردة ولا واردة
إلا كانت لها سجلا محفوظا : وقد أدهشني

المؤلف بقدرته على تفتيح الآفاق
الواسعة للموضوع » ثم قال « إن المؤلف
عالج المسائل في وضعها العملي
الصحيح ولم ينفذ إليها عن طريق النظريات



هذا علم من أعلام القانون وأستاذ من
أساتذة الفقه التشريعي ، وإن انضمامه إلى
عضوية مجمع اللغة العربية ومشاركته للأعضاء
الذين حظى بهم المجمع من قبل ، سيكون قوة
لها شأنها في مجال الدراسات اللغوية القانونية
التي يعنى بها المجمع ، وسيكون ذلك عوناً على
تعريب التعليم القانوني بالجامعات وعلى تأليف
المراجع المختلفة في هذا الميدان باللغة العربية
السليمة ، وسينشر كل ذلك في سائر الدول
العربية ويتجه الجميع وجهة موحدة تزيد
الوحدة السياسية والاجتماعية قوة وازدهار
ونشاط :

ولد الزميل الكريم الدكتور أحمد عز الدين
عبد الله في الأول من أكتوبر سنة ١٩١٣ م
بقرية الريدمون من أعمال مركز ملوى
بمحافظة المنيا والتحق بكتاب القرية في
السادسة من عمره حيث تعلم مبادئ القراءة
والكتابة والحساب وحفظ بعض أجزاء من
القرآن الكريم ، ثم وفد إلى القاهرة حيث
تلقى التعليم الابتدائي والثانوي وحصل على
شهادة البكالوريا (الثانوية العامة الآن)
سنة ١٩٢٩ والتحق بجامعة القاهرة وحصل
منها على شهادات مختلفة ، وصلت قممها
لدرجة الدكتوراه ، وإنه لخدير بالتقدير

العلمية ، بل من الطريق الذى تبرز فيه أمام القضاء ، ولا أشك فى أن للمؤلف شخصية بارزة فى كتابته تجعل القارئ يشعر بها من أول صفحة فى الرسالة إلى آخر صفحة . . .»

٢ - وأما الوظائف التى شغلها فهو الآن أستاذ كرسي القانون الدولى الخاص ورئيس هذا القسم بكلية الحقوق بجامعة عين شمس ، وقد اختير عميدا لكلية الحقوق بجامعة عين شمس سنة ١٩٥٦ وظل عشر سنوات حتى أكتوبر سنة ١٩٦٦ .

وقد اختير أستاذ كرسي القانون الدولى الخاص بكلية الحقوق بجامعة القاهرة حتى سنة ١٩٥٢ ، وكان من قبل مدرسا لقانون المرافعات بكلية الحقوق بجامعة القاهرة حتى سنة ١٩٤٨ ، واختير أيضا محاميا بقسم قضايا البنك العقارى الزراعى المصرى من ديسمبر سنة ١٩٣٣ حتى ديسمبر سنة ١٩٣٨ ، وهو البنك الذى أنشأته الحكومة سنة ١٩٣٢ لتصير الائتمان العقارى .

وكل هذه وظائف تدل على الكفاية والمقدرة وعرفان ما للزميل الكريم الدكتور عز الدين عبد الله من مكانة مرموقة ومقدرة قانونية شاملة تستحق التقدير . وقد بلغ عدد الخريجين من طلابه ما يزيد على عشرين ألفا من رجال القانون الذين يتبوأون مختلف المناصب القانونية والقضائية حتى الدرجات العليا منها : كما جاوز عدد الخريجين خمسة آلاف من طلابه ضباط الشرطة .

٣ - وأما النقابات والهيئات العلمية التى هو عضو فيها فله فى هذا المجال نشاط موفور فهو : عضو بالمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية من سنة ١٩٦٤

ومقرر لجنة القانون بهذا المجلس منذ ذلك التاريخ .

وعضو بمجلس إدارة الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والإحصاء والتشريع منذ سنة ١٩٦٨ وقد نشر عددا من البحوث بمجلتها العلمية .

وعضو بمجلس إدارة الجمعية المصرية للقانون الدولى ونائب رئيس المجلس حتى سنة ١٩٧١ ، وقد نشر عددا من البحوث بمجلتها العلمية .

وعضو جمعية التشريع المقارن بباريس منذ سنة ١٩٦٧

وعضو بنقابة المحامين ، ومحام لدى محكمة النقض من سنة ١٩٥٢

وشارك فى حضور عدد من المؤتمرات والندوات الدولية ، وأخصها مؤتمرات اللجنة القانونية الاستشارية لدول آسيا وأفريقيا التى انعقدت فى القاهرة وكولومبو ورانجون وطوكيو ، حيث كان نائب رئيس وفد مصر فيها من سنة ١٩٥٨ حتى سنة ١٩٦٤ ، وقدم عددا من البحوث العلمية فى مادة القانون الدولى الخاص .

وآخر الهيئات التى اشترك فيها هو مجتمعنا هذا الذى اختير فيه خبيرا منذ

سنة ١٩٦٤ حتى اختير عضواً به . والمجمع
يفخر بخبرته ، ويتمنى له دوام التوفيق .

٤- وأما التدريس في المعاهد العربية
والأجنبية فقد جاوزت شهرته العلمية فيه
حدود الوطن ، فدعته أكاديمية القانون
الدولي الملحقة بمحكمة العدل الدولية بلاهاي
لإلقاء محاضرات بها في القانون الدولي
الخاص ، على دارسين من المعيدين والمدرسين
بجامعات مختلفي دول العالم ومن رجال
السلك الدبلوماسي بها .

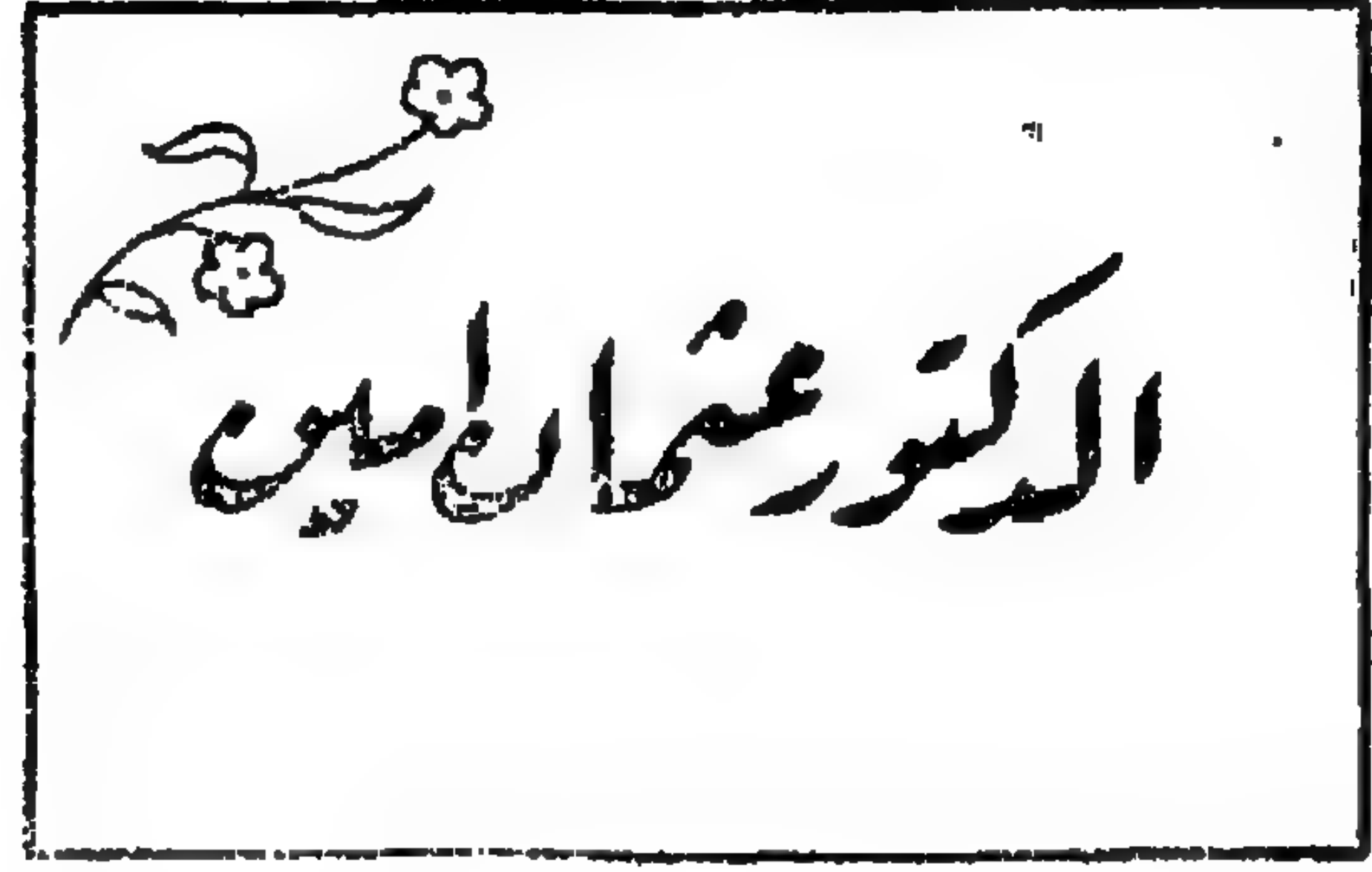
كذلك استجاب لدعوة من جامعة
الكويت للعمل بها أستاذا زائرا بكلية
الحقوق والشرعية للدراسات العليا، وكان
ذلك في يناير سنة ١٩٧٣ وفي فبراير
ومارس سنة ١٩٧٤ .

٥- وأما المؤلفات والبحوث العلمية فهي

إنتاج ضخم حافل يزيد على الأربعين عمداً ،
ويتسم بالابتكار والتجديد :

ويشمل القانون المدني وقانون المرافعات
والقانون الدولي الخاص ، وهو الفرع من
فروع القانون الذي استقر به المطاف على
التخصص فيه ، فجاء أكثر بحوثه في
مختلف موضوعاته ، بالإضافة إلى مؤلفه
الجامع لكل هذه الموضوعات ، وهو كتاب
القانون الدولي الخاص المكون من جزأين
يقعان في نحو أثنى صفحة :

هذه صفحة ناصعة مجيدة من صفحات
الجهاد العلمي القانوني ، وهو جهاد يرفع
من قدر مصر ورجالها الأفذاذ في القانون
بين أمم العالم ، ويسعد مجمع اللغة العربية
أن يسير الزميل الكريم في مجال الإنتاج
والابتكار والتجديد مع زملاء أعزاء ضمهم
هذا المجمع من قبل إلى عضويته . فإلى رحاب
مجمعنا الموقر نقدمه مرحبين مهنتين :



المعارف الإسلامية المطبوعة باللغة الأردنية
في لاهور عام ١٩٦٠ ، وأسهم في كتاب
« تاريخ الفكر في الإسلام » المنشور
بالإنجليزية في هولندا عام ١٩٥٨ وكتاب
« الشرق الأوسط المعاصر » المنشور بالإنجليزية
في نيويورك عام ١٩٦٥ :

وقد خصص كتاب « قطوف من الأدب
العربي المعاصر » المنشور بالفرنسية بإشراف
الأستاذ جاك بيرك بباريس عام ١٩٧٠
فصلاً كاملاً عن الأستاذ الدكتور عثمان
أمين ، وخصص له الدليل الدولي للشخصيات
البارزة في العالم المنشور بلندن عام ١٩٥٥
والمعروف باسم :
(International Who's Who)

مكاناً للتعريف بأعمال العلمية :

والدكتور عثمان أمين الذي عمل أستاذاً
زائراً بالجامعات العربية في ليبيا والسودان
والجامعات الأمريكية والباكستانية وحاضر في
كل من الجامعات المصرية في القاهرة والإسكندرية
وعين شمس ، ومعهد الدراسات العربية
العالية التابع للجامعة العربية ، وفي جامعة
الأزهر ، ومعهد الدراسات الإسلامية وغيرها ،
قد وسع من دائرة تلاميذه ومريديه وهياً
لفلسفته بالانتشار والذيع في أوسع نطاق
في مصر والعالم العربي ، بل في أمريكا وفرنسا
وهولاندا وألمانيا وإنجلترا ، وفي إندونيسيا
والهند وباكستان .

وبهذا تخرج على يديه مئات من الحاصلين
على درجة الدكتوراه والماجستير وأسهم

هو العالم الجليل والباحث المتعمق الذي
ذاع إنتاجه ، فشمّل كثيراً من الأقطار
شرقا وغربا ، وارتوى منه المتعطشون
إلى المناهل الغزيرة الصافية للبحوث الفلسفية .

وقد استطاع الدكتور عثمان أمين الذي
يُنَاهِزُ السبعين من عمره المبارك في خلال
أربعين عاما متواصلة ، أن يتدرج من
محاضر فمدرس فأستاذ ورئيس لقسم الفلسفة
بجامعة القاهرة ، مسهماً في تخريج أجيال
من الفلاسفة والمفكرين الذين يتولون
اليوم مراكز قيادية وعلمية مرموقة في مصر
والعالم العربي ، واستطاع بإنتاجه العلمي
الغزير والمبتكر ، ما بين تأليف وترجمة
وتحقيق ، أن يجتذب انتباه علماء الغرب
والشرق على السواء فاعتبر مؤلفه عن
« محمد عبده » واحداً من الكتب الخمسة
التي ظهرت في العالم العربي خلال نصف
القرن الماضي ، فيترجم إلى اللغة الإنجليزية
والفرنسية والأردية والسواحلية ، كما حصل
على الجائزة الأولى في الأدب الفرنسي من
جمعية مصر - فرنسا عام ١٩٥٢ كما أسهم
في تحرير أربعة فصول من دائرة

في فحص الإنتاج العلمي وترقية عشرات
من الأساتذة السابقين والحاليين في الفلسفة
وعلم الاجتماع :

و١٤ يجدر التنويه به أن يكتب العلماء
والمستشرقون في أوريا وأمريكا وفي الهند
وباكستان وفي سوريا والجزائر عن الأعمال
العلمية التي تهض بها الدكتور عثمان أمين :

والإضافات التي حققها للمعرفة وللфكر
الفلسفي بصورة تضعه في المكانة اللائقة به
فترى على سبيل المثال المفكر الفرنسي لوى
جارديه يقول في معرض حديثه عن فيلسوفنا
المصرى ما ترجمه عن الفرنسية :

« ومن أكثر المؤلفات الفلسفية شهرة ذلك
الكتاب الذى نشره الدكتور عثمان أمين باللغة
العربية في القاهرة ١٩٤٤ عن مبادئ فلسفة
زينون ، وكذلك الكتاب الآخر عن الفلسفة
عند العرب الذى نشر ١٩٤٥ . وهو إلى
جانب ذلك واحد من أحسن المتخصصين
العرب في الفلسفة الغربية الحديثة » .

ويذهب ريتشارد فراى الأستاذ بجامعة
هارفارد إلى تخصيص جانب كبير من الكتاب
الذى نشره ١٩٥٧ لمعرفة البحوث التي
أقيمت في المؤتمر الإسلامى في هارفارد ١٩٥٥
تحت عنوان الإسلام والغرب ويقول إنه لبحث
مبتكر ورائد في موضوع التجديد في مصر
بقلم الأستاذ الدكتور عثمان أمين حسب قول
ريتشارد فراى في تعليقه .

« واستطاع صوت الدكتور عثمان أمين

وفكره المبتكر أن يرفع رأس العلماء المصريين
في عدد كبير من المؤتمرات والندوات ، وحلقات
البحث العلمي في الخارج .

فمنذ حضوره المؤتمر العالمى للمستشرقين
المنعقد في كمبردج بإنجلترا ١٩٥٤ حتى مؤتمر
الفكر الإسلامى في قسنطينة وهران بالجزائر
عامى ١٩٧٠ ، ١٩٧١ شارك الدكتور عثمان
أمين في اثني عشر مؤتمراً وحلقة علمية في كل
من هارفارد ١٩٥٥ - جاكارتا ١٩٥٦
ولا هور ١٩٥٧ - فينسيا ١٩٥٨ - دمشق
١٩٦١ - تكساس ١٩٦٥ - وأخيرا
قسنطينة وهران بالجزائر ١٩٧٠ - ١٩٧١ .

وفي جاكارتا بأندونيسيا نشرت أبحاث
الأستاذ الدكتور عثمان أمين وترجمت من
العربية إلى اللغة الإندونيسية في أوسع المجالات
المتخصصة وفي فينسيا نشرت أعمال المؤتمر
العالمى للفلسفة ١٩٥٨ أبحاث الدكتور عثمان
أمين في مجلد خاص تقديراً له .

وفي ومسقط رأس الفيلسوف ديكارت
انتخب الأستاذ الدكتور عثمان أمين عضواً
شرف بالجمعية الديكارتية الفرنسية وخصص
جناح في مكتبة المؤلفات والبحوث العالمية
عن ديكارت لإنتاج الأستاذ الدكتور عثمان
أمين تحت اسم « مصر » .

وبهذا استطاع فيلسوفنا المصرى أن يتيح
للغرب والشرق فرصة لتذوق الفكر المصرى
وأن يدفعها إلى ترجمة إنتاجه من العربية
إلى اللغات الأجنبية ، وأن يبتكر مذهباً
فكرياً وفلسفياً وجمالياً في كتاب « الجوانبية » :

أصول عقيدة وفلسفة ثورة ، أظهر فيه
أجمل ما في الفكر الإسلامي وأنقى ما في
الروح العربية وأسمى ما في الوعي المصري :
وبعد ، فهذه صفحة ناصعة مشرقة عن
أعمال الزميل الكريم الدكتور عثمان أمين
وإنا نرجو له المزيد من التوفيق في جميع
أعماله :

هؤلاء هم الأعضاء الأربعة الذين حظى
بهم مجمع اللغة العربية وسيعملون مع باقي
الأعضاء على تحقيق رسالة المجمع وهي :
المحافظة على سلامة اللغة العربية ، والحرص
على وفائها بمطالب العلوم والفنون ، وكذلك
توحيد المصطلحات في اللغة العربية حتى

حتى يكون ذلك عوناً على وحدة العرب
وازدهار حياتهم والنهوض بأمجادهم .

والله نسأل أن يرعانا ويسدد خطانا
ويبارك مسعانا ويهدينا سبيل الرشاد :
سيدى الرئيس :

باسم المجمع ، وعن لسان الأستاذ عبد
الحميد حسن ، أشرف باستقبال الزملاء
الأربعة : الأساتذة : على النجدي ناصف ،
ومحمد شوقي أمين ، وأحمد عز الدين
عبد الله ، وعثمان أمين ، وأرحب بهم
بيننا في هذا المجمع الموقر .

والسلام عليكم ورحمة الله



•• كلمة الأستاذ على النجدي ناصف

فى حفل استقباله عضوا بالمجمع

السوء ، أو خليا يتخذ من المحاولة ملهامة
من ملاهيه ، يملأ بها فراغه ، وينقى ملاله ،
وليس منها - على كاحال - مضرة تخشى ،
ولا فيها محذور يتقى . ومن يدرى لعل الله
يحدث من الأمر مالا يقع فى وهم ، ولا
يتناول إليه خيال . وقدما قالت العرب :
مع الخواطيء سهم صائب :

وقد خار الله لى - والخير فيما اختار -
ألا أكون أحد الرجلين ، بل ألا أكون
منهما على شبه قريب أو بعيد :

غير أن لى فيكم أيها السادة المجمعين
صفوة من الخالصان ، وقدامى الزملاء ،
وشيوخ الأساتيد - يحسنون بى الظن ، ويرون
فى مالا أرى ، أبت عليهم أريحياتهم ، وصدق
مودتهم أن يخلوا بينى وبين نفسى ، أعكف
عليها ، وأفرغ لخاصة أمرها ، فتقدموا
بى إليكم ، يؤذنونكم بى ، ويستفتحون
لى عليكم .

وإن امرا إلا تسعده أدواته ، وترفده
روافده تحقيق أن يشقى به أعوانه ، وأن
تشقى عليهم المسعاة له ، لذلك طال على
أصحابى الاستفتاح ، ولج بهم الإيدان ،

سيادة الرئيس ، أيها السادة والسيدات :
لم يستهونى الطموح ، ولا استخفى
الطمع أن أتبوء مقعدا فى مجمع اللغة العربية ،
لا زهادة فيه فهو أمنية لمتحمين كثير ،
ولا غفلة عنه فهو ملء السمع والقلب ،
ولكن إعظاما له ، وقصورا دونه :

فكان بين المجمعين أمنية عزيزة ،
مطلبها شديد ، ومنالها بعيد ، لا يُلَقَّأها
إلا كاف فيها ، وصالح لها من أصحاب
المزية الفائقة ، والشهرة العاملة ، لا تزال
ترفع ذكره ، وتردد اسمه فى عالم الآداب
أو العلوم ، حتى تشخص إليه الأبصار ،
وتشغل به الخواطر ، وتدور من حوله
أحاديث :

وما أعلم أنى من المزية الفائقة ، ولا
الشهرة العاملة ، ولا أنهما منى فى شئ ،
لا أقولها رياء خادعا ، ولا تواضعا كاذبا ،
فما بى من حاجة إليهما فى هذا المقام ، ولكنها
الحقيقة لا احتضام لها ، ولا مواربة فيها ،
وبين جسامة المطلب ، وقصور الوسيلة
يذهب الجهد ضياعا ، والرجاء جفاء .

ومن الحكمة أن يعرف المرء قدره ،
ولا يعتدى حده ، إلا مستهترا لا يبالي قالة

فما أمسكوا عن المحاولة ، ولا أحدثوا برأيهم
في رأيا .

وعهد الناس بصاحب الرأي أن يستريب
برأيه ، ويراجع فيه نفسه ، إذا تعدد
مخالفوه فيه ، وطال خلافهم له ، ولو
كان رأيا عقباه له ، ومآله إليه ، وأكبر
الظن أنه إن يفعل فسيبدو له فيه بداء ،
فكيف برأى هو فيه صاحب فضل ،
وصانع معروف ، وكل ما له من مضائه
آخر الأمر هو المشاركة في نشوة الظفر ،
وبلوغ الأرب ، فصنع الله لهم ، وبارك
عليهم ، وتولى عني جزاءهم .

ثم يشاء الله أن يبلغ الكتاب أجله بعد
لأى وطول ريث ، فتنجح المحاولة ،
وتتحقق الأمنية . ولست أدري أكان ذلك
عن رضا واقتناع ، أم عن ضيق بالمعاودة
والتكرار ؟ فإن لله جنودا منها مواصلة
الطلب في غير يأس ولا فتور ، ولكنه
جند خير وسلام إن شاء الله .

وأيا ما يكن الأمر أيها السادة المجمعون
فلكم منى جزيل الشكر ، سواء منكم من رآني
حقيقا بانتخابه ، ومن رأى غيري أحق به
منى ، فقد كان كل فيما رآه إنما يريد إحقاق
الحق ، وإقامة الوزن بالقسط على ما يبدو له
أنه الرأي الرشيد .

أما أستاذي الحليل عبد الحسيب حسن فله
أجمل الشكر وأوفاه على كلماته الطيبة التي .

قدمنى بها إليكم ، ووصفنى فيها لكم بعدد
من الأوصاف الناضلة ، حتى خيل إلى أنه
يتحدث عن رجل ليسنى ، وهكذا يستهوى
الحب الخالص صاحبه ، ويغلبه على أمره
ولا يدع له منه إلا المجاملة وإحسان الظن .

والآن ، ماذا أعددت للأمر العظيم الذى
حملته منذ اليوم ؟ وهل أرانى قادرا على
احتماله ، وإحسان الاضطلاع به ؟ سؤالان
أسألما وأتولى الجواب عنهما ، وعدا لا أخلفه ،
وعهدا لا أخيس به ، إن شاء الله تعالى لثلا يمضى
الأمر ، بى أو أمضى أنا به على ما خيلت ،
لاضابط هناك ولا منهاج .

لقد أعددت له كل ما تورث السن العالية
من تجربة ، وكل ما تذر لصاحبها من صباية قوة ،
على أن أجمع شتاتها ، وأعتصر عودها ،
وأنفخ فى رمادها ، ثم أصرف جملة ما
يتوافى إلى منها إلى ما عسى أن أشارك به من
عمل ، فان أبلغ بذلك مرضاتكم ، وأحسن
مشاركتكم ، وإلا فحسبى . أنى أبليت عنرا ،
وقد قال الأول .

وعلى أن أسعى وليس
على إدراك النجاس
هذه سبيلي التى رسمتها ، وأجمعت على
التزامها ، مستهديا الله فيها ، ومستعينا به
عليها ، إنه نعم الهادى ، ونعم المعين .

وبزيدنى التزاما لها ، واستقامة عليها أنى
أخلف فيكم المغفور له الأستاذ الكبير .

مصطفى القلى ، نضر الله وجهه ، وأجزل
فى الآخرين ثوابه ، ومن الخير للخلف
إذ يكون سلفه أنبه ذكرا ، وأرجح ميزانا — أن
يحاول ما استطاع أن يأخذ إخله ، ويجهد
أن يكون منه غير بعيد .

لقد كان رحمه الله فى شبابه فتى نجيبا ،
مرجو الغد ، وكان فى كهولته علما رفيع
القدر ، مرموق المنزلة ، لازمه السداد
والتوفيق حياته كلها من لدن شبابه إلى لقاء ربه
فكان ثانى الناجحين فى امتحان الشهادة
الثانوية ، وثانى الناجحين من زملائه خريجى
مدرسة الحقوق . وكانت له وهو طالب
مشاركة مذكورة فى إذكاء الثورة المصرية
التي قادها سعد زغلول ، بما قال فيها من
شعر ، وما دعا إليه من جهاد .

ولم يلبث بعد تخرجه أن اختير مبعوثا إلى
فرنسا ، يطلب الدكتوراه فى العلوم الجنائية ،
فظف بها ، وعاد راشداً محموداً ، ليتولى
التدريس فى كلية الحقوق ، ولیمضى صعدا
فى مراتب الدراسة الجامعية فى كليته ، حتى
انتخب عميدا لها ، فخرج أجيالا من رجال
القانون ، انبثوا فى أقطار الحياة العاملة ،
يعلمون كلمة الحق ، وتحتمون حمى القانون .
ثم بدا له أن يفرغ لحياة أرحب مجالا ،
فتخلى عن العمادة ، وتبدل برداء الجامعة
رداء المحاماة ، فكان من أبرع المحامين ،
وأشدهم عارضة ، وأفقههم للقانون ،
وأخبرهم بأسرارها واكتناه المصادر منه
والموارد .

واختير مع ذلك لبعض المؤسسات
الاقتصادية والمالية ذوات الشأن ، وهيئات
أخرى جالية القدر ، لبعضها إشراف على
التعليم الجامعى ، وبعضها الآخر نشاط
فى عالم الاقتصاد والتشريع فشارك فى كل
أولئك بالرأى الحصيف ، والتجربة الصادقة
والألمعية الماثورة .

ولم يصرفه العمل فى هذه الجوانب
المتعددة من الحياة عن البحث والتأليف ،
فأخرج قدرا كبيرا من البحوث والمؤلفات
التي تعد بحق من الذخائر العلمية النفيسة التي
يرجع إليها ، ويهتدى بها فى شئون الحياة
والاقتصاد ، حتى إذا انتخب فى مجمع
اللغة العربية أقبل على العمل فى لجنة القانون
والاقتصاد ، وشارك فى أعمالها ودراساتها
مشاركة تذكر له بالحمد والتقدير ، غير
باخل بوقت ولا ضيق بجهد

ولم يزل — رحمه الله — مكبا على العمل
بأذلا فيه من ذات نفسه حتى لقي ربه راضيا
مرضيا .

هذه أيها السادة والسيدات وقفة قصيرة
على حياة سلفى العظيم ، وهى — كما رأيتم —
حياة خصية مباركة ، تزخر بالعمل المثمر
والجهد المشكور ، لم يتسع المقام للوفاء
بحقها ، وتفصيل القول فيها ، فلم يكن إلا أن
أخذ فى الحديث عنها مأخذ السرد والإجمال .
رحم الله الأستاذ القلى ، وأسبغ عليه من
رضوانه كفاء ما أسدى إلى وطنه ولغته من
صنيع .

كلمة الأستاذ محمد شوقي أمين

في حفل استقباله عضواً بالمجمع

حول المجمع وما اليه

الرغبة ، وبالهبة كل الهبة . ما ذلك
الإفراط تقدير مني لمهمات المجمع وتبعاته ،
ولأنها لمهمات دقاق ، وتبعات جسام .
أيها السادة :

يقول التاريخ : إن « ابن جني »
ففيه العربية صحب « أبا علي الفارسي » إمامها
أربعين سنة وقد صحبت المجمع لهذا العدد من السنين
وإذا كان في المجمع علويون فارسيون
فلا أناجني ولا ابن جني . ولكني أستطيع أن
أجهر - ولا أغلو في أن أجهر - بأن المجمع
الموقر برز على رأس عشرة قرون من عمر العربية
أو أكثر ، ليكون ثالثة المدرستين :
مدرستي البصرة والكوفة ، وجامعة المذهبيين
مذهبي السماع والقياس . بل إن هذا المجمع
البصري أو ، مجمع البصريين أو البصارفة
بعد بحق أول منظمة علمية في تاريخ العربية
كله تكتسب صفة التحكيم والإفتاء ، ويتجلى
عليها طابع التشريع والقضاء .

دخل المجمع فوجه الأول ، وعلى أكتاف
أعضائه العشرين هموم اللغة العصرية وأعبائها
ومشكلاتها ، فتم من كان يستشعرها ،

سيدى الرئيس النائب ، يا شيخ المجمع
وفتاه .

سيدى الرئيس المنتخب المزكى .

أيها المجمعيون الأجلاء

مستمعى الفضلاء :

لا عجب في أن يسترهني الكرسي الذى
انتخبت له منذ قليل ، ولا عجب في أن أشعر
بالتهييب والتخشع للمنصة التى دعيت
إليها الساعة ، وإن كنت قد اختلفت إلى
كراسى المجمع ومنصاته عشرات السنين ،
أبلوها وتبلوني ، ولا أقول أبلها وتبليتي .
لا عجب في هذا أو ذلك ، فستان ما يومى
وأمسى ، كنت بالأمس أكتب ما يقال ،
أو أتلو ما يكتب ، وربما هممت بما يعنى لى ،
أو شاركت في نقاش ، أو عرضت ما أعددت
من بحث . ولكني إذا كتبت ما قيل أو تلوته
فلا صاحبه نسبه ، وليس على تبعته . وإذا
أبديت ما يلوح لى من وجهة نظر فلغير

مقطع الرأي فيه . أما اليوم وقد أصبحت
بحمد الله عضواً ، بعد إذ أمسيت نضوا ،
فإن المقام حرى أن يشعرنى بالرهبة غاية

ومنهم من كان يحتقب الحلول لها ،
ولذلك ولد المجمع عملاقا يعرف ماله
وماعليه ، فرفع راية الاجتهاد ، وأعلى
سلطان الرأى ، لا يقف عند المقولات ،
ولا يحمد إزاء القبليات : ثم تعاقبت على
المجمع أعضاؤه زرافات وفراذى ، وكلهم
شركاء فى إدراك قضايا اللغة وأدائها ،
مسهمون فيما يقترح لها من حلول وعلاجات .

هنا أذكر من الفرسان الراحلين الأعضاء :
السكندرى ووالى ، الجارم والمغربى ،
الكرملى ونلينو ، عبد العزيز فهمى ولطفى
السيد ، منصور فهمى والرازقين ، الخولى
والنجار ، طه حسين ومحمود تيمور :

أتين الذين أذاقوني مودتهم
حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا

أذكر هؤلاء ، ولا يتسع المجال لذكر
الجميع ، وهم زيد على مائة ، وإن كنت
لا أنسى منهم أحدا ، فأصواتهم تملأ
مسمعى ، وذكرهم تعمر وجدانى :

وقال تذكر هذا بعد فرقتنا
فقلت ما كنت أنساه لأذكره

لم يبدأ الجمعيون الأصلاء من فراغ ،
بل سبقت مجتمعتهم منذ بواكير النهضة
العربية بحوث ودراسات ، وتقدمتهم هتافات
ونداءات ، ولكن الجهود التى كانت تبذل
إنما كانت أشبه شئ بالبروق المتناثرة ، فكان
لمجمع هو البورة التى جمعت الشتات ،

وانتظمت الإشعاعات ، وجعلت منها طاقة
فعالة تبعث الحياة فى الموات :

ومن سنة الحياة الاجتماعية ، إذا أريد
لمقومات الإصلاح نصيب من النجاح ، أن
يكون الإرهاص قبل الإيجاب ، والنزوع
قبل التشريع :

إنما تنجع المقالة فى المرء
إذا صادفت هوى فى الفؤاد

فلا غرو أن يرحب أهل العربية بما شرع
فيه المجمع من تطويع اللغة لحاجات الحياة ،
وتطويرها للوفاء بمطالب الحضارة ، إذ
صادف ذلك منهم نزوعا عميقا حقا إلى هذا
التطويع الحتمى ، والتطوير الرشيد :

آمن الجمعيون الأصلاء بأن اللغة لأهلها
ملك مطلق ، فهى أداة تعبر عن أغراضهم
العلمية والأدبية والمعيشية ، وعليهم أن
يحتكموا إلى أذواق الفاقهين لأوضاعها ،
والمتمرسين بها ، لمواجهة أهداف التعبير
الحضارى فى إبانة وإفصاح .

على أن المجمع كان حكما إزاء ما استقرت
عليه قواعد العربية التى أرساها النحاة
واللغويون ، فلم يتمرد على أصله ينعقد ،
وقياس يعتمد ، وحكم يتردد : ولكنه رأى
أن الذين قعدوا القواعد وضبطوا الأقيسة ،
إنما أرادوا تسجيل المأثور وتحليله ، واستخلاص
الواقع وتعليقه ، فمن الصيغ ما جاء على مثاله
الكثير أو القليل ، ومنها ما لم يسمع منه إلا

النادر أو الشاذ . وما أحسب النحاة واللغويين قصدوا إعدام اللغة والحجر عليها ، لا يكثر قليلها ، ولا ينمو النادر أو الشاذ فيها ، فما ذلك من شأن لغوى ولا نحوى . ذلك إلى أهل اللغة يتصرفون في صيغها وأوضاعها على هدى أذواق الصفوة من علمائها وأدبائها وكتابتها ، يبيعون أو يترخصون ، بحسب مقتضيات التعبير عن أسباب الحياة التي يعيشون ، ولو تصورنا أن العربية مضت على صفائها وخلوصها بين أهلها الفصحاء .

لن تسير الزمن في تقدمه وتطور حضارته ، لحاز لنا أن نتصور ما عسى أن يحدث من تطور في القواعد والأحكام ، ولساغ لنا أن تمثل اللغة وقد جل فيها ما قل ، وغزر ما ندر ، وبذ ما شذ . ولقد سعدنا في حاضرنا بعصر للعربية مزدهر ، تألق فيه أدباء أبناء ، وكتاب بلغاء ، وتوفر على درس العربية أساتذة جهابذة ، وبصارفة صيارفة ، اختمرت فيهم خبرة ودرة ، ورهف منهم حس وذوق . فمن حق هؤلاء الصفوة أن يعالجوا قضايا التعبير بما يستخلصون من دراساتهم ، وما تطمئن به أذواقهم ، وما تنادى به مقاصد الحياة في عصرهم . ومن حقهم أن يبحثوا بين آراء الأئمة البصريين أو الكوفيين عما يطاوع حاجة التيسير ، فإن لم يجدوا في هذه الآراء البصرية أو الكوفية ما يسد الحاجة ، رجعوا إلى نصوص اللغة نفسها ، يستعينون بها ، قائلين للبصرة والكوفة معا :

أيا جبلى نعمان بالله خليا

نسيم الصبا يخاص إلى نسيمها

وفي معتقدى أن في الأقضية النحوية والصرفية المعتمدة ما يمكن تعديله باستئناف البحث في السنة اللغوية الخالصة ، بمنأى عن المذاهب النحوية المتعددة ، فنعمد إلى نصوص الأدب نتقراها ، وإلى بطون المعجمات نتقصاها .

لقد استطاع الجمع في تؤده وأناة أن ينتهى إلى عشرات القرارات الميسرة لمقاييد

اللغة وأوضاعها ، وإذا كان صنيعه فيما يتعلق بالمصطلحات عرضة للتغيير والتبديل ، بين لفظ يبيد ، ولفظ يزيد ، فإن قراراته الميسرة للمقاييس والأوضاع ، لا ينتظر له اطراد النور والاتساع ، دون رجوع إلى وراء . فلا مجال بعد اليوم لقائل أن يلزم برد الجسم إلى مفردة عند النسب ، ليقال حركة عاملية ، بدل عمالية ، أو يقال : العيد الخمسى ، بدل العيد الخمسينى ، ولا أن يلزم بأن نقول في النسب إلى غريزة : غريزى ، بدل غريزى ، ولا أن يحكم بالتخطئة على من يقول : سندات في جمع سند ، وبويضة في تصغير بيضة ، أو حمرات في جمع حمراء ، أو مصر فخورة بأبطالها ، وكان العبور مجداً من أمجادها ، ملازماً بأن يقال : أسناد ، وببيضة ، وحمراء ، وفخور ، ومجود ، خضوعاً لما يريده القاعديون المتمتون .

ولئن طاب لى أن أشيد بجهود الجمع في تيسير قواعد العربية ، إلى لخريص على أن أصارح بما أشعر به من أسف ، مبعثه

أن اللغة بأقيستها التقليدية مازالت هي مادة التعليم في البيئات المدرسية ، وهي مادة البحث في البيئات الجامعية على السواء . ففي كتب التعليم لهذا العام ما يرح جمع التفسير سماعيا في أكثر صورته ، وكذلك صيغ المبالغة ، واسم الآلة لا يصاغ إلا من الثلاثي المتعدي ، والنسب بالألف والنون من الشذوذ ، واسم التفضيل له شروطه الثقال ، وتعريف العدد المضاف يمتنع معه أن يقال مثلا : الألف كتاب . وليس ما أسلفت إلا أمثلة دون حصر . وأما الدراسات الجامعية فلا علم لي بأن مناهج المجمع التجديدية في قضايا اللغة وأوضاعها محل نظر خاص . وفي الجامعات من يتخرجون من بعد ليعلموا العربية في المدارس ، فإذا لم يكن لهم عهد بما صنع المجمع فستبقى الأوضاع والأحكام التقليدية ضربة لازب على المعلمين والمتعلمين إلى ما شاء الله : ومن حق المجمع أن يكون له في كليات الدراسات العربية في الجامعات كرسى ، فإن للأعلام الجامعيين في المجمع كراسى ، ومن الغبن ألا يكون لجهودهم الجمعية صدى في جامعاتهم المتعددة . ولقد أذكر أن الدولة العثمانية في القرن الماضي عمدت إلى تقنين الشريعة ، وسمت ما عملته « المجلة » ، فكانت المجلة تدرس في عدد من البلاد العربية بمعاهد الحقوق ، والمجمع اليوم يقن اللغة تقنينا جديدا ، فلزام أن تدرس في كليات الدراسات العربية جميعا

قراراته ونتائج أعماله التي تناظر تلك المجلة على عهد خلافة آل عثمان .

أيها السادة :

ما أكثر الذين يخطبون ود العربية بحثا ودرسا ، وما أقل الذين تواتهم العربية بمكنونها ذوقا وحسا . ولقد كان من حسنات « الأزهر » في المجمع رجل من أولئك الأقلين الذين حلت العربية من قلوبهم في الشغاف ، فباحث لهم بأسرارها ، وألقت إليهم قيادها ، وتفخت فيهم من روحها ، ذلكم هو الشيخ « محي الدين » ، محي العلم واللغة والأدب . أول ما بدا من أمر الشيخ ميله الأدبي . فقد جرى قلمه في سن الصبا والصبوة بكتاب سماه « ثورة العواطف » وتلاه كتابه في شرح مقامات البديع . ثم استغرقته الدراسات المتنوعة في علوم العربية بعامة ، وفي النحو بخاصة ولكنه مع ذلك عني باخراج العدد الجلم من الذخائر الأدبية مضبوطة محققة ، فهو إذن أديب نحى ، أو هو نحوى أدب ، والأزهرى لا مخلص له من جاذبية الأدب وسحر البيان ، فهو يدامج مؤلفات القدامى من فحول البلاغة . ونبغاء الكلام ، وهو في درسه للنحو يقف على الشاهد بعد الشاهد من القريض ، ووراء البيت المستشهد به قصيدته ، ووراء القصيدة قصة الشاعر وحياته ، فإذا صادف ذلك عند الدارس تهيو نفس ، وتوقد قريحة ، ورقة عاطفة ، فليس ثمة إلا افتتانه بالأدب وولعه بالمنظوم والمنثور ، وما هي إلا أن

ينبض في يده القلم ، وتختلج شفتاه من
الشعر بالتغم :

جمع الشيخ «محيي الدين» بين الحسينين :
الدراية والرواية ، وأوتي الموهبتين :
التحصيل والاستخلاص ، ومازج بين
نزعيتين : الاتباع والإبداع . وكان إبداعه
ثمرة اتباعه ، فهو وليد موازنة ومقابلة ،
ومظهر اجتهاد وترجيح . وكان إذا عرض
لمسألة قررها في شمول وعمق ، وسعة أفق ،
يلم شواردها ، ويتكلم عليها من مختلف
جهااتها ، مستعينا بتنوع معارفه في فقه
أو أصول ، وفي بلاغة أو أدب ، ملائما
بين تحقيق من سلف وتعليق من خلف ،
واضح الشخصية ، مستقلا بالرأى ، نزيها
فيما يعرض من قول معارض أو مناقض :
ولقد أفاده اطلاعه على كنوز الأدب رحابة
النظر فيما قرره علماء العربية من ضوابط
وشرائط ، ومن ثم كان في إفتائه النحوى
واللغوى صاحب مرونة وطواعية وليان :
ويحسب أن أشير إلى ما جمع من شواهد
على جواز تثنية الفعل وجمعه في بحث
مجمعي :

لم يكن الشيخ من «أقلام القول» على
حد تعبير الحديث النبوى ، وهم الذين
تشبه آذانهم الأقماع تفرغ فيها الأقاويل
إفراغ المائعات ، فهم يتلقون المقولات
بآذانهم ، هم يلفظونها بألسنتهم ، لا يعملون
فيها فكرا ولا نظرا ، إذا قرأت له بحثا في
مسألة راعك منه قلم ناشط ، يحرق في

شجاعة علم ، وحرية ذهن ، لا يكاد
يستند إلى ثقل إلا عند الاستثناس بمن
وافق ، أو النص على من خالف . فإن
رايك من أمره ريب ، وراجعت المصادر
تحاكمه إليها ، ألقيت الشيخ قد جمع فأوعى ،
استوعب الأصول والفروع ، ينق منها
ما ينق ، ويثبت ما يثبت ، في إنعام نظر ،
وتوهج ذكاء ، وسلامة حكم .

وذا نكم مثلان : كتابه في تصريف
الأفعال ، وبحثه المجمعى في أفعال التفضيل .
ولست آسى على شيء قدر ما آسى على أن
الشيخ قد شغله التحقيق عن الإنشاء ، فإنه فيما
طبع علمه من خلال البريطلابيه ، وفيما آمن
به من حقهم عليه ، أثر في الأغلب أن
يصرف همه إلى كتب الأقدمين المفروضة
على الطلاب ، بقرب مناهلها ، ويحل
طلاسمها :

ولو أنه تجرد ليكتب النحو بقلمه إنشاء ،
لأمتعنا بعرض جامع مانع ، لا يغوص منه
الدارس في دوامة من فتات ومحاورات ،
بين محترزات ومعارضات ، . ولأظفرنا
ذلك منه بالنحو الصافي أو الشافي أو الكافي ،
كما أظفرنا الأستاذ «عباس حسن» بنحوه
الوافي :

أيها السادة :

عرفت شيخى «محيي الدين» سنة ١٩٢٩
أستاذالى ، وأنا في مقبل تعليمى الثانوى منذ
خمس وأربعين سنة . دخل حجرة الدرس ،
وعمره يومئذ جديد ، وعليه أغصان الشباب

ثميد ، فإذا هو يتضوأ باسم المحيا متخطرا بين
مقاعد الطلاب ، وإذا هو يلتقى درس النحو
لا ينظر فى كتاب ، ولا يلمجج فى جواب .
وكنى قرأت له كتابيه « ثورة العواطف »
« وشرح المقامات » ، فقلت لصاحبي :
ظننت الشيخ أدبيا أعمق منه نحويا ، فإذا هو
هو ، أو فإذا هو إياه . فقال لى صاحبي :
مارأيت نحويا أوضح فى عباراته النحو منه
فى عبارة الشيخ . على أن الدهر مالبث أن
ضرب بينى وبين « الأزهر » ، فلم ألق شيخى
إلا فى المجمع يوم دخله عضوا منذ سنوات
قلال ، وكأننا لم نفرق يوما ، فبادرت إليه
أنشده بيت « شوقى » :

قد يهون العمر إلا ساعة

وتهون الأرض إلا موضعا

وقلت له : قد ينسى المرء أساتذته إلا
أستاذًا ، وكنته ! فأجابنى على سبيل المجاملة
والمقابلة : وقد ينسى الأستاذ تلامذته إلا تلميذا ،
وأنته ! . . . وظللنا نتلاقى فى المجمع ،
ونتطارح الرأى والبحث فى أعمال لجنة
الأصول ولجنة الألفاظ والأساليب ،
أتنسم منه حيافة أستاذ ، ورعاية والد ،
ومودة صديق : وهو على العهد به :
عطر النفس ، شفاف الروح ، لا ينفك عن ظرف
ومعسول دعابة ، يأنس بى منازعا أنسه بى
متابعا ، وما عثم أن عجل به قضاء الله ، فعزت
فمجيئى فيه على العزاء ، ولم يكن يدور لى فى
خلد ما هياه القدر من بعد ، إذ حلت منه فى
المجمع المحل ، وما يكون لمثل أن يسد مسده

أو يكاد ، فهيهات أن أبلغ شأوه أو أقارب :
رضى الله عنه ، بما أفاد بعلمه ، وبما زكى
عن علمه بخلقته :

إننا إلى الله راجعون لقد

أصبح حزنى عليه ألوانا

حزن اشتياق وحزن مرزئة
إذا انقضى عاد كالذى كانا

وياسمائب رحمة الله :

أم الضريح الذى أسمى

نم استهلى على الضريح

زأبها السادة :

إن الوقت المقسوم لكلمتى يتطاير منى كما
يتطاير العطر من قنينة مفتوحة . وإن كانت
فيه بقية ، فى النفس بقايا . ولا أملك إلا أن
أختطف القول اختطافا فى شئون وشجون :

أولا - بودى أن أقول للمجمع إنك

وقفت ببابك موضوع الأعلام ، فلم تجز بعد

أن يقال مثلا : محمد على حسن ، موقوفة

كلماته ، غير ملحق بها كلمة ، « ابن » .

فحتى متى تظل أسماؤنا لا تكتسب وصف

الشرعية اللغوية الفصحى ، وحتى متى

نظل بأسمائنا مواليد غير شرعيين فى النسب

اللغوى الصريح . وفى اللغة منادى للإجازة ،

إما على أن الوقف جائز مطلقا فى لغة تميم ،

وإما على أن الوصول هنا بنية الوقف ، أو على

إعطائه حكمه ، أو على إجرائه مجراه ، بحسب

اختلاف تعبير النحاة : والحق أن الأسماء الآن

ليس من غرضها التفسير الذى يتوضح بذكر كلمة « ابن » وإنما يسمى المرء باسمه المؤلف من كلمتين أو ثلاث أو أكثر ، ولو نقص الاسم كلمة لما تعرف . وعندى - إن كان لى « عند » - أن الذين ينتظرون الرجوع إلى نسق الأعلام على الوضع المأثور سيبلغون مناهم إذا شاب الغراب ، أو إذا القارظ العزى أب .

ثانيا - بودى أن أقول للمجمع إنك وقفت ببابك الألف اللينة ، لا تبت فيها برأى يرفع الحرج ، وهو كتابتها ألفا بإطلاق . ولو فعلت لسايرت بذلك رأيا لأئمة فى العربية أثبات ثقات . وأما الاعتراض على ذلك بأن كتابتها ألفا أو ياء ملحوظ فيه مراعاة الأصل النحوى . فردود عليه بأن الخط لا يجيب عن أسئلة تتعلق بأينية لكلام .

وثالثا - بودى أن أقول للمجمع إنك وقفت ببابك أختنا اللطيفة « حواء » ، يطرق لها الباب طارق بعد طارق ، ومازلت عنها عازبا لم تأذن لها بعد ، وأمام عيني طيف الشيخ « السكندرى » فى الدورة الأولى للمجمع ، قبل أربعين عاما ، يطالب بالنظر فى إشرارك النساء فى أعمال المجمع فى كراسى الأعضاء المراسلين ، إذ كانت كراسى الأعضاء العاملين مشغولة جميعا . وقد اشترك فى مناقشة هذه المطالبة عدد من أعضاء المجمع يومئذ .

ولا نزاع فى أن المرأة قد أسهمت فى وجوه النشاط العلمى والأدبى بقدر ملحوظ ، ولا تعيا بأن يكون لها فى النشاط الجمعى أثر محمود .

ورابعا - بودى أن أقول للمجمع إن المعجمات العربية حتى اليوم مقصورة على مأثور اللغة ، يضاف إليه ما يتخطف من المحدث ، وأما لغة الحضارة العربية والإسلامية على مدى عشرة قرون أو نحوها فلا وجود لأكثرها فى معجم مستقل ، أو فى المعجمات على تعددها ، ما قدم منها وما حدث . وهى مهمة خطيرة جدية أن يوليها اتحاد المجمع اللغوية وجامعة الدول العربية ما يجب لها من مؤازرة لإنجازها . وليت الذين يتزاحمون لإخراج معجمات متشابهة متناظرة يدلون بدلوهم فى هذا العمل الإنشائى الضرورى . فلا جديد فى تأليف تلك المعجمات المتنافسة . إلا ظاهرة العدول عن الترتيب الاشتقاقى إلى الترتيب اللفظى . وكنت مع المعاصرين أحسب أن ذلك لم يخطر ببال الأقدمين ، وأعلى الآن أسبق من ينبه إلى أن هذا الترتيب اللفظى حاوله مؤلف مصرى فى القرن الثامن الهجرى ، قبل ستمائة سنة ، ذلك هو المقرئ « الفيومى » ، فوضع معجما قدم فيه كل حرف باعتبار اللفظ إلى أسماء وإلى أفعال ، ثم رأى أن ذلك يجر إلى ملل ، ينطوى على شغل ، فلم يرض به ، وعدل عنه .

وخامساً — بودى أن أقول للمجمع إن التراث اللغوى الذى تتجه همم المحققين إلى نشره ، فيه حظرا لما هو مباح ، وتقييدا لما هو مطلق ، وفيه أحكام مردودة مستدرك عليها . فإذا وقف التحقيق عند تحرير النص كان هذا التراث ماثرا بليلة واضطراب فى التخطئة والتصويب ، وكان إثمه أكبر من نفعه . وإذا توخى المحقق أن يستوثق ، فيعتب على النص بما يضع الأمر فى نصابه ، خرج من نطاق النشر إلى نطاق البحث والتأليف ، وألزم نفسه كلفة ليس النهوض بها بالأمر اليسير ، وأوغل فى طريق لا يؤمن فيه العثارة . وما أوجب أن يخضع نشر هذا التراث اللغوى لمقاييس ترسم خطين متلازمين : تحقيق الإفادة به ، وتلافى الضرر منه .

وسادسا — بودى أن أقول للمجمع إن الحروف العربية متشاكلة بصورها ونقاطها ، وليس يغنى تيسير حروف الطباعة عن تيسير الكتابة . والواقع أن تشابه الحروف وتداخل النقاط كان محل الشكوى منذ العصور الأولى . وفيما يقال إن الفيلسوف « ابن رشد » كتب يقول : « رأيت الزرافة عند ملك البرين » فحدث التصحيف فى كلمة « البرين » فصارت « البربر » ، وكان هذا التصحيف سببا فى محاشمة « ابن رشد » ونكيبته .

وأذكر أنى منذ قريب كنت أراجع جملة من كتب أسماء الصحابة ، فإذا هى متنازعة — أيما تنازع — فى الكثير منهم ،

حتى بلغت المنازعات فى اسم أحدهم ثمانية عشر قرولا ، وذلك بسبب التباس الحروف واختلاط النقاط . وستظل الكتابة العربية مستهدفة للتصحيف والتحريف ما بقيت مشكلة النقط وتشابه الحروف دون علاج .

أيها السادة :

صح تقديرى ، وأنا أكتب هذه الكلمة ، أن أستاذنا « عبد الحميد حسن » سيستقبانى باسم المجمع بما هو أهله ، لا بما أنا أهل له . وقد عهدته مجاملا محاسنا بحق وصدق وإخلاص . ولا شك فى أنه فيرحب بفرح الوالد بأحدث أولاده ، حتى فى حفاوة الأستاذ بأصغر تلاميذه ، وأنه ناسج لى بحسن ظنه وبراعة فنه ثوبا موشيا وإن كان فضفاضيا أنخب فيه وأكاد أتعثر : ثم هو ساع بذمة المجمع ، حمل عنه أمانة الدفاع عن اختياره إياى ، ولا يعيا أستاذنا بالاضطلاح بالأمانة ، فى حذق وكياسة . أما السادة الأعضاء الأكارم الذين منحونى أصواتهم ، وعبروا بى — وهم فى أوان العبور — إلى مكانتهم ، فقد أرادوا هذه المرة أن يقيموا معيارا للاختيار ، غير معايير الكفاية والاقتدار ، ذلك هو معيار البريمن قضى فى مجمعهم زهرة عمره ، وفسحة دهره ، فلم يجادوا بأسا فى أن يفسحوا فيما شغل من كراسى المجمع لمن كان بهم ، وكان لهم ، ليكون منهم بينهم . وإنى متوجه إليهم من صميم قلبي بتحية عرفان وشكران ، جزاهم الله جزاء الإحسان .

كلمة الأستاذ الدكتور أحمد عز الدين عبد الله

في حفل استقباله عضواً بالمجمع

السيد الرئيس

العاملة والعلمية : ومسبغاً على ما شاءه من
عبارات التقدير .

السادة الأعضاء

وإذا سمح لي أن أعتب على هذه الكلمة
لقلت إنى لا أزال طالب معرفه . وإنى لواجد
في مصاحبة هذه الصفوة من العلماء طريقاً
، للمنهل العذب في مختلف فروع المعرفة .

سادتى :

لقد تفضل المجمع باختيارى عضواً به
في المكان الذى خلا بوفاة العالم اللغوى الخليل
المرحوم الأستاذ على السيد الجندى .

وإذا كان قرار المجمع قد أحلنى مكانه
فإن خلافته في مكانته أمر يشق على من
يخلفه .

ولست أقف اليوم معرفاً بسلفى العظيم
فقد اتخذ مقامه في موضع الإشعاع من ميادين
العلم والمعرفة . لقد عرفتموه معرفة راسية
الأسس قبل أن دعوتموه إلى عضوية المجمع
واستعرضتم حياته العاملة والعلمية حينما
استقبلتموه ؛ وزادت معرفتكم به وثوقاً
حين زاملتموه عضواً مفيداً مخلصاً ، أسهم
في عملكم بقدر ما سمحت به البقية من عمره

لأنه ليشرفى أن أقف متحدثاً أمام هيتكم
الموقرة ، التى تستمد قدرها من الهدف
الحلال الذى تتغياه ، ومن الجسم أعضائها
القسم من أهل العلم والفكر الحر ، يشرف
بكل منهم ماضيه ، ويزهو به حاضره
ويترقبه مستقبله .

ولأنه ليزيدنى شرفاً أن تخطبنى هذه الهيئة
الكرامة لأكون عضواً بين أعضائها .

ولقد حق على أن أشكر لها هذا الصنيع
وإذا كانت كلمة الشكر مجرد تعبير في صورة
سلبية عن العرفان بما قدمتموه إلى ، فإن
الصورة الإيجابية منه تقضى العمل الدؤوب
والمعاونة الصادقة في نشاط المجمع مما أعاهدكم
عليه في عزم وإصرار .

كذلك فإن كلمة الشكر تضيق عن إيفاء
الأستاذ عبد الحميد حسن حقه لقاء ما تلقاني به
في كلمته ، التى القاهامشكورا الصديق الدكتور
مهدي علام ، عارضاً ما سلف من حياتي

وإذا كنا الآن في موقف الذكرى من
فقيدنا العزيز ، فإننى أجمل تاريخه فيما يسمح
به الوقت من كلمات :

حياة مليئة بالعمل العلمى الجاد المحدد
في مراحلها كافة : في مرحلة التعليم العام ، وفي
مرحلة الأستاذية بكلية دار العلوم . أبكر
بالتأج البكر ، واستمر طوال حياته نتوجا
في علوم البلاغة ، حيث تجلت مواهبه في
أقوى مظاهرها وأجمل صورها .

وبجانب ذلك كان فقيدنا أديبا شاعرا
جاوزت قصائده منظوماته الألف : وأربت
عيون أبياتها على عشرة آلاف .

أذكر مما أخرجته من كتب في البلاغة
والآدب والنقد :

(١) فن الاسجاع .

(٢) فن الجناس .

(٣) فن التشبيه .

(٤) البلاغة الغنية .

(٥) سياسة النساء .

(٦) الشعراء وإنشاد الشعر .

(٧) خمسة أيام في دمشق .

(٨) الشدا المؤنس في الورد والبرجس

(٩) تفتح الأزهار في مولد المختار .

(١٠) الشاعر المؤمن الصوفى :

(١١) قرّة العين ، في رمضان والعيدين .

(١٢) سيف الله خالد :

(١٣) الجن بين الحقائق والأساطير .

ومن مؤلفاته بالاشتراك :

(١) أطوار الثقافة والفكر .

(٢) سجع الحمام في حكم الإمام .

* وأذكر من مؤلفاته الشعرية :

(١) ديوان أغاريد السحر . وقد نال

الجائزة الأولى من المجمع سنة ١٩٤٨ ،
وأبياته نحو ٢٦٠٠ بيت .

(٢) الحان الأصيل ، في نحو ٤٥٠٠ بيت .

(٣) ترانيم الليل ، في نحو ٣٥٠٠ بيت .

وهذه الذكرى العاطرة للأستاذ على
الهندي العالم الأديب الشاعر ، تصحبها
ذكراه الطيبة في عمادة كلية دار العلوم :
فقد اتسم فيها باليقظة والحكمة وحسن التقدير
وسلامة التصرف ، فاتفرت محبته وجرى
الشناء على عهد .

وكان لفقيدنا ، خارج الجامعة ، نشاط
كبير في المناصب التي اجتذبت إليها : حيث
كان عضوا بلجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية
الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، وعضوا

بلجنة التعريف بالإسلام ومقررراً للجنة القرآن والسنة بالمجلس لأعلى للشئون الإسلامية.

إن رجلاً هذه حصيلة حياته لحدير بأن يفخر به جيله ، وأن يكون عمله نوراً وهدياً للأجيال اللاحقة .

رحم الله الفقيد واسكنه فسيح جناته .

سادق :

إن مجمعكم الموقر هو حصن اللغة العربية وهو حصن مفتوح النوافذ والكوى ، لتدخل منها تيارات الفكر والحضارة ، فيطورها على الزمان . ولذلك نراه ، وهو الحفيظ على تراث قيم تركه الأسلاف ، يأخذ بيد اللغة العربية حتى تطاوع مقتضيات الحديد في ميادين العلوم والفنون ، دون تفريط في أصولها التي لا تحمل التغيير أو التبديل .

وإن ما أثمره المجمع ، خلال ما مضى من السنوات على ميلاده ، مما ترخر به مطبوعاته المنشورة ، لخير دليل على العمل الجاد المتزن ، الذي يوفق بين ما ينبغي الجسوء في الإبقاء عليه ، وبين ما يمكن تجديده أو استحداثه سداً لحاجات تلك الميادين .

وليس ثمة من شك في أن ما أقره المجمع من مصطلحات في المتنوع من العلوم لكفيل بأن ييسر على الباحث كتابة المادة العلمية

في أسلوب لغوى علمى . ومن المعروف أن الأسلوب اللغوى العلمى في أية لغة يتسم بالسلامة لغوياً ، وبالبساطة والوضوح والدقة تعبيراً

ويجدر في هذا المقام توكيد العرفان بجهود الأوائل من المشتغلين بعدد من العلوم منذ أواخر القرن الماضى ، فقد وطأوا السبيل لمن جاء بعدهم بما وضعوه من مصطلحات علمية عربية ، وما كتبوه من مؤلفات وبحوث بأسلوب لغوى علمى يتصف بانتقاء اللفظ وجمال العبارة فوق ما ذكرت من الصفات .

وأرجو أن تسمحوا لى بالثنوية بأمور ثلاثة تبدو واصنحه فى أيامنا هذه :

أولها : موجة العامية التى تحتاج بعض الميادين وتجد من المروجين لها من يقتضى حسن الظن بهم القول بأنهم لا يدركون مغبة العامية فى استرخاء وثاق من أقوى روابط الأمة العربية .

وثانيها : ضعف غالبية الجيل المعاصر من الشباب فى اللغة العربية وإن الاطلاع على أوراق اجابة الامتحانات فى التعليم العام وفى الدراسه الجامعية ، ليكشف عن أن هذه اللغة قد أصبحت بين أيديهم ربكاً

وثالثها : فقدان الأسلوب اللغوى العلمى
بعض ما نوهنا به من خصائص ، فى بعض
ما ينشر من الكتب العلمية وإن هذا الأمر
ليجرى على نقيض ما توجهه سنة التقدم
فقد نشر فى النصف الأول من القرن الذى
نعيش فيه الكثير من المؤلفات العلمية التى
تتميز بأسلوب لغوى رفيع ؛ كما ظهر فيه
من مارس الأدب ونظم الشعر من غير أهل
اللغة ؛ فجاء بين الأدباء والشعراء أطباء
ومهندسون ورجال قانون وهذه ظاهرة

أخذت تحبو ، وكان من الواجب أن تزيد
توهجا .

هذه أمور خطيرة ، لا يكفى علاجها
ما يجرى داخل حصن اللغة العربية من بحوث
وأعمال تنشر ؛ وإنما يجب أن يكون له فيها
قول بالأسماع ، وينبسط على مختلف
الميادين ، فرجاله يتمتعون بصواب الرأى
والجرأة فيه ، سعيا إلى المصلحة العامة .

وفق الله الجميع فى أداء رسالته الرفيعة
النافعة للوطن والأمة العربية كافة

● كلمة الأستاذ الدكتور عثمان أمين في حفل

استقباله عضواً بالمجمع

أيها السادة الأجلاء .

١- بابتهاج غامر ، أقف الساعة بينكم ، لأعبر عن عميق شكري لكم ، لما شرفتموني به من حسن الظن بي . وإني لأعتز أيما اعتزاز بهذه الثقة الغالية ، وأرى فيها علامةً على رضاكم عني رضى أعاهدكم على أن أعمل حتى أكون أهلاً له ، وأسأل الله أن يعينني على الوفاء به .

وهذا العطف منكم هو الذى يشد الآن من أزرى فى أداء تلك المهمة - ويالها من مهمة شاقة على - أن أتحدث فى دقائق معدودات ، عن مناقب شاعر كان من القيم الشامخة عندنا ، وأن أجده لذلك كلمات لا تقصر عن بلوغ شأوه ، ولا تهبط عن مكانة هذا المجمع المرموق ،

سواء فى حاضره الزاهر أو فى ماضيه المجيد .

٢- لقد تفضلتم ، أيها السادة ، فأخفيتكم على شرفين ، حين اخترتموني

واحداً منكم ، ثم حين جعلتموني خليفةً لعبقري من عباقرتنا ، رأى العارفون فى رحيله عنا حداداً للغة الشاعرة ، لافى مصر وحدها ، بل حيثما كان للعربية مكان ، ويشهد الله أنى كنت أوشر أن لا أخطو اليوم إلى مجلسكم هذا ، وأن يواصل عزيز مصر ، بل عزيز العروبة ، عمله الجليل بيننا ، يُبلِّغ رسالة الشعر الأصيل إلى جيلنا ، وإلى الأجيال الصاعدة بعدنا . ولكن الأمر الأليم قد وقع ، ولاراد لقضاء الله . وها أنذا أجدنى وجهها لوجه أمام تراث فكرى لغوى زاهر ، تراث أصالة فنية بيانية ، أسهمت فى فنون التعبير الجميل الرفيع بأوفى نصيب .

٣- أيها السادة الأجلاء : مرة أخرى أريد أن أشكر لكم قبولكم إياي فى صحبتكم : فقد كنت أحسب نفسى حتى اليوم « عابراً مبيلاً » ، كما يقول الكندى

« فيلسوف العرب » . فلما أذنتم لي
 أخيراً بأن أدرج في سلك الخالدين ، بدا
 لي أن الأخلق بي ، وأنا من العاكفين
 على الفلسفة ، أن أبحث عن بواعث
 هذا الاختيار ، حتى أهتدي إلى ما لعله كان
 يخامركم ، حين منحتموني أصواتكم .
 فيقيني أنه لم يكن من قبيل المصادفة
 أنكم جعلتم للشاعر الرائع ، الذي همس
 إلى الضمائر بأناته ، وهز المشاعر
 بمسرحياته ، خليفة لا يكاد يسمع له
 صوت خارج مدرجات الجامعة أو وراء
 تخصصات الفلسفة . ولست أدعى
 أنني وقفت على جليلة الأمر من مقاصدكم ،
 ولكني سعت إلى أن « أقرأ ما بين
 السطور » ، أو أن أجاوز الظاهر البادي
 إلى الماوراء المستور ، وفقاً لمنهج
 في البحث ، فتح الله به علي في الخمسينيات
 وحاولت الكشف عن أبعاده من بعد ،
 قانعاً في ذلك « بالرسم » دون « الحد »
 كما يقول مناطقتنا القدماء ، رضى الله
 عنهم أجمعين .

بدا لي بعد التأمل ، أنكم حين
 اخترتموني للتحديث بين يديكم عن شاعر
 مصر العزيز ، قد أردتم أن تؤكدوا من

جديد حقيقة نوه بها فلاسفة الإسلام من
 قبل ، وهى أن بين الشعر والفلسفة
 وشائج متينة ، يستطيع الكثيرون منا
 أن يلمحوها إذا اعتمدوا على « نور
 الخواطر » لا على مكتوب الدفاتر .
 وإذا صدق حدسى فلن يخيب تقديركم :
 لاني سأحاول أن أتحدث عن عزيز
 أباطه باللغة التى تناسب الشعر والفلسفة
 جميعاً ، أقصد لغة « الناطقية » التى هى
 فى الإنسان ماهيته وركيزة وعيه وضميره
 وتعبيره . وسأحاول أن أستشف تلك
 « الموسيقى الداخلية » التى صاحبت
 الشاعر طوال حياته ، وكانت مصدراً
 حياً لإلهامه .

يقول شاعر فرنسى معاصر : « إن
 الشعر زهرة من أزهار الشرق لاتحيا
 فى الصوبات الزجاجية . فإذا أردنا أن
 نهتدي إليها لزمنا أن نلتمسها عند منبع
 الشمس ، وفى هذا القول تمهيد لما أردت
 أن أستهل به كلامى عن عزيز أباطة :
 فقد نبئت شاعريته من تربة أرضنا بعد
 أن أنضجتها شمس بلادنا .

لقد كنت أحب أن أتكلم عن ديوانه
 « أنات حائرة » ، و « إنه لمن مفاخر

مصر الشاعرة « ، كما قال المرحوم على محمود طه . ولكن الوقت المحدد لا يشع لذلك ، ولا للكلام عن المعارك القلمية التي خاضها دفاعاً عن العربية الفصحى ، ولا عما أثرى به تلك اللغة المثلى في المنشور من مسرحياته ودواوينه وملاحمه . ولذلك أكتفى هنا بالإشارة إلى بعض قصائد غير منشورة ، كتبها الشاعر في حينها وطواها . وقد زودني بها صديقي الأستاذ أنور أحمد مشكوراً .

قال رحمه الله ، من قصيدة بعنوان

« من وحي النكسة » :

ليس بالمِدْفَعِ نصرٌ وحده

إنا النصر بعزم متحد

وقلوب برئت من ضغنها

وتخلى الخلف عنها واللدد

صديقوني ليس شيء نافعاً

أبد الدهر إذا الخلق فسد

وقال من قصيدة في رثاء السنهوري :

سأدين العدلِ أعرضَ العدلِ عنه

ماخراً من يقينه وخصايته

رأيه الحرُّ عدُّ من سيئاته
والإباء الوقور من سقطاته
ليس حكماً حكماً يشقُّ من الإر
هاب مهواته إلى شهواته
ومن تأملاته في شئون الناس قوله :
لا تلم طاعياً بغى فأذاق الناس ظمأ
وذلة فاستكانوا .

واصرف اللوم للألى مكنوه

وبنوه فاستحصد البنيان

كل شعب أذيق عسفاً فأغفى

كان عدلاً عليه هذا الهوان

أيها السادة

ليت عزيزاً عاش بيننا ، ليشهد

ماشهدنا من تفجر طاقات أمتنا . إذن

لظفرنا من شاعريته القياضة بما يملأ

جوانحنا آملاً وعزائماً إقداماً .

وبعد فقد آمن شاعرنا الراحل بما

آمن به المرحوم عباس محمود العقاد من

أن الشعر في صميمه هو التعبير الجميل

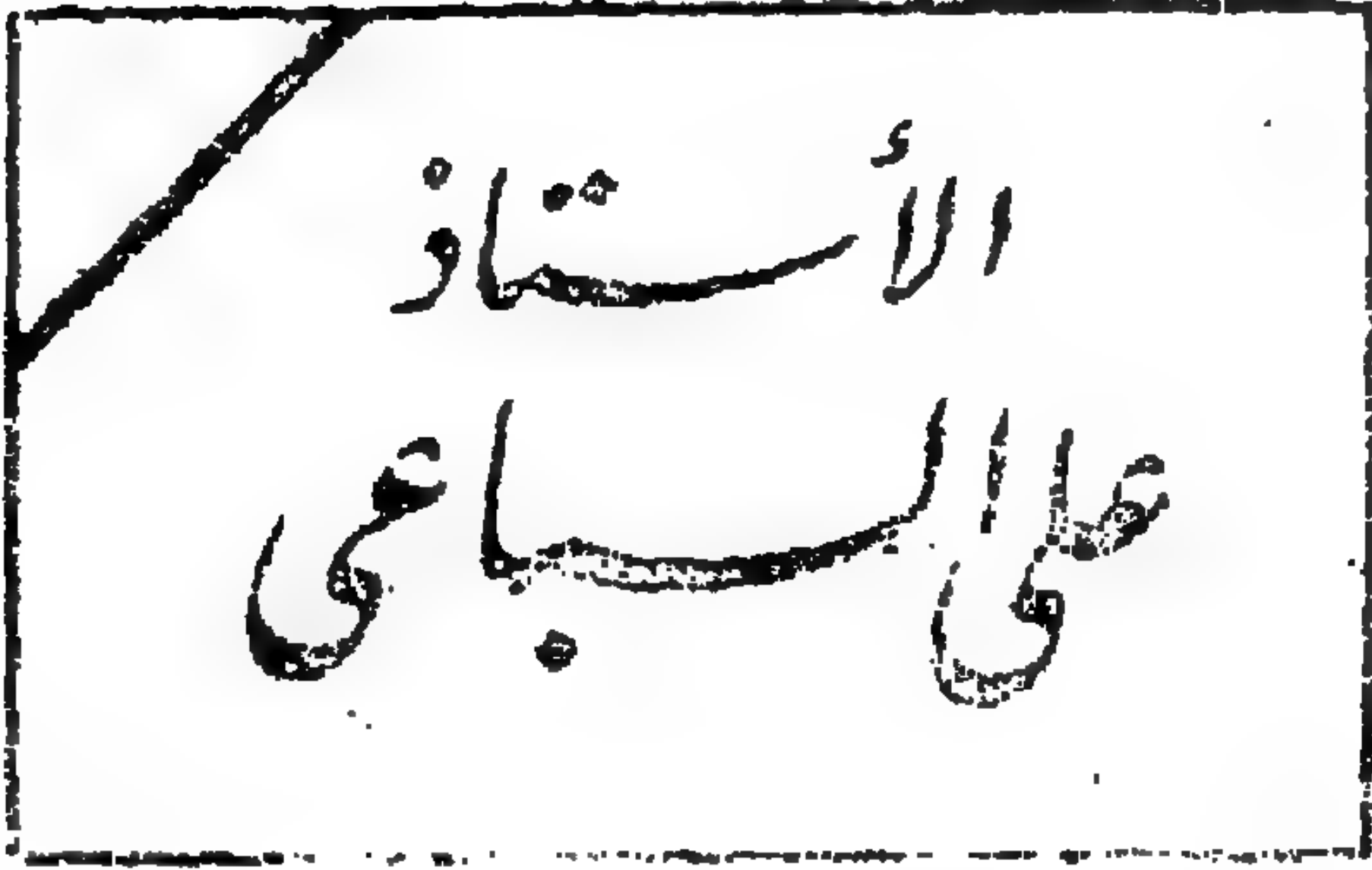
عن الشعور الصادق ، والشاعر يعمق

صلاتنا بالوجود ، ويفتح أعيننا على مافي

الكون من جمال . ولبت ينادى بأن الشعر هو أسمى مراتب الفن الأصيل وفهم الشعر على أنه لغة نسيجها دم ، ونبض وإيمان . وفهمه كذلك على أنه أكرم أداة تصل بين جمال الحياة الإنسانية وجمال الله الذي أبدع خلقه . إن قضية الشعر ، أيها السادة ، قضية جهرية . وقيمة الشاعر في أمته قيمة حضارية : إنه يجعل للحياة معنى ، وينشر في الأرض حباً ، ويمنح الروح سناء ، ويدود عن كرامة الإنسان . وقد عبّر الشاعر صالح جودت عن هذه المعاني أصدق تعبير حين قال في تأبين الشاعر الراحل :
قيمة الشاعر في أمته
أنه يفتح أبواب السماء
أنه يجعل للعمر شدى
أنه يمنح للروح الضياء

أنه بالشعريته قومه للطريق الحق والرأى السواء
وإذا كان أفلاطون قد نظر إلى الفلسفة بمعناها الأصيل ، أي بمعنى محبة الحكمة ، فجعلها « حارساً للمدينة » ، فالشعر بمعناه الواسع ، أي بمعنى أنه بحث للإنسان على فتح أبواب وعيه على الكون ، وتركيب ضميره لاستقبال نفحات السماء ، ينبغي أن يكون له مشاركة دائمة في هذه الحراسة الروحية . ورسالة الشعر - كرسالة الفلسفة - رسالة جوائية على الأصالة : أيكون الإنسان إنساناً على الحقيقة أم لا يكون ؟ تلك هي القضية كما جاءت على لسان « هملت » في مسرحية شكسبير الخالدة .
والسلام عليكم ورحمة الله .

كلمة الأستاذ زكي المهندس في تأبين المرحوم :



سيدي ، سادتي ،

ما أعجب تصارييف الأيام ، وما أقسى أحكام
القدر ، فنذ سنتين اثنتين سعد المجمع كل
السعادة باختيار الزميل الكريم والعالم الحليل
علي السباعي عضوا في المجمع .

في هذه القاعة نفسها استقبل المجمع زميلنا
الراحل بكل سرور وبهجة ، وها نحن اليوم
نودعه في حسرة وأسى .

لقد شاء القدر أن يكون هؤلاء الذين
استقبلوه بالأمس هم الذين يودعونه اليوم ،
هكذا شأن الحياة : استقبال فوداع ، وتفرق
بعد اجتماع وسرور وهناء ، ثم عزاء وبكاء ،
تلك هي طبيعة الحياة ، ولقد كان الفقيه قبل
وفاته بيوم واحد يجلس بيننا في لجنة الأصول
سليما معافى ، لا يشكو من شيء سوى ألم
بسيط يشعر به في الصعود والهبوط ، بسبب
ساقه ، بل لقد كان الفقيه قبل وفاته
يساعة أو بنصف ساعة محاضرا في لجنة
المعجم ، وما كاد يغادر المكان حتى أدركه
الموت في طريقه إلى داره .

إن الوفاة الفجائية التي هزت أعضائنا
تذكرنا أيضا بوفيات فجائية أخرى : ذهبت
بكثير من أعضاء هذا المجمع ، وإني أذكر
بهذه المناسبة : منصور فهمي ، وإبراهيم
مصطفى ، والشيخ محمد علي النجار ، ومحمد
عوض محمد ، ومصطفى القلبي ، وعلي الخندي ،
رحمهم الله وأسكنهم فسيح جناته ، وها نحن
نضيف اليوم إلى هذه القائمة الحزينة وفاة
علي السباعي .

قد يكون في هذه الوفيات الفجائية بعض
الراحة أو الرحمة بالأموات ، ولكن ما أقساها
على قلوب الأحياء . إنها تترك في نفوس من
حولهم أشد الحزن ، وأعنف الأسى .

إن فجعية لجنة الأصول في علي السباعي
فجعية أليمة قاسية ، فقد فقدت فيه اللجنة
ثروة لغوية ضخمة ليس من السهل أن تعوض ،
لقد كان رحمه الله عالما حجة ولغويا ثقة ، فما
من مسألة لغوية أو بحث لغوي عرضت له
اللجنة إلا وكان للفقيه فيه جولة تتم على سعة
الاطلاع ، وأصالة الرأي . والإحاطة التامة
بأمهات المراجع اللغوية ، ولكن ما حيلتنا في
قضاء الله ؟

* أقيم حفل تأبين بدار المجمع بالجيزة في صباح الأربعاء ١٩٧٤/٥/٢٢ ، وأقيمت فيه الكلمات التالية .

ليس لنا حيل الموت من حيلة سوى الصبر
والإيمان . إن الموت هو القانون الطبيعي الذى
لا يشذ ولا يتخلف ، والحقيقة الكبرى التى
لا يأتىها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ،
فكل حى إلى فناء ، وكل نفس ذائقة الموت ،
وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى
نفس بأى أرض تموت :

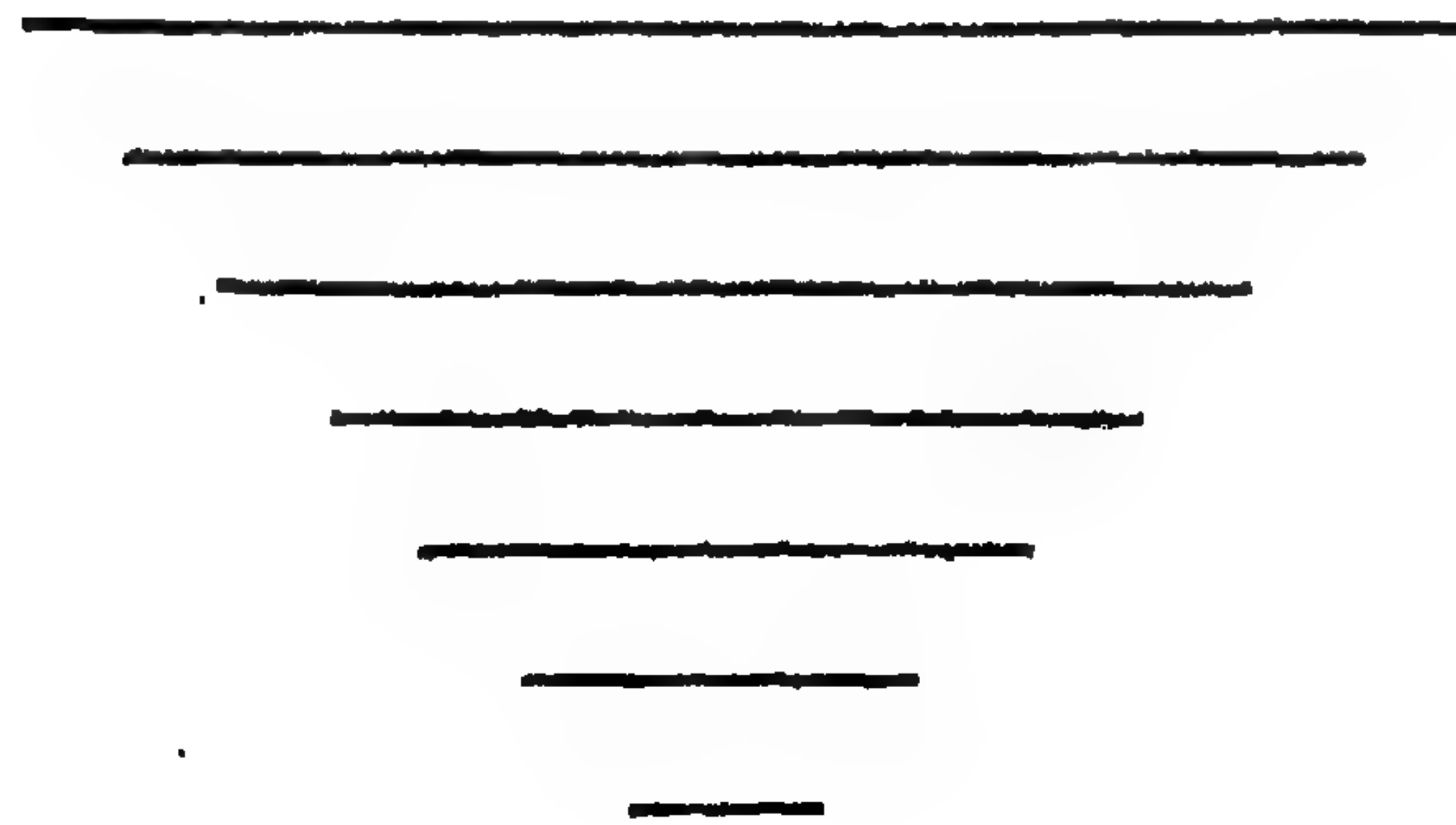
إننا أيتها السيدات والسادة نؤمن بهذا
كله ، ولكن الذى يحز نفوسنا
الموت السريع الذى يتخطف زملاءنا فى
وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى علمهم
وكفائهم ونشاطهم .

رحم الله الفقيد رحمة واسعة ، وجزاه
عما قدم للغة بخير ما يجزى به العاملين
المخلصين .

أما الآن أيتها السيدات والسادة فسيتم
تأبين الفقيد نيابة عن المجتمع صديق الفقيد
الزميل الأستاذ عباس حسن .

ثم يليه الدكتور كمال بشر عميد كلية
دارالعلوم فيلقى كلمة الكلية ثم يليهما السيد
اللواء الصاوى عيسى شقيق الفقيد فيلقى
كلمة الأسرة .

فليتمفضل الزميل عباس حسن وشكرا .



● كلمة الأستاذ عباس حسن

باسم الله القاهر فوق عباده ، تؤمن به
عن يقين لا يشوبه زيغ ، ونستسلم لقضائه
في رضا لا يزعه ريب ، واطمئنان لا تنال
منه أحداث الزمان ، ولا نوازل الليالي .

وأصلي وأسلم على أنبيائه ورسله ،
مصابيح الهداية ، ومناثر العرفان . وأذكر
بالتجلة والإكبار أعلاما من أئمتنا الأخيار
الأبرار ، وهبوا أنفسهم للدين واللغة ،
ووقفوا حياتهم على خدمتهما ، والدفاع
عنهما ، في غير مكمل ، ولا قصور ،
ولاشطط ، ولا جمود .

وأقسموا على هذا وأبروا ، وصدقوا
معاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ،
ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا .

ومن هؤلاء الأخيار الأبرار المجمعين
الأستاذ : على السباعي الذي نجتمع اليوم
لإحياء ذكره ، بعد أن اجتمعنا منذ شهور
قليلة لاستقباله ، والاحتفاء بقدمه ، وانضمامه
إلى زمرة : « الخالدين » . فلا حول
ولا قوة إلا بالله .

وما عسى أن أقول عنه في موقعي هذا
من صفات التقدير الحق ، وعبارات الثناء
النزيه ونحن في عصر فقدت فيه ألفاظ الثناء
خصائصها ، ودلالاتها ، وحسن بهاها

وروائها ، بالابتذال المهين ، والاتجاه
الخاطيء ، والكذب البغيض ، والرياء
الطاغي ، فما أكثر ما نسمع تلك الألفاظ
المرددة عن جهالة ، أو مداهنة ، أو زلفي ،
أو سوء اصطناع ، من أمثال وصف فلان
بأنه العالم الثابت ، الحجة المحقق ، البحاثة
المتفقه ، أو : أنه العبقرى الفذ ، وحيد
زمانه ، وفريد عصره وأوانه ، وما أكثر
ما تصكك أسماعنا أو صاف كهذه أو أرذل
منها في عبقرى آخر من طراز ذلك العالم
العلامة الخبير بالبحر الفهامة ، وما أكثر هذه
الطرز ، وأوفر الألفاظ من أمثال أولئك الذين
غصت حناجر الجهلاء والمتزلفين بمدحهم ،
وشرقت أفواههم بالحديث المعاد المكرر
عنهم ؛ حتى صارت المدائح متعاورة متبادلة
كثياب الزينة المستعارة أو المستأجرة ؛ يخلعها
هذا ليابسها ذاك ، ويخب فيها اللاحق محاكاة
للسابق . بل صارت تلك المدائح لسامعها
أو قارئها ضربا من التعذيب ؛ لا يقوى على
احتماله إلا من يطيق احتمال الأذى ورؤية
جانبيه .

فمن عذيري اليوم إن سلكت في تأبين
فقيدنا مسالك السالقين ، وترسمت خطاهم
وسرت على الدرب ؟

شفيعى إليكم أنكم ستسمعون عن فقيدنا
الكبير ما تعلمون أنه الحق البعيد عن جنف
الهوى ، وزيف النفوس .

لقد كان فقيدنا أحد أعلام أربعة فقههم
المجمع في شهور قليلة وهو أشد ما يكون
حاجة إلى الانتفاع ، واهبهم الفسدة ،
وذخائرهم اللغوية النفيسة ، فوق ما منحهم
الله من خاق قويم ، ونبل أسمى ، وأعني بهم
الاستاذين الأجداد : عزيز أباطة ، وعلى
الهندى ، وعلى السباعى ، وعبد الحكيم
الرفاعى . رضى الله عنهم وأرضاهم ،
وأكرم مثوهم ، وتولى عنا حسن الخزاء
وجميل المثوبة : فلما عن بعض هذا لعاجزون
وحسبي الساعة أن أرمر إلى بعض فضلهم
وفضائلهم ، بالحديث عن واحد منهم ، وهم
معه في هذا الحديث مقصودون .

عرفت فقيدنا - أول ما عرفت - في مطلع
السنوات الثلاثينية ، ولم تكن تلك المعرفة عن
تلاقٍ ومقابلة ، وإنما كانت عن سماع باسمه
وترديد لمزاياه من يعرفونه ، وقراءة لبحوث
ومقالات لغوية وأدبية تنشرها له الصحف
والججلات الرصينة ، ولا سيما صحيفة : «دارالعلوم»
فتشوقت إلى رؤية هذا الباحث ، وتشوقت إلى
لقاءه ، وكنت إذ ذاك في فجر حياتي التدريسية
وحولى من هم أقدم منى بالتدريس ، وأسبق
إلى ميدانه بعشر سنوات أو تزيد ، يعرفون
من أسرار المهنة ومنازل رجالاتها في
الشئون اللغوية ما لا عهدنى به . وكنت أسمعهم
في محاوراتهم وكل مشكلاتهم يرددون اسم

مدرس فنى تخرج في دار العلوم سنة ١٧ اسمه
«على السباعى» . رأيتهم يرجعون إليه وينقلون
عنه كما يرجعون وينقلون عن المعاجم
اللغوية ، والمطولات النحوية والصرفية
والعروضية ، يأخذون برأيه ، ويقفون عند
فتواه ، والقول ما قال ، فتزول به الحيرة ،
وينقطع الحوار .

تردد هذا وتكرر حتى استرعى انتباهى
وشدنى إلى رؤية هذا الشاب النابه ، والجلوس
إليه . وتحقق لي ما أردت ، فإذا فنى فارع الطول
ملئء الجسم ، وسيم الحياء ، جميل الوجه ،
فاره الرجولة ، فى أدب جم ، وحياء محمود ،
وحسن حديث ، وحيد لصغاء . ودار
الحديث بيننا شهيا طليا فى موضوعات تتصل
بعملنا ، وباللغة وفروعها ، فرأيت وسمعت
مأثار عجبى وإعجابى . ثم تكرر اللقاء
والحديث والحوار ، فزاد التقدير والإكبار
واستخلصت من كل ذلك ظاهرتين أصيلتين
ملازميتين لفقيدنا الكريم ، إحداهما :
دينية ، والأخرى لغوية .

فأما الدينية فتجلت فى حرصه على
إقامة الشعائر الدينية المختلفة فى صورها
الحميدة المصفاة بجهد طاقته ، فى غير
دعاية ولا تظاهر ، ولا جمود ، ولا استهانة ،
فى زمن من قال فيه قولا شعر ، ومن
خط فيه حرفا غدا أكتب الكتاب . وما أعلم
شهد الله - وقد زاملته طويلا - أنه توانى فى
أداء تلك الشعائر أو قصر فى إنجازها على
خير ما يرجى من أمثاله الطائعين الصادقين .

ربتمسكه بدينه ، وحرصه عليه في غير
تصنع ولا تقصير - طهرت نفسه ، وارتدت
الآفات عن أخلاقه : وذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

وإن كان لي ما أخصه بالذكر في هذه
الناحية فهو استظهاره القرآن الكريم على
الوجه الأكمل ، ومدوامه قراءته قراءة
واعية ، موزعة نجوما وأجزاء على أيام
السنة ، لكل يوم جزء معلوم يستعيده ،
ويسئلهم فوائده وفرائده الدينية واللغوية
والأدبية ؛ تختزنها ليوم تشرئب فيه الأعناق
بحثا عن معين الفتوى ، وفيصل الرأي
ويتساءل الباحثون : أين على السباعي ؟

تلك هي ناحيته الدينية في لمح وإيجاز
وأما ناحيته اللغوية فأمرها عجب أي
عجب ، فلست أعرب في المعاصرين من
أهل الكفايات اللغوية - على وفرة عددهم ،
وفيض مزايهم ، وأصالة مواهبهم - من
هيا نفسه أو هيء له أن يقرأ المعجم اللغوي
الأدبي الأكبر المسمى : « لسان العرب » كما
قرأه على السباعي في أجزاء العشرين التي
تبلغ صفحات الجزء الواحد منها : أربعائة ،
أو تزيد .

هذه دعوى سمعتها منه في بيته لمناسبة
طارئة ؛ فألحمت إليه في سرعة وخفة ما يفيد
أن الدعاوى إن لم يقم أصحابها بينات كانوا
أدعياء . فأدرك ما أرمى إليه ، ومد يده إلى
نسخته الخاصة من : « لسان العرب » واستعرض

في عشرات الصفحات ما يؤيد دعواه
ومددت يدي كذلك اعتباطا فوجدت
مثات الصحف لا تخلو من أثر يدل على
قراءته قراءة واعية نافعة لا يتسع المقام
لعرض الكثير منها . وحسبي أن أشير إلى
نموذج واحد مما شاهدته وقرأته . ففي الجزء
الثالث عشر ، مادة : « جدل » يسجل
اللسان النص الآتي :

(قد يقال للأجل أجدي ، ونظيره
أعجم وأعجمي ، أنشد ابن برئى لشاعر :
« كأن بني الدأماء إذ لحقوا بنا . . . الخ »)
وهنا كتب على السباعي : هذا الشاء
هو القطامي ... وورد البيت في قصيدة
المدونة في ص كذا . . ()

وفي نفس المادة قال لسان العرب ما نصه :
(قال الشاعر : قد أركب الآلة بعد الآلة ..
وهنا كتب على السباعي : هذا الشاعر هو
أبو قردوده .

وفي مادة : « جزل » قال اللسان : « تفسر »
فقال على السباعي « الصحيح : تعسر كما
في المخطوطة الأصلية في الصفحة التاسعة .
وفي مادة : « حثل » قال اللسان :
« ريشه قد تصوعا » . فكتب على السباعي
الصواب : تصوعا كما ورد في مكان آخر
من هذا الجزء .

وفي باب : « حجل » قال اللسان البيت
من الخلع ، فقال على السباعي هذا البيت
لا يصلح مخلعا .

وأمثال هذا كثير ، ما كنت لأصدقه إلا بسلطان مبين ، هو سلطان العين الباصرة ، والأذن الواعية ، والواقع الذى يعلن عن نفسه فى صمت أبلغ من الكلام ، وأقطع فى الفصل من طويل الجدل .

ولقد غمرنى الدهش من هذا العمل المعجز ، والجهد الجاهد الذى لا يقدر عليه إلا أولو العزم ، من تخيرتهم المقادير للحلائل المهام ، واصطفهم لعظام الأمور ؛ حتى لقد كدت أن أنكر ما أرى وأسمع لولا أن من الله على بالاطمئنان لما أرى ، وشرح صدرى للإيمان بالواقع الحق والاعتراف لصاحبه بما تفرد به - أو كاد - بين معاصريه .

على أنى لم البت أن وقعت فى جديد من الحيرة والاضطراب ، بل فى مزيد من العجب والإعجاب ؛ فقد تدبرت - بعد أن استرجعت نفسى ، وانتزعته من الدهش الغامر - ما صنع فقيدنا فى تعليقه على مواد : « لسان العرب » ، وما تغنياه من ذلك التحقيق ، فاذا أمور ثلاثة سعى إلى تحقيقها مجتمعة وعمل على اقتناصها مكتملة ؛ فتم له ما أراد وما أشق الأمر الواحد منها على رجالات عصورنا الحديثة ، إلا من تخيره الله لمثل هذه الحلائل ، ومنحه من الصبر والجلد وصادق الرغبة ما منحه الفقيد الحليل : فأما أولها : فتصحيح ما أخطأ اللسان فى نقله عن المراجع القديمة ، أو فى فهمه ؛ فرى صاحبنا يصحح ويؤيد التصحيح بذكر المراجع الوثيقة التى تؤيده .

وأما ثانيها : فتكملة الأبيات الناقصة التى يستشهد بها صاحب اللسان - وما أكثر تلك النواقص - فيتمها فقيدنا نقلا عن مصادرها الصحيحة . وما أجزل النفع بهذا للمشتغلين بفروع العربية المختلفة ؛ متبها ، ونحوها ، وصرفا ، وأدبها : وأما ثالثها : فتصويب ما أخطأ اللسان فى نسبته إلى غير قائله ؛ فيرد للنص مكانته ، وينسبه إلى صاحبه . تلك هى الأمور الثلاثة التى سعى فقيدنا إليها ، وأدرك منها ما أمثل ، وحقق ما ابتغى .

والمشتغلون بالعلوم اللغوية المنقطعون لتحصيلها ، يدركون أتم الإدراك ما فى هذا من عناء ، وما له من جليل الفائدة .

ولست بصدد أن أذكر ما للفقيد من من مشاركة نافعة فى الكتب المدرسية المختلفة ، فشتان بين النوعين ؛ نوع « مدرسى » ليس فيه بأوحد ، ونوع آخر لا يقدر عليه إلا من اختارهم الله لإنجازه ، واحتمال مشاقه ، وعرض عمراته ، وقليل ما هم .

ولقد بلغ من حب الفقيد للغته ، وهيامه بها أن أقام نفسه ، ديدبانا عليها ، يصونها ويرعاها منذ سنواته الأولى بعد التخرج ؛ يدفع الألفاظ الدخيلة ، والأساليب المريضة ؛ وله فى هذا مجالس ومحافل ومقالات يعرفها المترددون على : « نادى دارالعلوم » القديم والمرافقون له فى التدريس بالمدارس الثانوية وكليتى « الحقوق » و « دارالعلوم » ، والقارئون للمجلات العلمية والأدبية ولا سيما صحيفة

دار العلوم : وبحوثه في مصر وغيرها ينقلها عنه قراؤه وتلاميذه ومريدوه في مصر وغيرها ، كالقدس ، والحجاز ، حيث قام بالتدريس في تلك البلاد الشقيقة العزيزة : وما لنا لا نشيد بمواقفه الغراء في سنواته التدريسية الأولى حول سنة ٢٠ وماوليا حين كانت بلادنا ترزح في تلك السنوات تحت أهوال الجهالة الجهلاء والاستعمار الغاشم ، وكلاهما عدو اللغة ، بل أشد أعدائها فتسكا وضراوة . فقد شاء الله أن يخرج « على السباعي » من دار العلوم في العشرة الرابعة من سنوات الاستعمار المتغلغل في بلادنا ، الحاثم على صدورنا ، العامل جهده على تحطيم مقدساتنا ، ولا سيما اللغة ؛ أقوى الروابط بين البلاد العربية الشقيقة ، وإن بعدت أنحاؤها وترامت أرجاؤها : وزاده بطشا وتمسكينا في تلك الحقبة اشتعال الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ وما نشرته من أهوال وكوارث ، وما بثه المستعمر في النفوس من إرهاب وفجائع ، وما نجح فيه منذ بدء احتلاله سنة ١٩٨٢ من نشر لغته في المدارس ومعاهد التعليم ، وما نجح فيه بدهائه وسلطانه من إعداد أجيال جديدة تألف لغته وتزدري لغة الآباء والأجداد ، بل تزدري كل ما هو مصري ، وتندفع في محاكاة المستعمر تشبها به وإرضاء له واستهجالا بالمنافع الخاصة من وراء ذلك ؛ حتى قويت لغة المستعمر وعز شأنه وشأنها ، وقهرت العربية وضعف شأنها وشأن المشتغلين بها ، وارتفعت الأصوات المخلصة

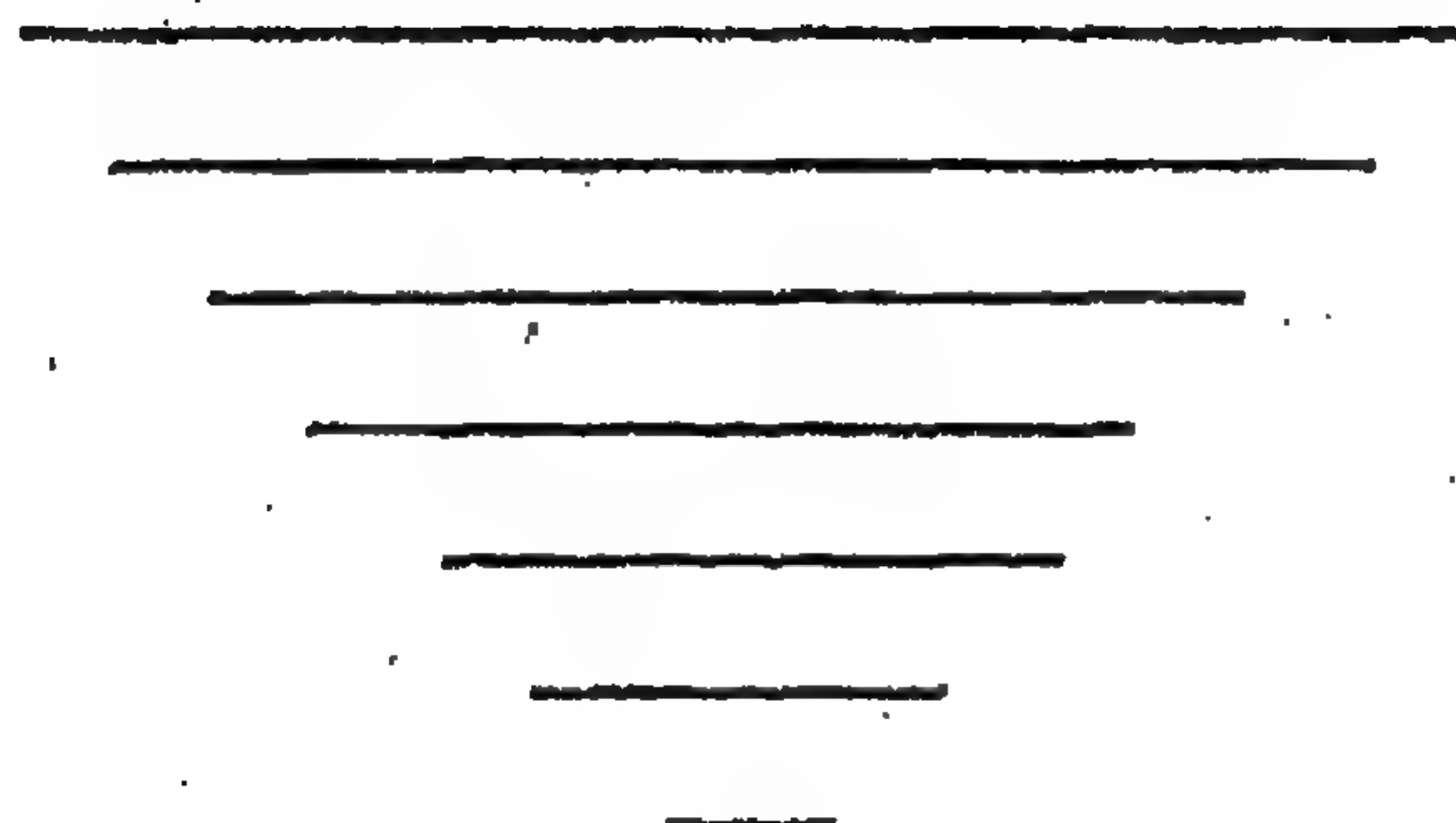
المحذرة من وخيم العواقب المترتبة على هذا الاندفاع الأحقق ، والتقليد المدمر في هذا يقول الشاعر الكبير « محمد حافظ إبراهيم » ناصحا محذرا كاشفا عن الخطأ والخطر .

« لا تحذ حذو عصابة مفتونة الخ وفي هذا الجحوظ المظالم المظلم : وفي تلك الحقبة الحالكة السوداء انتفض على السباعي واقفا في ساحة اللغة ، مدافعا عنها بلسانه وقلمه ، لا يمل ، ولا يسأم . ولا يدع للضجر سبيلا إلى نفسه . ونجح في الدفاع أيما نجاح وأدرك منه ما يخلد فضله : ويسجل جهاده :

وإن الأمانة التاريخية ، والصدق في تسجيل الأحداث ، ليقضيان أن نذكر الفضل لأصحابه جميعا ، ولا نغفط أحداً حقوه ، هذا ينتهي بنا إلى أن نذكر بالثناء الجح : والتقدير الأوفى ، - ونحن في معرض الذكريات الكريمة - أعلاما سباقين إلى ما سبق إليه على السباعي وشاركوه أو أشركوه فيما وهبوا أنفسهم لانجازه وتحقيقه ، وكانوا سدة اللغة والدين الأوفياء ، والرعييل الأول في الحفاظ عليهما ، وصيانتهم مما أريد لهما من شر وفي مقدمة هؤلاء الاساتذة الأجلاء أبو الفتح الفقي - محمود البطراوي - نجيب حتاته - عبد الحميد حسن - محمد علي مصطفى - مهدي علام : رحم الله من سبق إلى الدار

الآخرة ، وصيان من بقى منهم في الدار
الأولى ، وأجزل لهؤلاء حسن الثواب وجميل
الجزاء ، احتملوا من عناء ، واضطهاد ، ومكائد
وأهوال ، ومظالم ؛ فلم تقلن لهم قناتة ، ولم
تخفت لهم أصوات ، واجتازوا المحنة - بل
المعنى المتوالية - بقلب سليم عامر بحب اللغة
والدين ، لا تزيده الشدائد إلا ثباتاً وإصراراً حتى
انجلي بعد الليل الطويل عن صبح مشرق ، صافى
الوضئانة والإسعاد ، لا طاقة لأحد على دفعه .

أى على : قد كان ما خفت أن يكون ،
بما ليس لأحد طاقة بدفعه ؛ فلا يسعنى
إلا الامتثال والخضوع لقضاء الله وقدره ؛
فانعم بجوار الله ، ويرضاه عنك ، ودعائنا لك
واهناً بما قدمت يدك من عمل صالح ضمك
إلى زمرة الذين أنعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء ، وأدخلك مدخل الأوابين
الأطهار ؛ ينظرون جزاء ما صنعوا يستبشرون
برحمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر
المحسنين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



•• كلمة الأسرة

للواء الصاوى عيسى شقيق الفقيد

الأزواج بالزوجة ، ثم كان أهر الآباء
لابنه وبناته أدى رسالته نحوهم على أتم
وأحسن ما يكون الاداء وكان رأيهم في
تعليم البنات ان يعلمها لا للتوظيف وإنما
لتكون سكناً أميناً لزوجها — والتكون
مربية لأولادها ، ولكون وافيها في تصريف
شئون مملكتها ، وكان رحمه الله أعطف
الإخوة بأخواتهم ، وأنا شخصياً حظيت
بهذا العطف : فقد تولاني منذ الصغر علمنى
وأدبنى وربانى ، وأنفق على حتى صرت
رجلاً . وكان رحمه الله فوق ذلك كله
أحب الإخوة إلى الأقارب والأصهار .
فقد كان دائماً أحفظنا جميعاً لصلة الرحم ،
فلما غاب عنا فتمدنا السؤال الدائم من الصغير
وعلى الكبير .

رحمه الله الفقيد رحمه واسعة وأسكنه
الفردوس مع الصديقين والأبرار اللهم آمين ،
والسلام عليكم ورحمة الله .

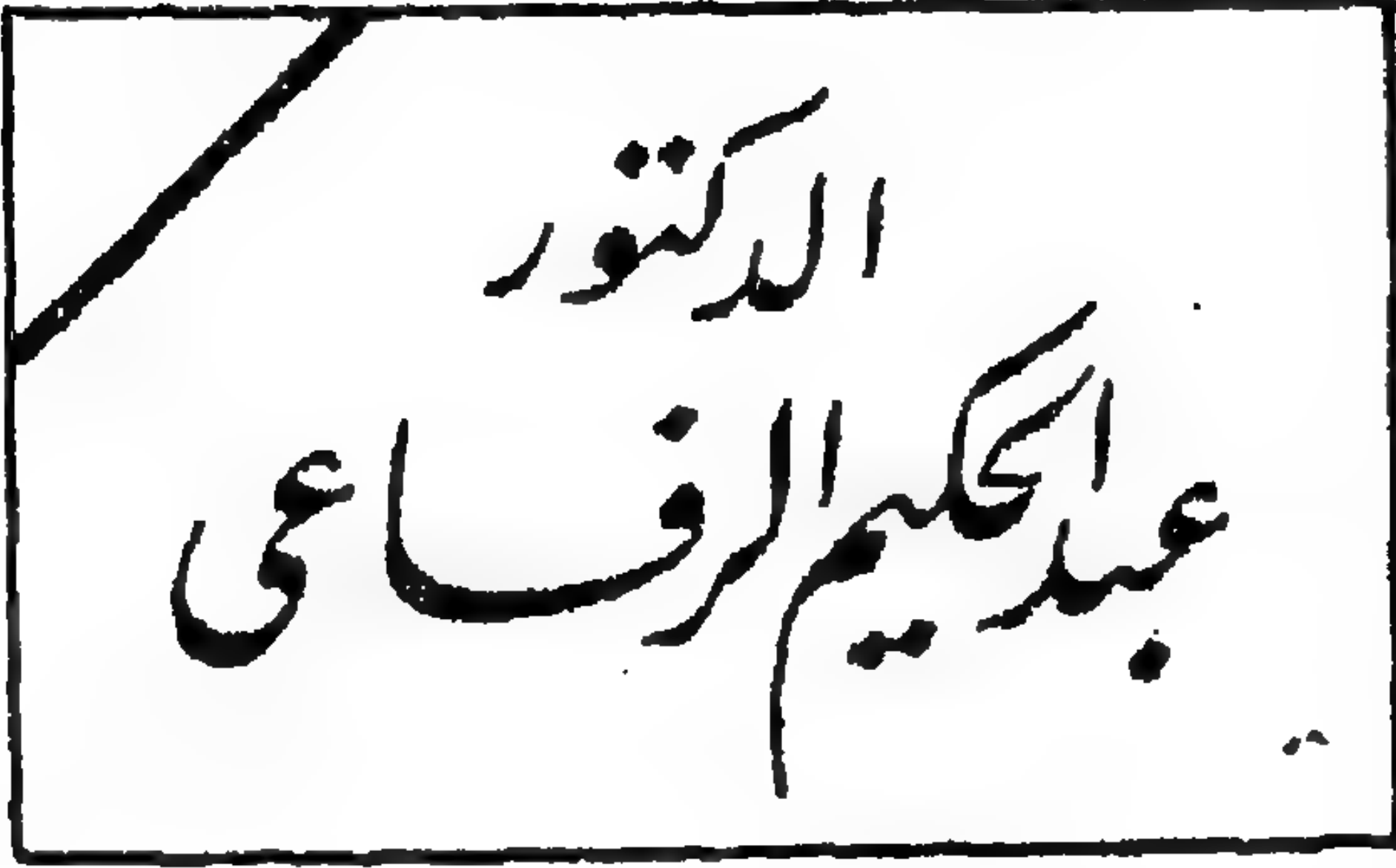
الاستاذ زكى المهندس : سيداتى وساداتى
باسم المجمع اشكر لحضراتكم كريم
مواسناتكم على تأبين الفقيد أجمل الله عزائكم
وجنبكم كل مكروه ، والسلام عليكم
ورحمة الله .

أحمد الله رب العالمين ، والصلاة والسلام
على أشرف المرسلين وبعد

فيتشرف الشقيق الأصغر للراحل الكريم
النبل بأن يتقدم للسادة الأجلاء : رئيس
وأعضاء المجمع اللغوى بخالص شكر أسرة
الفقيد العزيز لحيل عزائهم وتحطيم أخلاصهم
سواء فى تشييع جنازته أو فى العزاء
مساء يوم الحنازة ، أو بالنعى الكريم الوفى
بالصحف أو بالعزاء بالبرقيات أو البريد
أو المشاركة فى ذكرى الأربعين أو بالحفل
الوفى الأبقى : حفلة التأتين المقام اليوم ،
وندعو لكم جميعاً بأتم الصحة وموفور
العافية وطول العمر . وأن يثيبكم الله على
جميل وفائكم ، وعلى رقيق مشاعركم
بأجمل وأكرم الأجر والثواب ، لقد تناول
السادة الاساتذة المؤيدين مشكورين بعض
الجوانب التى تمس الفقيد سواء من الناحية
الدينية أو الناحية العلمية أو الناحية الخلقية ،
أو مآثره الطيبة فى حياته . ولتأذنوا أن
أتناول فى إنجاز بعض مآثر الفقيد بين أهله
وأسرته .

لقد كان رضى الله عنه وأرضاه أهر
الأبناء بوالديه فى حياتهم وبعد وفاتهم ،
ظل يبره بهما ذكرى ، ودعاء مستمراً
متواصلاً ، وكان رحمه الله أخلص

● كلمة الأستاذ زكي المهندس في تأبين المرحوم* :



ولامعقب لحكمه لقد عاصر الفقيد المجمع منذ سنه الأولى خيراً في لجنة القانون والاقتصاد ، ثم اختير منذ بضع سنوات عضواً عاملاً في المجمع وفي هذه المدة الأولى ساهم الفقيد رحمه الله في تحقيق رسالة المجمع مساهمة مشكورة ، فاستطاع أن يطوع اللغة العربية لتعبر عن مصطلحات علم الاقتصاد ، بل لانبأ إذا قلنا إن الفقيد قد استطاع أن يلبس علم الاقتصاد ثوبه العربي المتين الأصل ، ولعل كثيراً من الألفاظ والعبارات العربية الصحيحة التي نسمعها الآن مستعملة في البنوك والشركات المالية والضرائب والجمارك ، هذه كلها كانت من وضع الفقيد رحمه الله .

وكان الفقيد إلى جانب علمه ونهائيه كريماً سحياً التواضع عامراً القلب بالأخلاص وبالواجب والوفاء لإخوانه وزملائه لقد عرفنا الفقيد أكثر من ربع قرن لم أذكر

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات الزملاء ، سيداتي وسادتي .
إنه لتعز علينا أن نجتمع اليوم لتأبين زميل كريم وعالم جليل ، هو المغفور له الدكتور عبد الحكيم الرفاعي . لقد وافيه المنته في السابع عشر من أبريل الماضي بعد مرض طويل مضن ، فتركت وفاته في نفوسنا أشد الحزن ، وأعمق الأسى .

إن المجمع قد فقد في عبد الحكيم الرفاعي ثروة علمية اقتصادية ليس من السهل أن تعوض .

لقد كنا نتابع مرضه في شيء كثير من القلق والخوف والرجاء والأمل .

كان الأمل شفائه يملكنا أحياناً ، كما كان اليأس يستبد بنا أحياناً أخرى .

ولكن بين الأمل واليأس والخوف والرجاء نفذت إرادة الله ، وكان ماخفنا أن يكون هذا قضاء الله ، والذي لا راد لقضائه

* أقيم حفل تأبينه بدار المجمع بالجيزة في صباح الأربعاء ٢٩/٥/١٩٧٤ والقيت فيه الكلمات التالية :

أنى وجدته يوماً غاضباً غضباً يخرجته عن
هدوئه وسماحته وإنما كان مجرباً من الجميع
محبا للجميع على أننا إذ نبكى الفقد اليوم ،
لانبكى فيه عضواً مجعاً شيطاً متحماً
فحسب ، نبكى فيه عالماً من أعلام الاقتصاد
بل رائد من أعظم رواده لافى مصر وحدها
بل فى البلاد العربية جميعها .

لقد ساهم وهو محافظ للبنك الأهلى ثم
للبنك المركزى فى حل كثير من المشكلات
الاقتصادية ، التى كانت تعانى منها البلاد ،
كما ساهم أيضاً فى تطوير كثير من النظم
الاقتصادية فى البلاد العربية ، يوم انتدب
مديراً للشئون الاقتصادية فى جامعة الدول
العربية .

أما المكتبة العربية فقد ترك لها الفقيد
تراثاً علمياً اقتصادياً يبقى على الزمان .
إن مآلفه من كتب ومانشره من بحوث ،

ومآلفه من محاضرات كلها تعتبر نورا
ساطعا يضيء الطريق أمام جميع المشتغلين
بالدراسات الاقتصادية .

أيها السادة ،

فى الواقع إن مجال القول فى عبد الحكيم
الرفاعى مجال رحب فسيح لانستطيع فى
هذه الجلسة القصيرة أن نبلغ مداه ، فحسبنا
تلك الدفعة التى نسكبها اليوم فى تكريم ذكره
رحمة الله وطلب ثراه ، وجعل الجنة
مستقره ومثواه .

أما الآن أيها السادة ، فسيتمولى تأبين
الفقيد نيابة عن المجمع الزميل الدكتور
أحمد عز الدين عبد الله ، ثم يليه نجل
الفقيد الدكتور محمد عبد الحكيم الرفاعى ،
فيلقى كلمة الأسرة . فليتمفضل الدكتور
عز الدين مشكورا ،



● كلمة الأستاذ الدكتور أحمد عز الدين عبد الله

السيد الرئيس

سأدتي

من الرجال من يسبق جياه فيكون رائداً
في المجتمع الذي يعيش فيه .

ومن الرجال من لا يلهيه عرض الحياة
الدنيا ، فيملا نفسه بما ينفع المجتمع الذي
يعيش فيه من علم أو أدب أو فن .

ومن الرجال من يكون مكتمل الشخصية
فلا ينهز بريق منصب أو جاه

ومن الرجال من يفهم حقيقة الحياة ،
ويفهم قدر الإنسان فيها ، فيكون التواضع
طبعه .

ومن الرجال من لا تهزم أحداث
الحياة ، فيكون بين قوله جليداً .

ومن الرجال من يتجرد من الأنانية
فيكون بين قومه صمداً .

ومن الرجال من تتجمع لديه كل هذه
الصفات ، فيكون بين قومه عزيزاً .

وهكذا كان فقيدنا العزيز العالم الأستاذ
الدكتور عبد الحكيم الرفاعي .

بدأت معرفتي بالدكتور الرفاعي في
سنة ١٩٣٠ ، حين كنت أطلب العلم
بكلية الحقوق بجامعة القاهرة . وكان قد
مضى عام على عودته من باريس ، مع
زملائه في البعثة العلمية ، ليعينوا أعضاء
في هيئة التدريس بهذه الكلية

وسرعان ما ملأنا في هذا الجيل من المدرسين
الشبان طابعا معينا يتميزون به ، أسبغته
عليهم الظروف التي عاشوا فيها .
فهم قد عاصروا في السنوات
الأولى من شبابهم ، أحداث ثورة السنة
التاسعة عشرة ، فاعتنقوا مبادئها ، شأنهم
في ذلك شأن جيلهم ، حين كان العمل
الوطني فداء يقدمه المواطن ، وخيراً
يترقبه الوطن . لم يكن العمل الوطني حرفة
تدر الغم ، بل تضحية تزين جيد صاحبها
بشرف المساهمة في خدمة وطنه .

وهم قد عاشوا مدة البعثة في فرنسا ، حين
كان يغمرها فيض من الاعتزاز بالوطن
واحترام حريات الإنسان والتشبث بالحياة
الديمقراطية ، ما زكاه خروجها من الحرب
العالمية الأولى منتصرة على العدوان والبغي

وقد جبلت هذه الظروف ، ذلك الحيل
من الأساتذة على الوطنية الصادقة ، والعمل
الحاد في أداء الرسالة التي يحملونها ، من
خدمة العلم ، وتنشئة شباب جاد مشبع
بالعلم وبثقافة العصر وحضارته .

وكان لنا من أستاذنا الدكتور الرفاعي
مجموعة مثل نعجب بها ونسعى إليها :
غزارة في العلم ، أمانة في أداء الواجب ،
رقة في الحسن واحترام للنفس وللغير ، يغلفه
ويزينه رداء من أدب جم وتواضع جذاب .

ولد فقيدنا في قرية « شبرا » من أعمال
مركز السنطة بمحافظة الغربية . وبعد أن
أتم تعليمه الابتدائي والثانوي بمدراس
مدينة طنطا ، وفد على القاهرة ، حيث
التحق بمدرسة الحقوق (كلية الحقوق
بجامعة القاهرة فيما بعد) ، وحصل منها
على درجة الليسانس في الحقوق ، في
سنة ١٩٢٥ ، وكان التوفيق لازمة كل
امتحان أداه .

ثم أوفد ، خلال ذلك العام ، في بعثة
علمية إلى فرنسا للحصول على درجة
الدكتوراه في العلوم الاقتصادية . وهناك
اتسعت أمامه آفاق العلم والمعرفة . وأبى
عليه طموحه أن يقف بجهوده في هذه
الآفاق عند حد الدراسة والبحث اللازمين
للحصول على هذه الدرجة العلمية : بل إنه
كان فيها نهياً : فحصل على دبلومات

الدراسات العليا كلها ، التي كانت تنظمها
قوانين ولوائح جامعة باريس ، في ذلك
الوقت ، في ميدان القانون والاقتصاد
وهي :

— دبلوم الاقتصاد السياسي

— دبلوم القانون العام

— دبلوم القانون الخاص

— دبلوم القانون الروماني

— دبلوم القانون الجنائي

— دبلوم علم العقاب

وانتهى به المطاف في ميدان الدراسة
والتحصيل والبحث إلى الحصول على درجة
الدكتوراه بأعلى مراتبها . وكان ذلك في
سنة ١٩٢٩ .

وعلى هذا النحو جمع الدكتور الرفاعي
رصيداً من الدراسات القانونية ، بجانب
تخصصه في العلوم الاقتصادية ، مقدرًا في
هذا الجمع الصلة الوثيقة بين الاقتصاد
والقانون في حياة مجتمع أية دولة ، بل وفي
حياة المجتمع البشري كله

وبجانب ذلك كله ، أفاد الدكتور الرفاعي
من ثقافة وحضارة المجتمع الأوروبي الذي
عاش فيه ، وتعرف على حال المجتمع الدولي
في مختلف جوانبه السياسية والاقتصادية .

وعاد الدكتور الرفاعي إلى أرض
الوطن ، مليئاً بهذه الثروة العلمية والثقافية ،
فعين مدرساً في كلية الحقوق بجامعة القاهرة

وتدرج في هيئة التدريس بها إلى درجة أستاذ
كرسي الاقتصاد السياسي .

وتدقق نتاجه العلمي متواليا على مر
السنين ، بحيث يكاد لا يضي عام دون أن
يكون له فيه مؤلف يطبع أو بحث ينشر .

وكانت عناصر الصورة التي انطبعت
في نفوس طلابه وزملائه هي : الجِد في
العمل ، الحرص على أداء الواجب ،
الإخلاص في خدمة العلم ، العزوف عن
الإعلان عن النفس ، تجنب الصغار ، محبة
لطلابيه ، وتقدير طلابه ومحبتهم له .

وفي سنة ١٩٤٤ ندب الدكتور الرفاعي
عميداً لكلية الحقوق بجامعة بغداد ، حيث
أحسن أداء الرسالة التي دعي للقيام بها .
وعمل على توثيق الصلات العلمية والإنسانية
بين أساتذة القانون والاقتصاد في العراق
وزملائهم في مصر .

وفي سنة ١٩٤٧ ندب الدكتور الرفاعي
مديراً للشئون الاقتصادية بجامعة الدول العربية
ولم يكده يستقر مقامه فيها حتى خطبته وزارة
المالية ليكون وكيلاً لها لشئون الضرائب
وهو المنصب الذي شغله من سنة ١٩٤٧ حتى
سنة ١٩٥٢ ، وقد اتسع له به مجال التطبيق
لعلم المالية العامة . ، ومجال الإصلاح لجهاز
من أهم أجهزة الدولة صلة بالمواطنين وتأثيراً
في شئون حياتهم .

ثم انتقل الدكتور الرفاعي إلى ميدان
آخر من أوجه النشاط الاقتصادي ،
وهو ميدان الائتمان العقاري ، إذ عين في
سنة ١٩٥٢ رئيساً لمجلس إدارة بنك الائتمان
العقاري ، الذي أدمج فيما بعد في البنك
العقاري المصري

وفي سنة ١٩٥٥ عين الدكتور الرفاعي
نائباً لمحافظة البنك الأهلي ، ثم عين محافظاً له .
ولما أنشئ البنك المركزي بوظائفه
المطيرة ، اختير الدكتور الرفاعي محافظاً له ،
لما يتمتع به من علم وخبرة ونزاهة .

وظل يشغل هذا المنصب حتى سنة
١٩٦٤ ، حين وقعت الواقعة التي ما كان
لها من دافع . فقد طلب إليه إتخاذ إجراء
معين في مجال النقد . ولما قدر بعلمه ،
وخبرته ما لهذا الإجراء من خطر على
المصلحة الاقتصادية للبلاد ، أعد مذكرة
برأيه فيه . وعاد إلى منزله مرتاح الضمير
مطمئن البال .

وفي صباح غده طالعه الصحف
بنبأ تعيين شخص آخر في مكانه ، فعرف
أنه عزل من منصبه . وتلقى هذا الحزاء
صابراً مؤمناً . ولكنه عرف أيضاً أن الله
قد ابتلاه في إخلاصه لعماله ووطنه ولقي
عنده خير الجزاء .

ومنذ هذا الحدث والدكتور الرفاعي
قانع بعمله أستاذاً غير متفرغ بكلية الحقوق

بجامعة القاهرة ، يحاضر طلاب الدراسات العليا ويشرف على ما يعدونه من رسائل علمية . وهو العمل الذى ظل يباشره بشغف حتى أقعده المرض عنه .

هذا هو موجز الحياة العلمية والعامة للدكتور الرفاعى .

وأما عن نتاجه العلمى ، فأول ما يذكر فى شأنه أن الدكتور الرفاعى كان من أوائل الأساتذة المصريين الذين حملوا عبء التأليف فى العلوم الاقتصادية والمالية باللغة العربية بأسلوب علمى رصين ، بما يقتضيه من جهد فى وضع مصطلحات عربية تقابل المصطلحات الأجنبية فى معناها فى وضوح وكفاية ودقة دلالة .

ولقد أخرج الدكتور الرفاعى خلال سنتى ١٩٣٦ و ١٩٣٧ مؤلفه فى الاقتصاد السياسى ، ضاماً جزئين كبيرين ، عالج فيه مختلف موضوعات هذه المادة فى شمول وعمق وارتقاء علمى جعله يقف جنباً إلى جنب مع ما نشر فى زمانه من مؤلفات لكبار أساتذة الجامعات الأوروبية .

وفى سنة ١٩٤٢ أخرج الدكتور الرفاعى مؤلفه « الضرائب المباشرة فى مصر » ، شرح فيه نظام الضرائب المباشرة الذى فرضه المشرع بقانون سنة ١٩٣٩ ، وذلك فى ضوء مقارنته بالنظم الضريبية المقابلة له فى قوانين عدد من الدول الأجنبية .

ولما كان فقه الضريبة المصرى ذلك الحين لا يزال فى مهده ، فقد شارك هذا المؤلف فى إرساء قواعده ، كما أعان القضاة والباحثين على فهم هذا النظام الضريبى الجديد .

وعند ما كان الدكتور الرفاعى عميداً لكلية الحقوق ببغداد وأستاذاً للاقتصاد السياسى والمالية العامة بها ، أخرج فى سنة ١٩٤٥ مؤلفه « علم المالية العامة والتشريع المالى العراقى » ، بسط فيه مبادئ علم المالية العامة ودرس التشريع المالى العراقى مقارناً بالتشريع المالى المصرى . وجاء هذا المؤلف ، فى نطاق موضوعه ، مكان لقاء بين الفكر المصرى والفكر العراقى .

وبجانب هذه المؤلفات العامة ، نشر الدكتور الرفاعى الكثير من البحوث المتخصصة فى مختلف موضوعات الاقتصاد السياسى والمالية العامة والتشريع الضريبى . كما اتخذ من بعض مسائلها موضوعات لما ألقاه من محاضرات على طلاب الدراسات العليا .

وإذ كان هذا المقام يضيق بالدراسة التحليلية لهذه البحوث والمحاضرات فإنه ينبغى ذكر ما تتميز به بصفة عامة ، مع إلقاء نظرة عجل على أهمها :

جرى الدكتور الرفاعى ، فى بحوثه ومحاضراته ، على تعقب الأحداث والمشاكل الاقتصادية الهامة ، داخل مصر وخارجها

وعرض كل منها بالشرح والتحليل ،
وردها إلى أصولها ومسبباتها ، ومناقشة
وسائل علاجها .

من ذلك أنه عندما اجتاحت العالم أزمة
الثلاثينيات ، وتقدمت الحكومات الأوروبية
والأمريكية بالمتنوع من الوسائل لحلها ،
أدرك الدكتور الرفاعي ما لهذه الحلول من
أثر بالغ في اقتصاد بلده . وهو الاقتصاد
الذي كان وثيق الارتباط بالاقتصاد الإنجليزي
والاقتصاد الأمريكي . لذلك فقد عكف
على دراسة أوجه العلاج التي اتبعت في
الخارج لحلا الأزمة . وكان ذلك في
سلسلة مقالات ، أذكر منها :

— الأزمة النقدية الإنجليزية

— تأثير الأزمات النقدية الإنجليزية
في النظام النقدي المصري .

— تثبيت الأثمان بوساطة السياسة النقدية .
— استعمال الأوراق الأجنبية كضمان
للإصدار .

— سياسة رفع الأسعار في الولايات
المتحدة الأمريكية .

— تثبيت الدولار المؤقت وتطور السياسة
النقدية في الولايات المتحدة الأمريكية .

— تحقيق قيمة العماة البأجيكية والتطورات
النقدية الحديثة .

— التعميمات وتسويتها في مؤتمر لوزان

المنعقد في يونيو — يوليو سنة ١٩٣٢ .

— حماية صناعة السكر في مصر .

ولما تهيأت الظروف في مصر كي تبدل
ديتها العام خلال الحرب العالمية الثانية ، مهد
الدكتور الرفاعي لذلك بمقالة في « تخفيف
أعباء الدين العام » .

وعندما فكرت الحكومة في فرض
ضريبة على الأرباح الاستثنائية تناول بالنقد
والتعليق أنظمة هذه الضريبة في الخارج
والمشروع الخاص بها في مصر .

كذلك فإنه كتب بحثه في ضريبة
أرباح المهن غير التجارية عندما فكرت الحكومة
في تعديل نظام هذه الضريبة المنصوص عليه
في قانون سنة ١٩٣٩ .

وعندما توالى المشكلات الاقتصادية
في مصر والخارج ، في أعقاب الحرب
العالمية الثانية ، لم يغيب عن الدكتور
الرفاعي أن يدرس هذه المشكلات .

من ذلك ما كتبه في مشكلة الأرصدة
الاسترلينية المتجمعة لمصر ، مبينا نشأة
هذه الأرصدة وتطورها أثناء الحرب ،
ومستقبلها ، مع مناقشة حجج إنجلترا في
إنكار هذه الديون والاقتراحات التي قدمت
لتسويتها واقترح لمنع تراكم الأرصدة
مستقبلا أن يكون للحكومة في مصر السيطرة
التامة على نظام البلاد النقدي ، وأن يصبح
البنك الأهلي بنكاً مملوكاً للدولة .

وفي سنة ١٩٦٠ نشر الدكتور الرفاعي

بحثاً في « الاتحاقات الاقتصادية في

الخمسين سنة الأخيرة في ضوء الدراسات

في مصر والخارج » . وقد تناول فيه تحليل معالم ذلك التطور الأساسي الذي طرأ على الفكر الاقتصادي حول تدخل الدولة في الميدان الاقتصادي ، خلال تلك الفترة الحافلة بالأحداث من تاريخ العالم . وهذا البحث لا يقدر عليه إلا العالم الخبير المتمكن .

وبجانب هذا النتاج العلمي الوافر القيم ، أسهم الدكتور الرفاعي بجهوده في معالجة كثير من المشكلات الاقتصادية في المجال الداخلي وفي المجال الدولي .

— من ذلك مساهمته في وضع الأسس الفنية والتشريعية لاستقلال الحنية المصرية عن الحنية الأسترليني وتخليصه من التبعية التي عقدتها إنجلترا بينهما منذ سنة ١٩١٦ ، خدمة لأغراضها الاستعمارية

— واستعانت الحكومة السورية بالدكتور الرفاعي في تنظيم فصل النقد السوري من الارتباط بالفرنك الفرنسي .

— وكم من نشاط وجهاد بذلها الدكتور الرفاعي في المؤتمرات الدولية ، في سبيل الدفاع عن حقوق بلاده وطلباتها ، جرى ذلك أثناء تمثيل بلاده في مؤتمر التعويضات الألمانية المنعقد في سنة ١٩٤٥ ، وفي مؤتمر

الصلح المنعقد في باريس في سنة ١٩٤٦ ، وفي الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورات انعقادها في نيويورك في سنة ١٩٤٦ ، وفي باريس في سنة ١٩٤٧ ، وكان مندوب مصر في عدد من بلاتها وهي : لجنة الشؤون الاقتصادية والمالية ، ولجنة الشؤون الاجتماعية والإنسانية والثقافية ، ولجنة الشؤون الإدارية والميزانية

كذلك فقد مثل الحكومة المصرية في كل من مؤتمر لجنة التجارة الدولية المنعقد في جنيف في سنة ١٩٤٨ ، ومؤتمر الحراسات الألمانية المنعقد ببروكسل في سنة ١٩٥٠ .

وامتد نشاط الدكتور الرفاعي إلى ميدان عمل مجمعكم الموقر ، بوصفه خبيراً له أول الأمر ، ثم بوصفه عضواً فيه ، بقدر ما سميت به البقية من عمره .

هذه هي حياة فقيدنا العزيز

لقد عاش الدكتور الرفاعي مستور الحال ، لأنه لم يتخذ من جمع المال هدفاً . ولكنه مات غنياً . فقد توفي عن تركه كبيرة ، متعددة عناصرها :

— ثروة علمية ضخمة ، أفاد منها جيله ، ولا يزال ينتفع بها من أتوا بعده .

١ - خدمات جليلة لوطنه ، لا يزال يفيد
منها بنو أمته ..

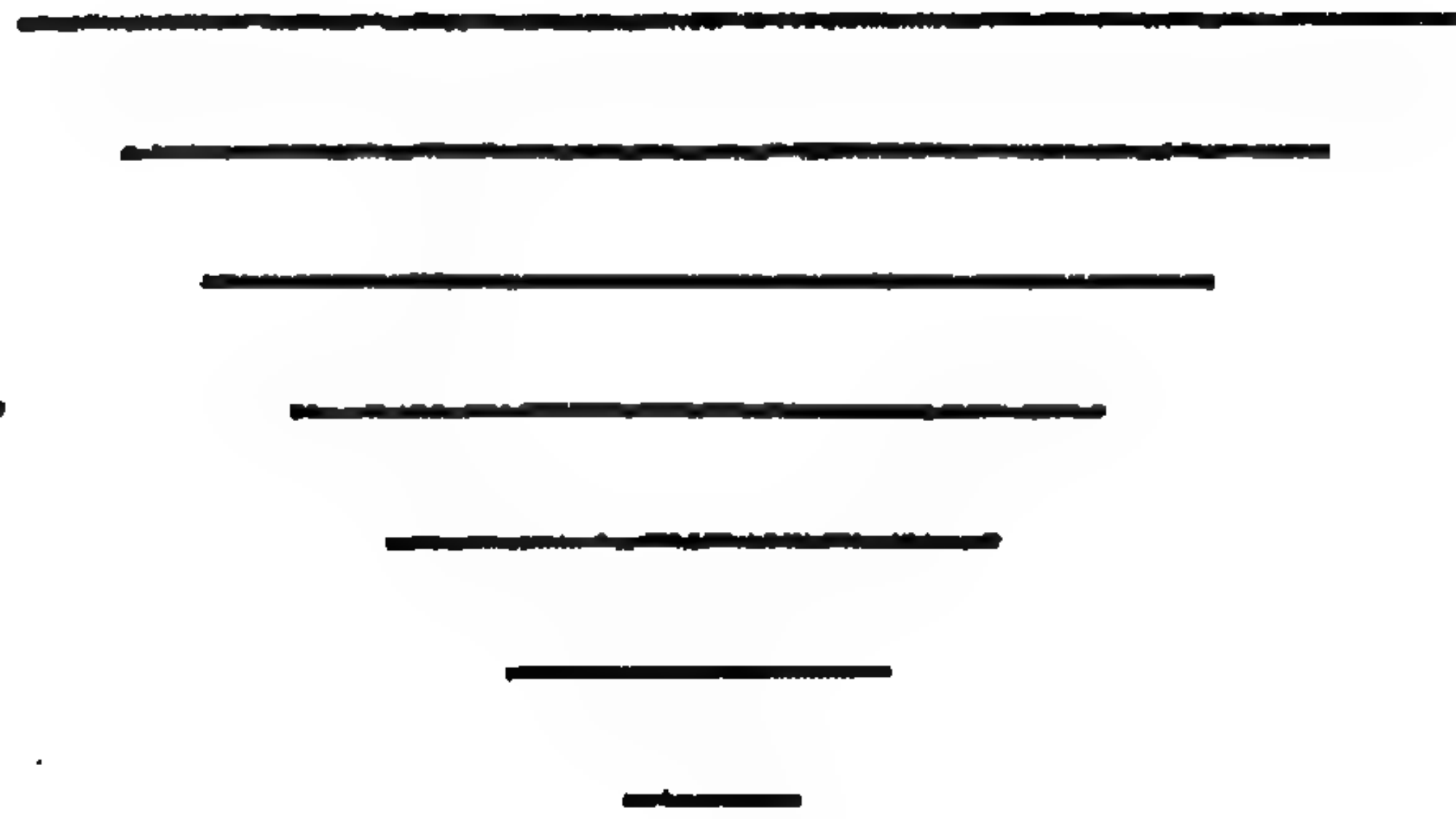
- جيل من الاقتصاديين الذين تلقوا
العلم عنه ، يضطلع عدد منهم بأخطار المهام
الاقتصادية في البلاد .

• لقد أَرْضَى الدكتور الرفاعي ضميره
وأَرْضَى ربه .

عاش الدكتور الرفاعي حياته
متواضعا ، وشاء أن يكون متواضعا بعد
موته . فقد أبى إلا أن تشيع جنازته في
القرية التي ولد فيها وأن يدفن في صعيدها ،
بعيداً عن زخرف العاصمة وزينتها .

وكان الدكتور الرفاعي قديماً ، لم يَأْتِ
في حياته شيئاً نكراً .

رحمه الله ، وأجاز له ، وجعل الجنة مثواه .



● كلمة الأسرة للدكتور محمد عبد الحكيم الرفاعي

سيدى الرئيس :

أساتذتى الأجلاء أعضاء مجمع اللغة العربية :

سيداتى ، سادتى :

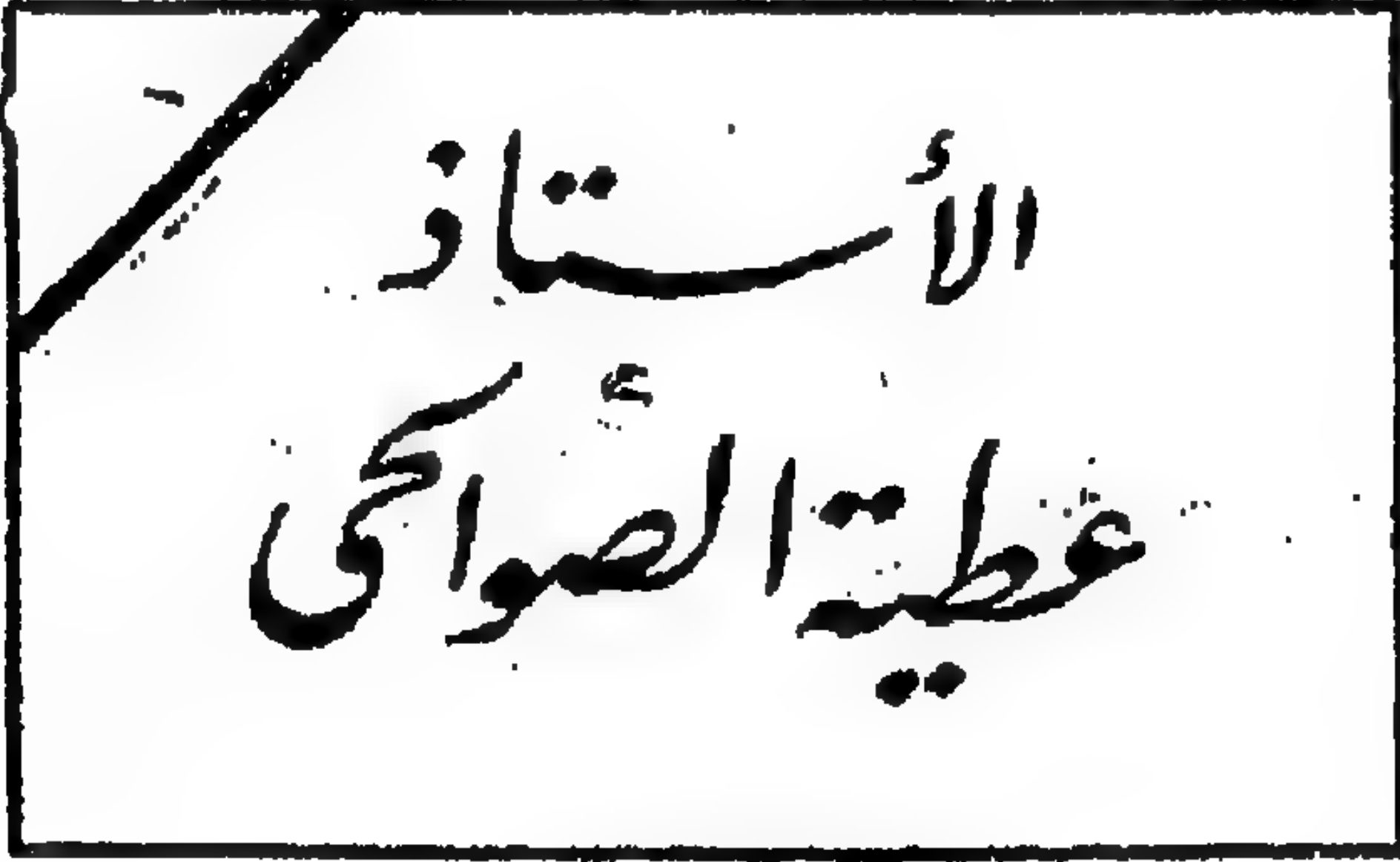
اسمحوا لى أولاً أن أعبر عن عميق امتنان
أسرة الفقيد لفيض اللغات الكريمة التى
أسبغها علينا رئيس المجمع ونائب
الرئيس وأعضاء المجمع من عيادتهم للفقيد
أثناء مرضه ، إلى تأيينه فى الصحف اليومية
ثم المشاركة فى العزاء ، ثم إقامة هذا الحفل .
ولئن كان كل هذا الفضل يتناسب مع
مودتكم لفقيدنا ، ومع سماحة سرائركم ،
إلا أنه يحملنى مالا قدرة لى على إيفائه حقه
من الشكر :

لقد بلغت كلماتكم العظيمة المفعمة بخلجات
الوفاء والتقدير أعماق الأثر فى نفوسنا ،
إذ كان المغفور له يعتز كل الاعتراز

برسالة مجمعكم الحليل ، وبدوركم فى
الحفاظ على اللغة فى المجالات العلمية
والحضارية الحديثة ، وكان رأيه أن استقامة
اللغة فى الاستمسك بالأصالة ، وفى
الإبقاء على الشرائع ، وجاء سخاؤكم فى
الإشادة بمناب الراحل الكريم ، جديراً
بالصدور عن معقل الأصالة فى بلدنا ، وخليقاً
بمد أجيال من عائله الفقيد بأسباب الفخار .
بيد أن عبد الحكيم الرفاعي رحمه الله عليه
كان حريصاً على غرس التواضع فىنا ، اقتداد
بكم وبمن سبقكم من الرجال أعضاء
بجمعكم المبجل .

وختاماً أتقدم إليكم جميعاً وإلى الاستاذ
زكى المهندس والأستاذ الدكتور عز الدين
عبد الله بأصدق الشكر وعظيم العرفان ،
وأسأل الله أن يديم عليكم نعمه الاستمرار
فى إعلاء شأن أمتنا ، وأن يجازيكم عناخير
الجزاء ،

•• كلمة الأستاذ على النجدي ناصف في تأبين فقيده المجمع *



جزعاً لما ألم به ، وعجزاً عن احتمال ، واشفاقاً
 لما هو صائر إليه ، وملاق منه بعد صاحبه
 أو صاحبه : من الوحشة بعد الأنس ،
 والافتراق بعد الاجتماع ، والفقدان بعد
 الوجدان : وشديد عادة متزعة ، كما يقولون .
 هنالك لا يجد معتصماً يعوذ به ، ولا مهرباً
 يفر إليه ، إلا إكذاب النفس ، والتعلل
 بالأمل : ويرحم الله أبا الطيب المتبني اذ يقول
 في إحدى مراثيه :

طوى الجزيرة حتى جاءني نبأ

فزعت فيه بآمالى إلى الكذب

على أن الحق الصادع ، والواقع الذى
 الذى لا نجاء منه ما يزالان يتكشفاً له ،
 ويهيئان به ، حتى يثوب اليهما ، ويروض
 نفسه على تقبلهما ، إيماناً واحتساباً أو سلوا
 ونسياناً .

والمرء فى استشرافه للكمال ، ونزوعه إليه
 يرد النفس على مكروهاها فى الضراء وحين
 المحنة فيمنع عاطفته أن تجيش ، ويحبس
 دمه أن يفيض ، إيثارة لسمت الرجولة

سيادة الرئيس ، أيها السادة

قد كان ماخفت أن يكونا

إنيما إلى الله راجعون

نعم ، لقد قضى الأمر ، ونفذ المقدور ،
 فرجل عنا زميلنا وصديقنا العلامة : الأستاذ
 الصوامي ، رجع إلى ربه ، ودخل فى
 عباده راضياً مرضياً ، لم يغن فيه إكذاب
 نفس ، ولا تعلل بأمل . ولكن متى أفلتت
 الخديعة أو أغنت الحيلة من الموت شيئاً ؟

هيهات إنه الدبهم الإلهي العتيد ، يرسله الله -

جلت عظمتة - على من جان حينه وحقت
 الفجيرة فيه ، فيمضى لوجهه مصيباً ناقداً ،
 لا يخطئ رميته ، ولا يخلف موعدته : ومأنا
 إلا يعلم ذلك ويؤمن به ، عليه مضيت
 سنة الأولين ، وعليه تمضى سنة الآخرين
 لا تبديل ولا تحويل .

ولكنه الضعيف البشرى ينتاب المرء ،
 وقد يستبد به ، ويغير من واقعه حين يمتحن
 فى عزيز عليه ، فمن تضمهم إليه أو أصر
 وثيقة محكمة ، فاذا هو مضطرب الكيان ،
 لقس النفس تغشاه غاشية من الهم والاكتئاب ،

* أقيم حفل تأبينه بدار المجمع بالجيزة فى صباح الأربعاء ١٩٧٤/١١/٦ وأقيمت فيه الكامتان
 التاليتان .

الموروث، وأداء لضريرتها المفروضة، وأخذنا
بمنطق التفريق بين الرجال والنساء حين
المرزئة، وذهابا مع أبي تمام في قوله .

خلقنا رجالا للتجلد والأسى

وهن الغواني للبكا والآنم

وإذا كان الخزع والاستسلام له مغضبة
للرب ، ومجلبة للوم فإن ردع النفس في
غير رفق ، وحملها على الكظم بلا رحمة
متلفة للنفس في غير حكمة ولا رشاد ،
إلا الحرص على أوها ، والمتابعة لوراثات
ما أنزل الله بها من سلطان .

وبين الانقياد للعاطفة والإنكار عليها -
رتبة عدل ، ورأى فصل . ولست أعرف
كالتعزى ، والارتياض به ، والهوادة
فيه - مذهباً يهتدى إلى الحق والخير ، ففيه
سكينة للنفس ، واستجابة للفطرة ، وإقرار
بحقها في التأثير والانفعال ومباعدة ، بينها
وبين الشطط والاندفاع .

من أجل ذلك كان موقفي الآن بين
أيديكم موقف المؤبن لفقيدنا الكريم ،
وؤميلنا العالم بالليل الشيخ الصوالحي ،
من أصعب المواقف مقاما ، وأشدّها إيلا ،
وأقساها حزنا وهما ، لأنه الموقف يردني
في غير قصيد إلى اليوم الذي جاءني نعيه
فيه على غير توقع له ، ولا توجس منه .

لأن فقد كنت عرفت حين احتجب عنا
أنه يجد من وعكة حم آت به ، فأخذ
إلى الراحة اتقاء تطورها واشتداد وطأتها ،
فوقر في نفسه أنها بفضل حيويته وقوة

يقينه وإحكام علاجه - لا تلبث أن تفصم

عنه فإذا ، هو بحمد الله باريء موفور

وليس أقسى من الخطب حين يقع على

المرء في غفلة منه ، وعلى غير ترقيب له .

لقد عرفت الفقيد الكريم لأكثر من

خمسین عاما خلت وصاحبته فتي جادا

طلوبا ، وكهلا متمرسا دعويا ، وشيخا

صادق التجربة ، واسع المعرفة ، عالم المتكمن ،

دانت مصاعب العربية له ، وأفضت

بأسرارها إليه .

ولم تكن صداقتنا هذه من قبيل ما ألف

الناس أن يعرفوا من الصداقات ، ولكنها

كانت من قبيل نادر ، يعز نظيره على

تعاقب الأيام . إن الناس يلتقون فيتمعارفون

ويذالفون ، أو يتناكرون ويختلفون ،

فيكون بين المتآلفين صداقة ومودة ، وبين

المتخالفين تناكر وجفوة . وتتصل صداقة

الأصدقاء ، أو هم يتمنون لها الاتصال ،

لكن الأيام قلما تستجيب لهم ، ولا تلبث

أن تباعد بينهم مباعدة التشتت والفراق .

أو مباعدة البال المشغول أو العمل الموصول .

لا يتيح لصاحبه تفكرا في ماض ، ولا نظرا

إلى وراء . وتطول المباعدة أو تقصر ، فتصير

المودة هونا إلى الريث والفتور ، أو الذهاب

والاندثار .

والأيام التي هذا دأبها مع الكثير من

الصداقات والأصدقاء هي التي أحسنت إلينا ،

فجعلت توالي صداقتنا بما يذكى جذوتها ،

ويجدد عهدا ، ويكفل لها البقاء . فلم تكن

نفترق حيناً إلا على وعد من الأيام بلقاء
جديد. وفي خلال هذه الحقبة الطويلة لم
يكن لينقل إلى بلد إلا تبعته إليه ، ولا يتولى
عمالاً إلا شاركته فيه ، على تعدد البلاد
التي نقل إليها والأعمال التي وليها .
وكان هو دائماً السابق المرتاد. وكنت
أنا دائماً الآخذ من بعده على الطريق ، حتى
التقيناها هنا في ساحة مجمعنا الجليل ، فأنشدنا
قول الطرماح :

فألقت عصاها واستقر بها النوى

كما قرعينا بالإياب المسافر

التقينا اللقاء الأخير ، وتشاركنا المشاركة
التي لا تالية لها ، ولكنه كان لقاء ما أعجابه ،
وتشاركنا ما كان أقصره :

وكنا كند مائى جذبة حقة

من الدهر حتى قيل : لن يتصدعما

فلما تفرقنا كأني وملكا

لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وهكذا الدنيا : اجتماع وافتراق ، كان

هذا دأبها في الدهر القديم ، وسيظل
دأبها حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ولقد كنت أود مخلصاً لو كان إلى

السبق إلى هذه الرحلة أتقدمه إليها ، وأدع
له هو هذا الموقف الذي أقفه منه الآن ،

وحسبه ما سبق إليه قبل من رحلات ، ولكن

الله - تعالت حكمته - أبى إلا أن

يكون له سبق في الحياة وفي الممات .

وأشهد ما عرفته هذا العمر الطويل إلا

رجلاً كاملاً الرجولة ، شهماً أريحياً ، رضى

الحاق ، جهم التواضع ، طيب المعشر
سليم دواعى الصدر ، وأمون الغيبة راسخ
الإيمان ، شديد الحشية لله ، صادقاً ،
مجاملاً ، عف اللسان ، مارأيته قط حاقدًا
على مسيء ولا ذاكرًا لبغيض بسوء ،
ولا مضطغنا على ماكر ظنين .

نعم ، كان يغضب بعض الأحيان حتى
يجهر بالقول ، لكنه الغضب الطاهر البريء ،
لامكابرة فيه ولا عناد ، ولا عاقبة له من
من ضغينة أو إصرار على شر ، كان غضب
الغيرة على الحقيقة كما يراها ويؤمن بها ،
فهو ينتصر لها ، ويدوذ عنها في مقاربة وإنصاف
لقد كان - يرحمه الله - في شمائله

وحصائص نفسه نفحة زكية من نفحات

الريف المصرى الطيب ، وبضعة نفيسة من

قلبه النقى الطهور ، لهذا كان شديد الحب

له ، متجدد الحنين إليه ، متمثلاً في القرية التي

أنجبته ، فكان لا يزال يختلف إليها ، ويقم

في أهلها إبان عطلة الصيف ، وكلما

دعت داعية ، أو سنحت فرصة مواتية ،

حباهم وبراهم ، فما كانوا منه ولا كان

منهم إلا كما يكون الأبناء من الأب الرحيم

أو الإخوة البررة من الأخ الكبير .

وهناك يجتمعون إليه ، ينفضون هومهم

بين يديه ، ويراجعون فيه ، ويسألونه الرأى

الذى هو خير ، فإذا لهم منه بركة وهدى

ورشاد ، وكان منزله بالقاهرة مثابة لهم ،

يفدون إليه لبعض شأنهم ، أو الاستشفاء

من أمراضهم ، فيخلطهم بنفسه كأنهم بعض

أهله ، ويبذل لهم من عونه سخيا جوادا :
 فإذا رأيت شقيقه وصديقه
 لم تدر أيهما أخو الأرحام ؟
 ثم رأى - رحمه الله - أن يكون بره
 بهم أشمل ، وخيره لهم أبقي ، وإن كان
 في واقع ما ياطفهم به من هذا وذاك كفاية
 وغناء ، فأقام لهم وحدة صحية ، تطب
 مرضاهم ، وتخفف من آلامهم ، لا يصدر
 في ذلك عن ظهر غنى ، أو فضل مال
 مكنوز ، لكنه الإيثار ، وحب الخير ،
 والولوع باصطناع المعروف خالصا لوجه
 الله ، كل أولئك حقيق أن يصنع العجب ،
 وأن يوجب على صاحبه ما ليس بواجب ،
 بل لقد يغريه بالتضحية والفداء .

ذلك هو الأستاذ الصوالحي - كما عرفته
 إنسانا بين الناس ، وصديقا في الأصدقاء .
 أما الأستاذ الصوالحي عالما بين العلماء ،
 وباحثا بين الباحث - فقد كانت مواهبه
 ومنازع نفسه تعدده للفقاهة والنبوغ ، بل
 التقديم والتبريز ، إذ كان - رحمه الله -
 يحيا حياة الزهادة والجد ، بل حياة هي أقرب
 إلى التبتل والانقطاع . لم تكن له مسألة أن يتفرغ
 لها ، ويطيّب نفسه بها ، سوى كتاب يقرؤه ،
 أو بحث يبحث ، أو مسألة يدرسها ،
 أو مشكلة يعالج حلها .

لذلك لم تكد تفتتح مواهبه ، وتنضج
 معارفه ، وتتميز شخصيته العلمية حتى كان
 عنما المذكورا بين أعلام المدرسين الثقات
 المحجدين ، أولئك الذين لم يغفلوا في عملهم

عن معالم البيئة ، ومخترعات العصر ، ومحدثات
 الحضارة ، فوصلوا دروسهم بها ، ليختاروا
 منها ما يتيسر لتلاميذهم فهمه ، ولا يشق
 عليهم القول فيه ، لكن الأكثرية الغالبة من
 أسماء هذه المسميات وما يتصل بها هنا وهناك -
 تذهب ما بين عاى شائه مسيخ ، ووافد
 مستعجم دخيل ، فلم يكن بد من أن يقبلوا
 على المعجمات يتقبون فيها ، وعلى قوانين
 العربية ويستوضحونها ويختكمون إليها ، فيما هم
 بسببهم من محاولة فسبقوا إلى قدر عظيم من
 الأسماء العربية القويمة ، يتبدلونها في دروسهم
 بمقابلها من العاى والدخيل .

ولم يلبث فقيدنا - رحمه الله - أن
 أصبح أبنه هؤلاء العاملين ذكرا ، وأوسعهم
 شهرة ، فأينما حل كان بين زملائه
 المراجع الثقة ، العالم الثبت ، يرجعون إليه
 كلما غمت عليهم مسألة ، أو شبهت عليهم
 لفظة ، أو خفى عليهم وجه الصواب .
 في عبارة فيجدون لديه الجواب حاضرا ،
 أو يكون لهم به وعد غير مكذوب .

وإذا كانت عطلة الصيف ، وأقبل
 موسم الامتحانات العامة ، وتوافد المدرسون
 من أطراف البلاد - كان اجتماعهم هذا مثار
 جدل ومساءلة وخلاف إما فيما يجد في عملهم الحاضر
 من مشكلات ، وأما فيما كان بينهم في عامهم
 هذا من تنازع في الرأي ، وذهاب ببعض
 القضايا اللغوية والنحوية مذاهب شتى ،
 وهنا يكون الأستاذ الصوالحي كما كان
 هناك في مدرسته صاحب رأي ، إلا يكن

فصلا ، فما هو بالذى يذهب لغوا ، فليس
يعنهم فى التقليل بينة له فاهضة ، أو علة
مسوغة ، أو أن يكون رأيا مفردا ، لكنه
غير مجفوف ولا مردود .

وعرف القائمون على شئون العربية فضله
وقدروه حتى قدره ، فكانوا إذا تنازعهم
الأعمال ، وضائق من حولهم الأوقات -
يكلون إليه دراسة بعض ما يعرض لهم من
الأساليب المدخولة ، أو الألفاظ المشتبهة
فيضطلع بما وكل إليه من ذلك أمينا صادقا ،
وباحثا رشيدا موقفا .

أستطيع إذا أن أقول غير مكذب
ولأأخذ بمبالغة : إن الأستاذ الصوالحى كان
لغويا معرقا ، ومجموعيا أصيلا - تمرس
بمباحث اللغة ، وتعاطى من أعمال الجمعيين
من قبل أن يكون للعربية مجمع ، فكانت
حياته فيه امتدادا لحياته قبله . ولقد مضى
هنا على العهد به أينما كان غير آل جهدا
ولا ضنين بوقت يبحث ويمحص ، ويستنبط
ويستخلص ، مشاركة لزملائه فى العمل
الموصول والجهد المبذول .

وإن مجلة المجمع ، وبين قرارات اللجان
التي اشترك فيها فيض من مباحثه ودراساته :
لقد كانت العربية أحب إليه من نفسه ،

فلم يبخل عليها بحياته ، إذ كان يعلم أن
مرضه عضال ، وأنه منه على خطر ماثل ،
وكان طبيبه دائم النصيح له أن يترفق بنفسه ،
ويتخفف من عمله ما استطاع ، لكن حب
العربية كان أغلب عليه ، وأقوى من إرادته

لذلك كان كلما تسكت المرض عنه ، ونحف
وقعه عليه سارع إلى أوراقه وكتبته ، فأكب
عليها ، وآتاها من فكره وذات نفسه بغير
حساب . ولم يكن يفرح لشيء كفرحه
إذ يأذن له الطبيب أن يدع مخدعه ليسعد بقاء
زملائه ، ويغاديهما بما عودهم من دراسات

ومن قبل هذا قضى من حياته المباركة
خمسین عاما أو تزيد ، يعلم فى مدارس
الدولة المتعددة ، ويحاضر طلاب دار العلوم ،
ويشارك فى مناقشة الرسائل الجامعية فيها
وفى كلية اللغة العربية ، فأخذ عنه فى المدارس
طوائف شتى من المتعلمين ، وتخرج عليه
أفواج إثر أفواج من المتخصصين فى اللغة
العربية ، ثم انبث هؤلاء وأولئك هنا وهناك
فى العالم العربى ، أعجاب عمل ، وحسنة
أمانة ، ومشارق نور ، ومناهل عرفان

وله مع ذلك كله مشاركة فى التأليف
والتحقيق ، فله :

(١) رسالة فى لغة أقليم الشرقية ،

وتقريبها من اللغة العربية ، وقد نشرت مرتين
فى كتاب الشرقية :

(٢) الأضواء النحوية والصرفية .

(٣) مذكرات في التحليل اللغوي .

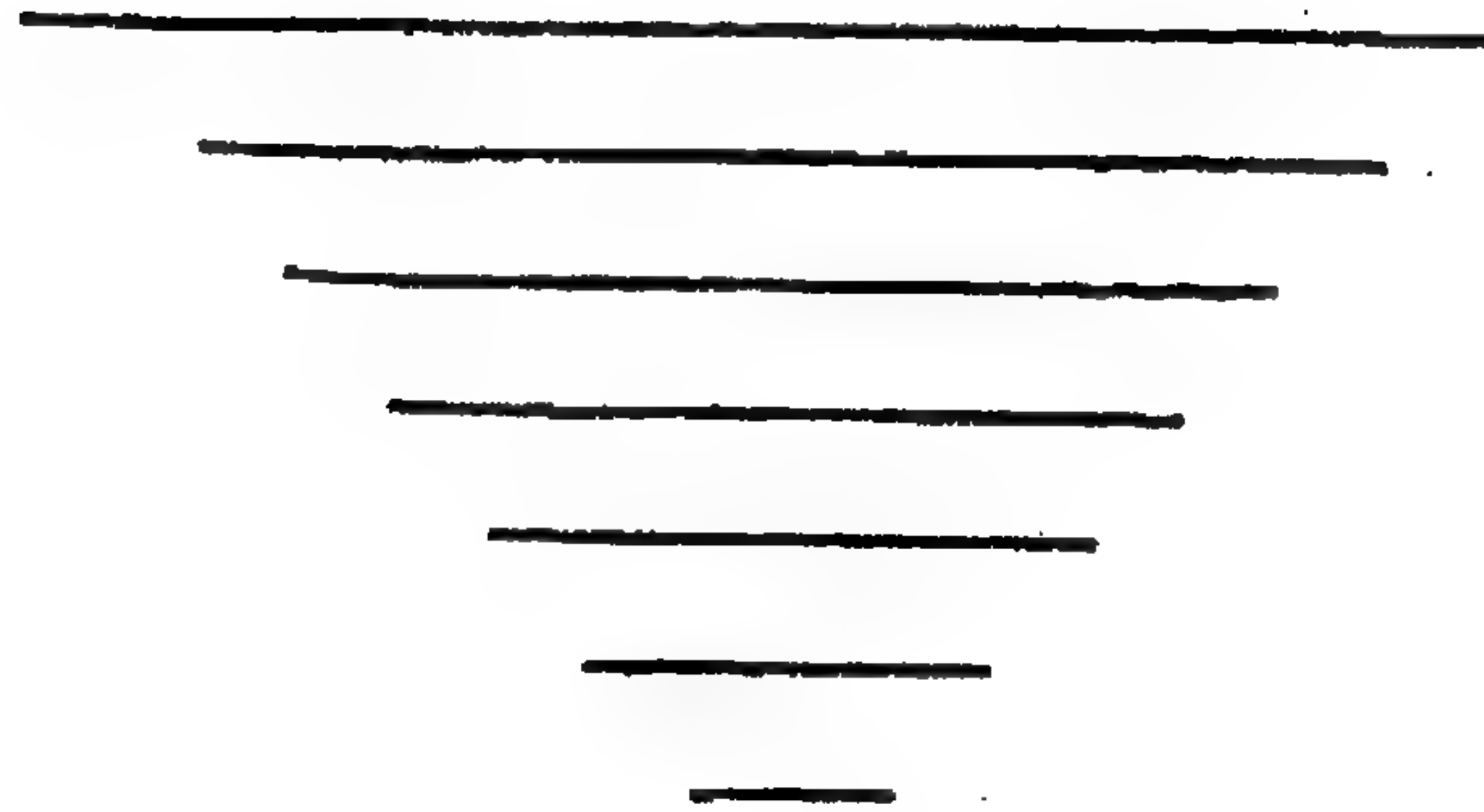
(٤) تحقيق الجزء السابع من كتاب
نثر الدور ، بتكليف من وزارة الثقافة .

(٥) تحقيق أمالي ابن الحاجب .

أيها الراحل الكريم ، يا صديق العمر ،
ويا شقيق الروح ؛ لقد أرضيت ربك بما عملت
من صالح ، وما قدمت من خير ، وأرضيت
عشيرتك بما كنت تلطفهم به من بر ، ومن
حنان ، وأرضيت زملاءك بما أبليت معهم

في المشاركة جادا مخلصا ، وما أحسنت في
المعاملة سمحا كريما ، وأرضيت قومك بما
أسديت إلي لغتهم من صنيع : تيسيرا لصعب ،
وتوضيحا لمبهم ، وحلا لمشكل ، وتداركا
لفائت .

فم في جوار ربك قرير العين ، هاني
البال ، خالدا مخلدا في نعيم الله ورضوانه :
أحسن الله جزاءك كما أحسنت عملك ،
وأفاض عليك من رحمته كفاء ما قدمت
من خير ، وأسديت من معروف ، أعلى
في الآخرين مقامك : وأنزلك منازل الأبرار
والصديقين ، وحسن أولئك رفيقا .



●● كلمة الأسرة للدكتور محمد عطيه الصوالحي

السيد الأستاذ الدكتور رئيس مجمع
اللغة العربية :

السادة الأساتذة الأعضاء :

سيداتي وسادتي :

تشرفت قبل اليوم بحضور الحفل الذي
أقيمته لاستقبال أبي رحمه الله حين
انتخبتموه عضوا في مجمعكم الموقر ،
وأوليتموه شرف الانتساب إليه ، فرأيت
كيف يكرم العلم ، ويقدر الفضل ، ولا غرو
فلنما يكرم العلماء العلماء ، ويقدر الفضل
أولو الفضل .

وأتشرف اليوم بحضور الحفل الذي
تقيمونه لتأبينه بعد أن أختاره الله إلى جواره
فانتقل إلى مغفرته ورضوانه ، فرأيت مثل
ما رأيت بالأمس من تكريم وتقدير ، ورأيت
إلى ذلك كيف يكون وفاء الزملاء لذكرى
الذين ينتقلون منهم إلى رحاب الله .

ولا غرو في ذلك فأنتم القدوة خلة وكرما
كما أنكم الصفوة علما وفضلا . لقد فقد

المجمع أبي عالما مجدا ، وزميلا مخلصا ،
وفقدنا نحن فيه أبوة بارة رحيمة وصداقة
شالية كريمة ، كان يرحمه الله يغمرنا
بالعطف ، الحنان ، ويتعهدنا بالتفقد والرعاية
ويعدنا بالعون والنصح والتوجيه ، كان لنا
ملاذا وسندا ، وكان لنا فيضاً ومهددا ،
وكان لنا نورا هاديا ، ورجاء صادقا ،
وكان لنا قدوة حسنة ، ونعمة سابغة .

وأني إذ أنوب عن أسرة الفقيد
في شكركم وإكبار فضلكم لأتوجه بالتقدير
والعرفان إلى السيد الأستاذ الدكتور رئيس
المجمع والسادة الأساتذة الأعضاء والسيد -
الأستاذ الحليل علي النجدي ناصف
الذي أبن الفقيد ، فوفاه من التقدير والإعزاز
حقه ، كما أتوجه بالدعاء الخالص إلى الله
جاءت قدرته أن يحسن عنا جزاءكم ويفيض
على فقيدنا وفقيدكم سبحانه رحمته ورضوانه
إنه سميع مجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

كلمة وفاء

للمتشرق المجري الدكتور عبد الكريم جرمانوس في ذكرى فقيدى المجمع الدكتور طه حسين وأستاذ محمود تيمور

وهو أننى إن أرفى حياتى مرة أخرى وجه
صديقى العزيزين : الدكتور طه حسين ومحمود
تيمور .

منذ عشرات السنين . . منذ كنت طالبا
فى الجامع الأزهر الشريف ، الذى تجاوز
عمره الألف عام ، حتى أصبحت أحد
شيوخه ، ثم أستاذا فى جامعته . منذ
بعيد عرفت محمود تيمور ابن العلامة
الكبير أحمد تيمور باشا ، هذه الشخصية التى
حببته بصداقتها الحارة منذ اللحظة
الأولى التى تعرفت فيها عليها . لقد كان
محمود تيمور منذ فجر شبابه من أشهر كتاب
القصة المصرية . ومن الكتاب المسرحيين ،
وأحد أعمدة الفكر العربى القديم بكل ما يحمله
من أصالة . إن كل الكتاب قد أحاطوا به
نتيجة هذا الحب الذى أولانى إياه معلمهم
الكبير . إن حلقاته مع رجال الأدب والعلم
ما زالت حتى اليوم هى المنهج لرجال العلم
والمعرفة والتاريخ فى مصر .

لقد نشأ محمود تيمور فى رحاب
مدارس الكبار من أمثال موباسان وتشيكوف
وبورجيه . ومع ذلك فقد كان يضع نصب

بكلمة الصوفيين :
« الحياة حلم ، الموت هو
يقظته » والمسلمون

أعترف

لا يهابون الموت أو يخافونه . وحتى الذين يشكون
فى هذا الرأى فإنهم إذا ما انقطع جبل الحياة
عندهم فإنهم (يوتون) ، فى حين يقولون عن
المؤمن (توفى) ، لأنه يذهب إلى ربه . .
إلى جنة الله ، حيث يأخذ ثواب حياته ، ويكسب
نتيجة ما قدمه من عمل ، كهدف من أهداف
الحياة . .

فلماذا يبكى وينعى المسلمون أمواتهم
بصيحات الألم فى علو صوت وجهازة ؟
لماذا لا يطمئنون ويهدأون للمصير ، إذا ما ذهب
إلى رحاب الله سبحانه وتعالى أخ أو صديق
برى شريف ، قدم التضحية غالبا ؟ قد لا ينعون
المتوفى إلى رحمة الله تعالى ، لكنهم ينعون
لفقدانه ، ويعبرون بذلك عن آلامهم لهذا
الفراق ، الذى سببه الموت .

إن أصدقائى العرب حاولوا أن يخففوا
عنى الآلام حينما أخفوا عنى لشهور عدة
أخبار الحرائد والمجلات المصرية والمحطات
أيضا ، بل إنهم حاولوا بطريقة أو بأخرى
أن يبعدوا عنى هذا الشك الذى أحسست به ،

عذابه دائماً مواضيع القرية المصرية والشعب المصري ، خاصة البسطاء منهم ، حيث ترجم أحاسيسهم في أمانة وصدق . إنني لأريد أن أخوض هنا في تعريف أشكال أدبية إذ أن المحال لا يسمح بذلك ، لكن ذكرى الموت لصديق كبير هي التي تدفعني إلى ذكر ذلك.

في بداية تعارفنا كتب محمود تيمور مقاله الطويل عام ١٩٦٩ في العدد الحادي عشر - من المجلد السابع عشر من مجلة (قافلة الزيت) بتاريخ ذي القعدة ١٣٨٩ حيث صدر المقال في المملكة العربية السعودية ، وقد ظهرت ترجمة مقاله باللغة المحررية في مجلة (الأفي) في عدد شهر سبتمبر من عام ١٩٧٠ . . . إنني لأختار عدة فقرات من مقاله المذكور حيث تم كلماته عن الحب والتقدير :

« الحاج عبد الكريم جرمانوس تواصل لقائي معه مرات متتالية ، أصيل كل خميس ، وكأن بيننا رباطاً من الصداقة منذ سنين مضت ، وما كان أمتع حديثه وهو يصف سفرته إلى الجزيرة العربية يتوخى بيت الله الحرام . لقد ركب هناك الحمل متميلاً على إيقاع سيره ، منشداً ما يحفظ من الشعر العربي وهو يهيم في غيبوبة من النشوة بما للصحراء من رمال شاسعة ، وشمس ساطعة ، وبما يرح فيها من هواء طليق . . . وما كان أطيب مقامه بين أهل الوبر ، ومنامه في الخيام والأخبية ، يستمرئ هناك حياة السداجة الهائثة .

وهمات أن يطيب الحديث في شأن (الدكتور جرمانوس) دون الإشادة بمعدته الهضوم ، ودون التنويه بطعامه المفضل الذي الذي فتن به أي فتنة ، ذلك هو الشواء . تذوق الشواء في مصر فاستهواه ، وكان إذا طلب الشواء نطلق بالكلمة مطوله مفخمة منعمة ، وهو يخصص شفتيه .

وإنني لمعترف بأن قصتي التي سميتها (المستعين بالله) ووصفت فيها أحد من شغفوا بالشرق وأهله ، كان استيحاؤها بالحملة من صديقنا عاشق الشرق والعروبة والإسلام . . .

وينتهي محمود تيمور حديثه بالعبارة التالية : « والدكتور جرمانوس يستقبل اليوم الشطر الأخير من عشر التسعين ، وإنه لعمر بورك فيه طويلاً ، ولكن كسب الرجل وجهده وسعيه في هذا العمر المبارك أنمي بركة وأوفى .

وإذا كان الدكتور جرمانوس قد أحب الشرق والعروبة والإسلام وأرضى حبه بعقله وقلبه وقلمه أحسن رضاء وأخلصه ، فإن المجامع اللغوية في مصر وسوريا والعراق قد بادلتها هذا الحب الصادق ، واختارته عضواً فيها .

وإن له في قلوب كثير من الأدباء والمفكرين والمثقفين من صحبوه صديقاً ، أو سمعوه محدثاً ومحاضراً ، أو قرأوا له كتاباً ، مكانة الإعزاز والتكريم ، كإنسان حقيقي .

هكذا كتب عنى محمود تيمور . . هذه الشخصية العبقريّة التي أنتجت أكثر من ثلاثين مجلداً، انتشرت في أماكن متفرقة من العالم بمختلف اللغات حيث تمت ترجمتها إليها. إننى قد نشرت بعضاً من فقرات كتبه في كتابى (تاريخ الأدب العربى) ، لكننى لازلت أعود بذاكرتى إلى الوراء ، وعينائى مليئة بالدموع ، إلى ذكرى مقابلة فى القاهرة ، ولازلت أتذكر استقباله واحتضانه لى فى بيته قبل عدة شهور قليلة . واليوم بقلب مفرّج أحس هذه الخسارة التي منينا بها .

أما الدكتور طه حسين فهو رئيس المجمع اللغوى بمصر العاجز النظر . وهو الجرىء ، المحارب من أجل حق الكلمة . وهو أيضا الرجل العظيم الذى وضعت يدي فى يده حينما أبعده عن رحاب جامعة الأزهر ، لما رأى بعينه اللذين فقدهما أبعد مما رآه زملاؤه من الرجعيين . لكنه مع كل ذلك لم يتخل أبدا عن جرأته وشجاعته . فهو ككاتب بالصحف اليومية ، وكوثرخ للأدب شقاً طريقاً فى أدغال الجهل . وحينما أشرفت مصر والحركة الثقافية فيها أن تأخذ طريقها إلى الرف ، فتصبح مبعثرة مبعدة عن المجالات الأدبية الحيوية ، أنقذ الدكتور طه حسين

التقاليد القديمة بأصالتها ، ونفث من روحه فى الحياة المصرية ، بما أسبغ عليها من التجديد وأبعد عنها التجمد والشلل الذى كان يمكن أن يحيق بالأدب العربى :

لكن مصر لم تنس ابنها الشجاع المقاتل من أجل أديها ، فأصبح بعد ذلك وزيرا للتربية والتعليم المصرى ، ورفعته إلى مرتبة الباشوية ، مع أنه لم يستعمل هذا اللقب طوال حياته ، ثم قلدته منصب رئيس المجمع اللغوى المصرى حتى وفاته .

إننى سعيد وفخور بأنى أصبحت صديقاله . إننى فخور بأننى جلست إلى جانبه فى مقعد المجمع اللغوى المصرى ، وبأن سنحت لى الفرصة بأن اشترك معه فى الأبحاث والمناقشات العلمية داخل رحاب المجمع . بل إنه رغم فقدان نور عينيه فقد شرفنى بخطاب خطه بيده لى . نشرت صورة له فى كتابى (تاريخ الأدب العربى) .

إن الدكتور طه حسين قد سمع صوتى الذى أوحى لى به علمه ، وأحس دون أن يرانى عينا بعين ييدى المرتعشة وهى تصافح يده الكريمة ، لكنه لم يرها أبداً . إننى كنت أنظر إليه باحترام كبير وشكر عميق ،

وقد علمتني الدهشة وأنا أطلع نظارته السوداء.
إن جسده الرقيق الناعم قد اختفى الآن من
أمامي . سوف لا أطلع وجهه مرة أخرى ،
ولن أسمع بأذني حديثه العذب وهو يوجه
الأدب العربي ومصيره وطريقه .

اكتفى على يقين من أن روحه سوف
ترافق مصير هذا الأدب ومستقبله .

عزيزي : محمود تيمور والدكتور طه
حسين ، إنكم استعيشان داخلي دائماً وإلى الأبد .

الحاج عبد الكريم جرمانوس
عضو المجمع المراسل من المجر

مذ أنباء المجمع

فقيه المجمع :

استأثرت رحمة الله بروح المغفور له الأستاذ عطية الصوالحي
عضو المجمع ، في ١٩٧٤/٦/٣

وقد اقام المجمع حفل تأبين له في ١٩٧٤/١١/٦ ، وألقى كلمة
المجمع في هذا الحفل الأستاذ على النجدي ناصف عضو المجمع ،
وهي مثبتة في هذا الجزء من المجلة .

خبراء جدد :

قرر مجلس المجمع اختيار بعض الخبراء الجدد للجان المجمع ،
وهم :

- | | |
|---------------------------------|--------------------------|
| ● الدكتور السعيد محمد بدوي | للجنة اللهجات |
| ● الدكتور عبد الصبور شاهين | للجنة اللهجات |
| الدكتور زكريا البري | للجنة القانون |
| ● الدكتور سليمان مرقص | للجنة القانون |
| ● الدكتور محمود مصطفى | للجنة القانون |
| ر الدكتور ثروت بدوي | للجنة القانون |
| ● الدكتور سعد مرسى أحمد | للجنة التربية وعلم النفس |
| ● الدكتور سيد عثمان | للجنة التربية وعلم النفس |
| ● الدكتور عطية عبد السلام عاشور | للجنة الرياضة |

صلات المجمع الثقافية :

● ● ورد الى المجمع كتاب من وزارة الخارجية المصرية (قسم الوطن
العربي) صورة من كتاب مكتب العلاقات المصرية بدمشق ، مرفق
بها نسخة من « موسوعة الخطوط السبكية » التي تبحث في عشرة
خطوط عربية جديدة ، وهي من تأليف الأستاذ صبحي السبكي ،
وقرر المجلس بجلسته المنعقدة في ١٩٧٤/٥/٦ إحالتها على لجنة
تيسير الكتابة لدراستها ، وإبداء الرأي فيها .

● ● كما ورد - أيضا - من وزارة الخارجية المصرية كتاب بشأن تشكيل
لجنة فرعية منبثقة عن لجنة المؤتمرات والاجتماعات الدولية
بوزارة الخارجية ، تسمى « اللجنة الفرعية للعلوم الانسانية » ،
مهمتها دراسة الموضوعات الفنية في هذا المجال ، وطلبت الوزارة
اختيار ممثل للمجمع في هذه اللجنة ، فاختر المجلس بجلسته
المنعقدة في ١٩٧٤/٥/٢٠ الأستاذ محمد رفعت عضو المجمع .

• • بعث الى المجمع الأستاذ عبد الوهاب الشيكرا المدير العام لشركة الوكالات الموريتانية للخدمات المتنوعة بكتاب يشرح فيه مشروعه لتيسير طبع الحروف العربية ، مزودة بالشكل ، وأرفق بكتابه براءة اختراع مسجلة في موريتانيا لهذا المشروع . وقرر المجلس بجلسته المنعقدة في ١٠/٧/١٩٧٤ إحالة المشروع على لجنة تيسير الكتابة العربية لدراسته وإبداء الرأي فيه .

• • ورد الى المجمع كتاب من الهيئة المصرية العامة للتوحيد القياسي مرفق به نسخة من مشروع المواصفات القياسية المصرية ، الخاصة بالمصطلحات الفنية « للخردوات » المعمارية ، وقرر المجلس بجلسته المنعقدة في ١٠/٧/١٩٧٤ إحالته على لجنة الهندسة لنظره وإبداء الرأي فيه .

ندوة المصطلحات النفطية :

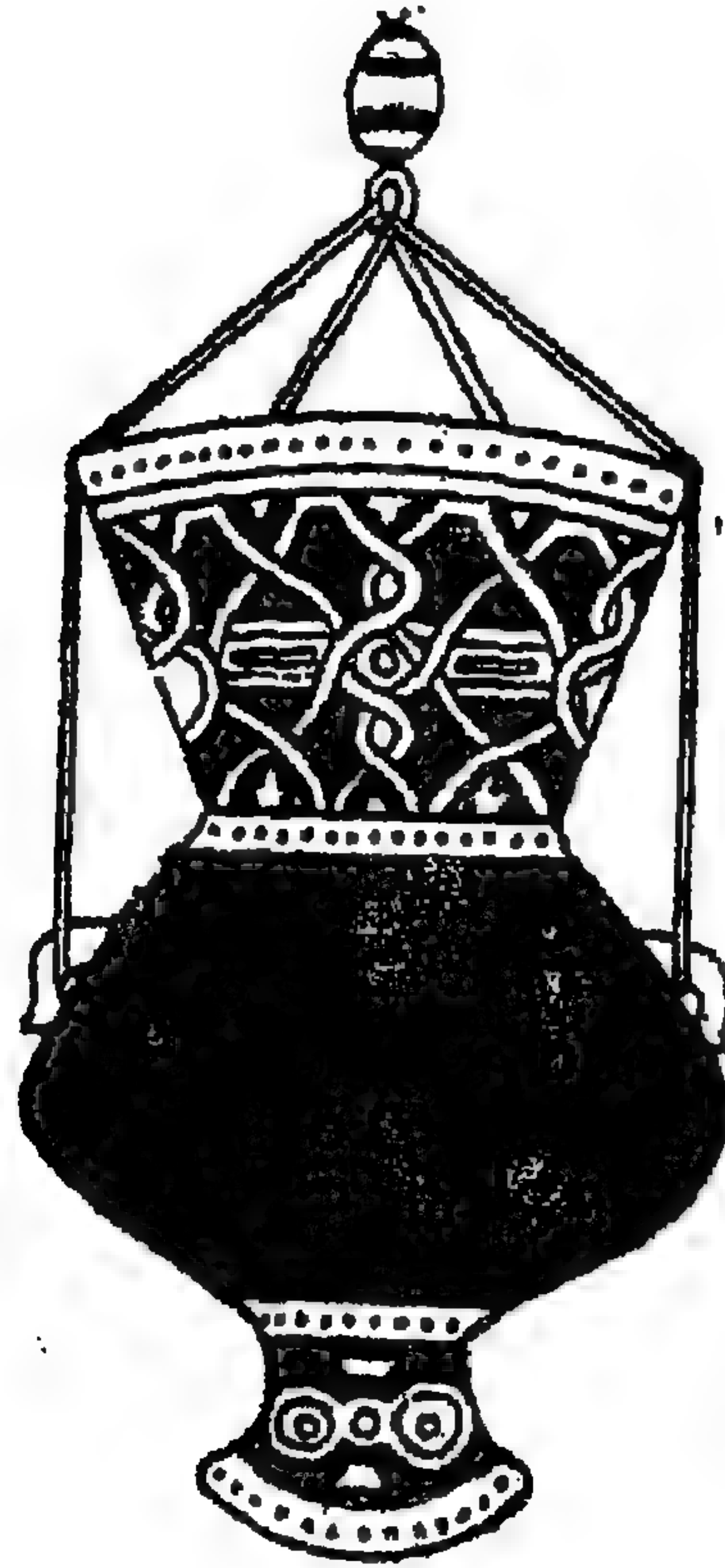
عقد اتحاد الجامعات اللغوية العلمية العربية ببغداد ندوة للمصطلحات النفطية في المدة من ٢٦ الى ٣٠ من أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٧٤ وقد أقر في هذه الندوة نحو ألف مصطلح في كيمياء وحيولوجيا النفط . وتولى عرض هذه المصطلحات الدكتور محمد يوسف حسن الخبير بالمجمع . وقد حضر الندوة - الى جانب مجلس الاتحاد - ممثلون من البلاد العربية المعنية بشئون النفط .

مسابقة الجمع :

اعلنت نتيجة مسابقة الجمع لعام ١٩٧٣/١٩٧٤ ، وموضوعها :
« تاريخ الجمعيات والندوات الثقافية والأدبية في قطر عربي ،
في عصر النهضة الحديثة » .

وفاز بالجائزة الأولى الأستاذ جمال عبد الحليم حسن .

كما اعلنت المسابقة الجديدة لعام ١٩٧٤/١٩٧٥ ، وموضوعها :
« قصة أو مسرحية نثرية أو شعرية عن بطولات حرب أكتوبر
سنة ١٩٧٣ » .



طبيع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول
رئيس مجلس الإدارة
على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٥/٢٠٢

